علم النفس الدعوي

(دراسات نفسية تربوية)

«للآباء والدعاة والمربين»

د. عبد العزيز بن محمد النغيمشي
الأستاذ المشارك في قسم علم النفس
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة المهتدين للإسلام لمقارنة الأديان

دار المسلم للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النغيمشي، عبدالعزيز بن محمد

علم النفس الدعوي - . الرياض

٤٠٠ ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٤ - ٦٣ - ٧٤٨ - ٩٩٦٠

١ - علم النفس الإسلامي ٢ - علم النفس

٣ - السلوك (علم النفس) أ - العنوان

ديوي ٢١٤.١٥ ١٤١٥/١٩٢٢

رقم الإيداع ١٤١٥/١٩٢٢

ردمك: ٤ - ٦٣ - ٧٤٨ - ٩٩٦٠

الطبعة الثالثة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار المسلم للنشر والتوزيع

ص.ب ١٧٣٥٦ . الرياض ١١٤٨٤ . المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠٥٥٠٣٩ - ٤٠٤٤٦٠٩ - فاكس ٤٠٣٧١٤٣ - جوال ٠٥٠٤٢٣٧٦٨٧

www.dar-almuslim.com

جميع الحقوق محفوظة

لا يحق طباعة هذا الكتاب أو أي جزء من أجزائه أو نسخه أو تصويره أو الاقتباس منه أو تخزينه على أي جهاز الكتروني أو نشره بأية طريقة الكترونية أو غيرها إلا بإذن خطي من الناشر ، تحت طائلة المساءلة القانونية في الدنيا والمحاسبة في الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وبعد

فيتنازع هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القراء والباحثين أمران ، كلاهما مهم ، وكلاهما حاضر في هم الباحث وذاكرته وهو يكتب .

الأول : حاجة جمهور الناس الماسّة لكتاب نفسي تربوي في مجال الدعوة والحركة ؛ وفي مجال الاتصال بالناس والتأثير فيهم ، وفي مجال التعامل مع الأولاد والتلاميذ والمدعوين.

والثاني : حاجة الباحثين في العلوم الاجتماعية ، وفي علم النفس والتربية بخاصة لخوض تجربة التأليف والتصنيف في مجالاتهم بطريقة تأصيلية تنطلق من مبادئ الكتاب والسنة ، ومن مقالات علماء الإسلام السابقين واللاحقين .

وقد حاول الباحث في هذا الكتاب أن يتناول بعض القضايا الرئيسة في مجال علم النفس التربوي مما يهم المربين من آباء وأمهات ومعلمين ودعاة تناولاً مؤصلاً قدر الإمكان ، ينطلق ابتداءً من القواعد الشرعية ، والهدي الإلهي ، ثم يحلل ويقارن ويستشهد بما هو موجود من مفاهيم ومبادئ مطروحة في مجال علم النفس أو التربية .

ومما حمل الباحث على طرق هذه القضايا وتناولها دراسة وتأصيلا ؛ ذلك

العدد الكبير من الأسئلة في مجال التربية والدعوة التي ترد عقب المحاضرات والندوات التي يشارك فيها العلماء والمختصون ، سواءٌ كانت المحاضرات في قاعات الدرس أم المحاضرات الموجهة إلى جمهور الناس في المساجد والمنتديات والمراكز الخيرية ونحوها ، وملخص هذه الأسئلة : الاستفهام والإلحاح على المراجع والمصادر التي يصلح أن يتلقى منها المستفيدون في مجال علم النفس والتربية ، ويكاد المختص زلا يحصى عدد الأسئلة التي ترد في هذا الصدد ، فمن سائل يقول : ماهي الكتب والمراجع التي تفيدنا في المجال النفسي والنابعة من هدي الكتاب والسنة ؟ وسائل ماهي الكتب التي تنصحنا بقرائتها في هذا المجال ؟ وآخر يسأل : أليس من كتب تجمع بين النظرة الشرعية والفوائد النفسية ؟ ومن قائل : لقد قرأنا في كتب علم النفس ، لكننا لا ندري ما قول الإسلام في كثير من المسائل المطروحة ؟ ، وهناك من يسأل عن المؤلفين والباحثين ، وعن طريقتهم في جلب المعلومات وإبرازها ، وفي تقعيد المبادئ ، وهل هذه الطريقة أو تلك مؤصلة ومقبولة في ضوء المعايير الشرعية والتراث الإسلامي ؟.

ومن يريد أن يجيب على أسئلة المهتمين بالبحوث والدراسات في هذا المجال يحتار من قلة المؤلفات والبحوث ، ويحتار من تدني مستوى كثير من هذه القلة علمياً وعملياً .

ويجد الباحث نفسه في مواجهة هذه الأسئلة قليل البضاعة فيشير إلى ما يعرفه من مؤلفات أو أبحاث معدودة تتصف بالتميز مثل كتابات الأستاذ محمد قطب والدكتور مالك بدري وهما مقلان ، والدكتور محمد عثمان نجاتي والدكتور مقداد يالجن ونحوهم ، ثم يشير إلى أن هناك محاولات جارية للبحث والتأليف في مجال علم النفس والتربية ، وأن هناك علماء وباحثين في صدد إخراج دراسات وأبحاث مهمة تجمع بين النظرة الإسلامية الأصيلة والمعلومات النفسية الحديثة .

إن علم النفس التربوي من فروع علم النفس ذات الصبغة الجماهيرية التي يستفيد منها أكبر قطاع من الناس ؛ ألا وهم الآباء والأمهات والمعلمون . وإذا نظرنا

في المساحة الزمنية اليومية للناشئة وجدت أنهم يقضون ربع يومهم في المدرسة بين يدي المعلمين وفي الأجواء المدرسية ، ويقضون معظم المتبقي من اليوم مع آباءهم وأمهاتهم في الأجواء الأسرية ، مما يعنى أن الناشئ يعيش معظم فترة نشئته في أحضان المربين شاءوا أم أبوا ! وهو يتأثر بهم وبسلوكهم وبطريقتهم وبهيئاتهم وسماتهم .

وما دام الأمر كذلك فلا بد من العناية الفائقة بمادة علم النفس التربوي وتأصيلها وتسهيلها وإبرازها لتؤدي المهمة المواكبة لهذه الأهمية والشمولية ولكون القضية تمس الأفكار والمسالك والأخلاق والعادات والسمات فلا بد عند العناية بها من احتساب البعد الديني والمنطلق الشرعي ؛ إذ أن الدين هو الذي يهذب الأخلاق ويزكي المسالك ويبني الوازع والضمير . فالمنطلق في علم النفس التربوي ينبغي أن يكون من مبادئ الدين وهدي الشريعة الإلهية ، وأولى من ذلك ألا تصطدم أو تتناقض تلك المبادئ مع قواعد الدين وهدي الإسلام .

وعلم النفس الدعوي مصطلح جديد في مجال الدعوة وفي علم النفس لكنه ليس بغريب على الدعاة ولا على علماء السلوك الذين يتعاملون مع الإنسان باعتباره محلاً للعناية والتزكية ، وهو قرين علم التربوي وربيبه ، فالدعوة والتربية صنوان لا يفترقان والرسول ﷺ كان داعية ومربيا في آن ، والأنبياء من قبله كذلك ، وهكذا العلماء والمصلحون كانت وظيفتهم في الغالب ، دعوية تربوية ، قد تسبق الدعوة التربية ولكنها لا تنفصل عنها ؛ إذ أن المدعو الذي استجاب للداعية وسمع منه لا بد أن يتربى على يديه أو على يدي غيره ممن هم على نهجه وفي مدرسته .

والدعوة مجال خصب واسع من حيث موضوعاتها وأساليبها ومستوياتها ، ومحل الدعوة ـ وهم الناس ـ مجال متنوع أيضا في عواطفهم وأمزجتهم ومستوى ذكاءهم وتنوع قدراتهم ودرجة استجابتهم ومراحل نموهم ... الخ والدعاة أيضا ـ وهم حاملوا الدعوة ـ متنوعون .

مكتبة المهتدين الإسلامية للأدبيات

والدعوة والدعاة والمدعوين يستفيدون كثيرا من مجال علم النفس التربوي الدعوي ؛ إذا ما تم التركيز على طرح القضايا في ضوء الإسلام خدمة للدعوة إلى الله وتنويعاً لأساليبها ومعالجة لقضاياها ومشكلاتها ؛ فثقافة الداعية النفسية والتربوية ، واطلاعه على سنن الخالق في النفس والمجتمع ، وعلى الأبحاث الميدانية والتجريبية التي توضح هذه السنن وتؤكدها هام جداً في تقدم الدعوة والتربية ، وفي تحقيق أهدافهما ، وتحصيل مراد الدعاة والمربين منهما كما ونوعاً .

وقد تعرض هذا الكتاب لأغلب موضوعات علم النفس التربوي مثل الأهداف التربوية بمستوياتها وأنواعها ، والنمو ، والدوافع ، والتفاعل ... الخ ، وقد كانت طريقة التناول للموضوعات مختلفة عن كثير من الطرق المتبعة ، وتم طرح موضوعات جديدة ، ومناقشة موضوعات قائمة ، ومقارنتها بالمفاهيم والمبادئ القرآنية والنبوية ، واستخلاص ما يمكن استخلاصه من توجيهات وقواعد مفيدة في التربية والدعوة .

فالأهداف التربوية المعرفية تم عرضها كما يراها [بلوم] وزملاؤه ،وأيدها الباحث مشيراً إلى الشواهد والأدلة المساندة من القرآن أو السنة . أما الأهداف الخُلُقية فالنظرة الإسلامية تختلف عن الطرح النفسي حيث تتأسس على مراتب الناس في الدين (الإسلام فالإيمان ثم الإحسان) .

وفي باب الدوافع بالنظر إلى الأدلة والشواهد والأمثلة والسِّير في القرآن والسنة وجد الباحث أن هناك تشكيلاً شاملاً ومترابطاً للدوافع يبدأ بالدائرة العضوية المادية، مثنياً بالدائرة الدنيوية الوسيطة منتهياً بالدائرة الأخروية المهيمنة على بقية الدوافع ، وفي ثنايا هذا التشكيل توجد طروحات جديدة للدوافع مثل الدوافع الغيبية ، ومثل مرتكزات الحفز الأخروي وأساليبه وغير ذلك .

وفي باب النمو ومراحله لم يكن ثمة إطالة أو توسع جديد إلا في المقارنة بين الطرح الإسلامي للنمو الخلقي والطرح المعرفي الذي سار عليه [بياجيه] ومن بعده

[كولبرج] ، ولم يتناول الباحث النمو اللغوي أو الجسمي بل اقتصر على النمو الانفعالي والنفسي ثم الخلقي وهي من أهمّ أنواع النمو الضروري طرحها للمربين .

أما باب التفاعل فهو أحد أبحاث الكتاب الأساسية ، وقد عني به الباحث لخصوصيته المهمة للدعاة والمربين ولأثره البالغ والدقيق في كسب الناس واقناعهم وفي تربيتهم وبناء شخصياتهم ، وفي رأى الباحث أن فشل كثير من الدعاة والمربين وضعف انتاجيتهم إنما يعود لقصر باعهم في هذا الجانب الذي يركز على كيفية إقامة صلة حميمة وعلاقة حسنة مع المدعوين والمتربين ، وقد تم طرح التفسيرات والأساسات والأساليب والخصال المتعلقة بهذا الأمر طرحا شمولياً قدر الإمكان وبنظرات جديدة متأسسة على الأسلوب القرآني والهدي النبوي مع الاستفادة من النظريات والأبحاث المطروحة في علم النفس والتربية في هذا الباب .

والباب الخاتم لهذا الكتاب هو باب الشخصية تناول فيه الباحث مكونات الشخصية الأساسية ، وعلاقة هذه المكونات ببعضها ، والجانب الاكتسابي في الشخصية ومعايير السواء والانحراف فيها ، كل ذلك من خلال الرؤية الإسلامية مقارناً بالرؤى الموجودة في علم النفس أو الفلسفة ، وأشار الباحث إلى موضوع الروح باعتباره مكوناً مسلّماً في المنظور التأصيلي الإسلامي إلى الشخصية له أبعاده وآثاره وله مسحته المميزة والفاعلة في المناهج والبرامج الدعوية والتربوية .

وفي ختام هذه المقدمة وبعد شكر الله وحمده والثناء عليه بما هو أهله يود الباحث أن يشكر أساتذته وزملاءه الذين جرى بينه وبينهم محاورات في موضوعات الكتاب ، فكان لهم آراء سديدة ، وملاحظات مفيدة ، وأن يشكر طلابه الذين استمعوا إلى أطراف من هذه الأبحاث في قاعات الدرس ، فكانوا يسألون أو يستدركون أو يعترضون أو يؤيدون مما أفاد كاتبها ، وبسّط شائكها ، وسهل صعبها وساعد ـ في بعض الأحيان ـ على إنزال النظرية إلى التطبيق والاستزادة من الأمثلة العملية .

كما يود الباحث من المطلعين على هذه الدراسات المتواضعة من أساتذة وباحثين ومستفيدين ألا يبخلوا عليه بالملاحظات والمقترحات والاستدراكات ، فقد يجد القارئ خطأ يجب إصلاحه ، أو موضوعا ينبغي إشباعه ، أو غامضاً يلزم جلاؤه أو باباً مهماً يحسن طرقه وإبرازه . فمن فعل هذا بالمشافهة أو الاتصال أو المراسلة قريباً كان أم بعيداً فله جزيل الشكر والعرفان وله الدعاء بالخير والتوفيق .

كما يطلب منهم الدعاء له وخصوصاً في ظهر الغيب برفع الدرجات وغفران الزلات والعون على إخلاص النيات وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الدعاة والمربين نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

عبد العزيز بن محمد الغيمشي

الرياض

صبح الخميس الثامن من جمادي الأولى

من السنة الخامسة عشرة بعد الأربعمائة

والألف من الهجرة النبوية الشريفة

الباب الأول

الأهداف التربوية

- الأهداف العامة
- تصنيف الأهداف وفن المنهج الإسلامي
- صياغة الأهداف السلوكية ومكوناتها
- تصنيف الأهداف التربوية

أولاً : المجال المعرفي

ثانياً : المجال الخلقي

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الأهداف العامة

من المناسب قبل الدخول في الأهداف التربوية والتي لها صبغة خاصة من حيث البناء والتصنيف التطرق إلى الأهداف العامة لدراسة علم السلوك والعناية به في الإسلام ، والتي يلحظها الدارس عندما يقرأ القرآن أو سنة رسول الله ﷺ ، ومن خلالها يحس الباحث بالفائدة والجدوى من دراسة هذا الفرع من فروع المعرفة ، وفيما يأتي بيان لهذه الأهداف :

(١) الإعتبار والعظة بالتفكُّر في الإنسان ، وعظيم خلقه ، ودقة صنعه كما قال تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٢).

فالتفكر في خلق الله وإبداعه له قيمة عبادية ونفسية وهو من أفضل أعمال القلوب في توعيظ الإنسان وزيادة إيمانه ، وهو من أعظم الأنشطة التي تغيِّر في حياة الأفراد ، إذا أرادوا أن تكون حياتهم ذات معنى وجدوى . (٣)

---

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) سورة يس : ٧٧ ـ ٧٩ .

(٣) قد تناول هذا الموضوع بتفصيل لم أر مثله عمقاً وشمولاً ، د . مالك بدري في كتابه « التفكر من المشاهدة إلى الشهود » .

(٢) فهم الإنسان ، والتعرف على طبيعة تكوينه وأجزاء هذا التكوين ، وعلى طبيعة السلوك الإنساني وما يحكمه من نواميس ودوافع وظواهر ، قال تعالى:

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (١)

ويستقى هذا الفهم من المصادر الشرعية أولاً ، ومن الدراسات والأبحاث الميدانية والتطبيقية في علم النفس والعلوم الإجتماعية الأخرى ثانياً . وقد بيّن الله في كتابه جوانب عديدة من طبائع الإنسان وتوجهاته مثل قوله تعالى: ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً ﴾(٢) ، ومثل قوله تعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ﴾ (٣) ، وبيّن رسول الله ﷺ أيضاً جوانب من طبيعة الإنسان وتكوينه مثل ماورد عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود والسهل والحزن والخبيث والطيب**» (٤).

(٣) الحكم على السلوك من حيث الصحة وعدمها ، والسواء والشذوذ ، والفطرة والإكتساب ، والضرورة والتحسين (٥) ، والوصول إلى الحكم على السلوك يقتضي دراسة النفس البشرية وما تنزع إليه من خير أو شر ، ومعرفة ماهو من طبعها وفطرتها وما هو خارج عن ذلك ومعرفة حدود طاقاتها وإمكاناتها . ولهذا يلجأ القضاة والأطباء والمتخذون للقرارات الإنسانية إلى علماء السلوك

---

(١) سورة الذاريات : ٢١ .
(٢) سورة المعارج : ١٩ .
(٣) سورة الروم : ٣٠ .
(٤) أخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .
(٥) يقصد بالضرورة : كون السلوك ضرورياً لاغنى للإنسان عنه كالرضاعة عند الطفل والأمومة عند الأم ومثل سلوك الأكل والشرب .. إلخ ، وبالتحسين : كون السلوك تكميلياً يمكن الإستغناء عنه مثل بعض السلوكيات الجمالية والاستطلاعية والفنية .

لمعرفة رأيهم قبل البتّ في الحكم .

(٤) تيسير الدعوة إلى الله ، بالوصول إلى الطرق والأساليب المناسبة لدعوة النفس البشرية وهدايتها ، وإكتشاف العوامل والأسباب الفاعلة والمؤثرة في جذب النفس وتشويقها إلى طريق الخير ، قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (٢) .

والنفس البشرية قد تُجذب بالمال والعطاء ، لأنها تحب المال والتملك ، كما فعل الرسول ﷺ مع المؤلفة قلوبهم عندما أعطاهم المال فأقبلوا على الإسلام ودخلوا فيه ، وقد تجذب النفس باللين والتدرُّج في التوجيه والتكليف ؛ لأنها لا تتقبّل الجديد الثقيل الكثير ، كما فعل الرسول ﷺ مع بعض الداخلين الجدد الذين يأتون يسألون عن جوانب الدين الجديد فيعطيهم إياه على جرعات ، وكما أوضح لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عندما ذهب إلى اليمن طبيعة الناس الذين يَقدُم عليهم وأوصاه بالتدرُّج . (٣)

وتُجذب أحياناً بالقدوة وعرض النموذج التطبيقي الحي ؛لأنها تميل إلى المحاكاة والتقليد ، وهكذا تتعدد الطرق والأساليب في دعوة الناس وسلكهم في الإسلام .

(٥) تسهيل التربية وذلك بمعرفة طبائع المتربي وخصائصه والبحث عن أنجح السبل

---

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٣) فقد قال ﷺ : أنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، وأمَره أن يدعوهم أولاً للشهادتين ، فإن استجابوا نقلهم إلى الصلاة ، فإن استجابوا نقلهم إلى الصدقة وهكذا ... بالتدريج ، مراعاة لخلفيتهم ، ولحداثة عهدهم بالإسلام .

للإستفادة من طاقاته وقدراته ولبناء قيمه واتجاهاته .

قال تعالى :

﴿ هو الذى بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ (١) .

والفرق بين هذا الهدف والذي قبله ، أن الأول يحقق القابلية المبدئية ؛ حيث يدخل المدعو في الإسلام ويتقبل المبدأ العام دون كل التفصيلات ، أما الأخير فيحقق بناء الشخصية ، وتكوين الإتجاهات والقيم ، كما سيأتي عند الكلام عن بناء الإتجاهات والقيم وتغييرها .

al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

(١) سورة الجمعة : ٢ .

الأهداف التربوية

تُعرّف التربية بأنها : العملية التي يتم من خلالها تغيير سلوك التلاميذ . فالتلاميذ يدخلون المدرسة ولديهم ذخيرة كثيرة من أنماط السلوك التي تسعى التربية إلى إحداث تغييرات في بعضها ؛ وذلك من خلال تعلم أنماط جديدة من السلوك أو تعديل بعضها الآخر أو إزالته ، مع توفير فرص ممارسة هذه الأنماط السلوكية المتغيرة بحيث يستطيع التلاميذ إصدارها على مستوى مقبول من الكفاءة في الظروف المناسبة والملائمة .

وإذا كان هذا هو هدف التربية فإن وضع وتحديد الأهداف التربوية ، والتمييز بينها يعتبر مسألة ضرورية ، لأنها تصف أنماط السلوك التي نتوقع أن يصدرها ويمارسها التلاميذ بدرجة ملائمة من التمكن . ومن ثم تصبح عملية التعلم هي : تهيئة وتوفير الظروف والشروط والمواقف الملائمة لإصدار هذه الأنماط السلوكية المرغوبة [١].

التمييز بين الأهداف التربوية والأهداف التعليمية :

تتوزع مستويات الأهداف التربوية في قسمين رئيسين هما :

أولاً : الجانب الداخلي المعنوي : ويتعلق هذا الجانب بمشاعر المربي والمتربي ، وتوجهاتهما الداخلية نحو العمل التربوي ونطلق عليه (النية) وهي قصد الشيء والعزم عليه [٢] . وهو مستوى داخلي نفسي خفي لايراه الناس وله أثر بالغ على نوعية التربية وجديّتها وتوجهاتها ، ويؤثر في تحقيق المستويات الأخرى التي

---

(١) انظر فؤاد أبو حطب ، آمال صادق : علم النفس التربوي .
(٢) انظر مقداد يالجن ، أهداف التربية الإسلامية ص ٢٣ .

سنذكرها فيما بعد .

قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله فهجرته إلى اللّه ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** »(١).

فهذه ثلاثة مقاصد للهجرة أشار إليها رسول اللّه ﷺ مع أن سلوك المهاجرة في مظهره واحد وهو الإنتقال من بلد إلى بلد ، إلا أن مقاصد المهاجرين تختلف فيما بينهم ، وكذلك السلوك التربوي يعتمد في تحقيق مقاصده على النية .

ومن الآثار المهمة للنية أنها :

أ ـ تحوِّل العمل من عادة إلى عبادة ، ومن عمل دنيويّ أثره قريب إلى عمل أخروي أثره بعيد ومجيد ، وبها يحس المربي أنه عندما يقوم بالتربية فهو يقوم بعمل عبادي كالصلاة والصوم ونحوهما ؛ فإذا علم ـ أيضاً ـ أن التربية عملية دائمة متواصلة عرف أنه في عبادة مستمرة .

ب ـ تزيد في العمل وتباركه وتنميه كمّاً وكيفاً لأن لها عمقاً غيبياً غير مرئي . فهي الصلة بين العبد وبين ربه ، وبها يعلم اللّه صدق العبد وإقباله من صدوده وإعراضه ، قال رسول اللّه ﷺ :

« **إن اللّه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** »(٢) .

وتخلُّف النية يكون بعكس ذلك حيث تستعصي الأمور وتصعب ، وتظهر العوائق ، ويحسُّ المربي أنه يزرع في أرض سبخة ، لا خصوبة

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١/١٦٤ رقم الحديث [٥٤] .
(٢) أخرجه مسلم .

فيها ، أو أنه أمام حواجز وحوائل لا يمكن اختراقها أو التغلب عليها ، فكأن قلوب السامعين مقفلة ، وآذانهم موصدة ، لا يطيقون السماع منه ، فضلاً عن الإستجابة له . أو يحس المربي بضعف الأثر التربوي وهُزاله ، وقلة نتائجه وثماره ، فالجهد كثير واسع ، والحصيلة محدودة بسيطة .

ثانياً: الجانب الظاهري العملي : ويتعلق هذا الجانب برسم الأهداف وبنائها ، في محيط توجيه سلوك المتربي وأفعاله وسماته . وفي هذا الجانب نجد أكثر من وجهة نظر تهدف لتصنيف الأهداف داخل هذا المستوى وذلك لزيادة جلائها ، وتسهيل تحقيقها ، ومساعدة المربي على الإنتاجية والتأثير ، عبر درجات يمهد بعضها لبعض .

ويشير فؤاد أبو حطب (١٩٨٣) أن عبارة الأهداف التربوية تتضمن معان كثيرة . كما أن التربويين عادة ما يميزون بين فئتين من الأهداف، فئة الأهداف التربوية Educational Aims ، وفئة الأهداف التعليمية Instructional Objectives [1] . وتشير الأهداف التربوية إلى الغايات القصوى والتوقعات بعيدة المدى لتوجُّهات النظام التربوي على المستوى الإنساني . وتمثل هذه الأهداف موجهات نظرية لتحديد طبيعة المناهج الدراسية . وهذه الأهداف تحددها لجان خاصة من منظري التربية وساستها . بينما تشير الأهداف التعليمية إلى أنماط الأداء النوعي التي يكتسبها التلاميذ من خلال المواد الدراسية ، وطرق التعليم المختلفة المستخدمة لتحقيق هذه الأهداف . أو بمعنى آخر هي عبارات محددة تحديداً دقيقاً لما يمكن أن يقوم به المتربي نتيجة التعلم . وهذه الأهداف تصاغ في عبارات سلوكية ، يمكن ملاحظتها وقياسها قياساً مباشراً ودقيقاً

---

(١) انظر : عبد المجيد نشواتي: علم النفس التربوي .

لتحديد ما إذا كانت هذه الأهداف قد تم تحقيقها من عدمه .

ويتبين من ذلك أن الأهداف التعليمية هي التحديد الإجرائي للأهداف التربوية ، والتي تعتبر إحدى المهام الأساسية لعلم النفس التربوي . وهناك بعض الأهداف التي لايمكن أن تتطابق مع هاتين الفئتين من الأهداف ـــ التربوية ، التعليمية ، مما يستدعي وصفها في مستويات وسيطة بين هاتين الفئتين من الأهداف ، ويشير ذلك إلى أنه توجد مستويات مختلفة للأهداف التربوية ، تختلف باختلاف درجة تجريد أو تخصص هذه الأهداف (١) .

ويقترح كراثواهل وباين Krathwohl & Pyne (1971)

تصنيف الأهداف التربوية التعليمية إلى ثلاث مستويات هي :

١ ـ المستوى العام للأهداف .

٢ ـ المستوى المتوسط للأهداف .

٣ ـ المستوى المحدد للأهداف .

وهو إقتراح وجيه ؛ ويتجاوب مع واقع المؤسسات التربوية المعنية بالعملية التعليمية ؛ من جهاز مركزي عام يُعنى بالسياسة الإجمالية ؛ إلى جهاز متخصص يعني بأهداف الخطط والمناهج التربوية ؛ إلى جهاز مباشر يهدف لتحقيق تفصيلات العملية التربوية ، كما أنه يتناسب مع طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع التدرُّجية في إكتساب السلوك والسمات .

ويتضمن المنهج الإسلامي هدفاً آخر أكثر شمولية ، حيث يحيط بحياة الفرد الكلية ويوجهها ، ويعد هو الهدف النهائي الذي تقوم عليه العملية التربوية ، وهو

---

(١) انظر فؤاد أبو حطب ، وآمال صادق ، علم النفس التربوي .

هدف (العـبـودية) . وبناء على ذلك يمكن تصنيف الأهداف وفق المنهج الإسلامي ، مع الإستفادة مما تطرحه وجهات النظر التربوية الأخرى ، في أربع مستويات ، تتدرج من الأهداف الكلية إلى الأهداف الجزئية على النحو الآتي :

وانظر جدول [١]

الدرجة	المجال
النهائي	الحياة
العام	النظام التعليمي
الوسيط	المناهج والخطط
الخاص	الوحدة الدراسية

جدول [١] يبين درجات الأهداف التربوية في الجانب الظاهري العملي

١ ـ **المستوى النهائي** : ويتعلق بهدف الحياة العامة ؛ وهو غاية نشاطات الإنسان وأعماله جميعها ، ويتمثل في تحقيق العبودية التي ينال بها الإنسان رضا الله والفوز في الآخرة [١] . ولإيجاد الفرد العابد لله في جميع جوانب الحياة .

قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون** ﴾ . [٢]

وقال تعالى : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ . [٣]

---

(١) انظر عبد الرحمن الباني ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، ص ٦٩ .
(٢) سورة الذاريات : ٥٦ .
(٣) سورة الأنعام : ١٦٢ .

وقد وعى الجيل الأول من المسلمين هذا الهدف الشامل وسعوا نحو تحقيقه وهو أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وعمل لتربية الناس عليه ، ونشير هنا إلى بعض المواقف والنماذج التي تشهد بذلك .

قال ربيعة بن عباد : « إني لغلام شاب مع أبي بمنى ، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يابني فلان ، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ... » . (١)

وهكذا وضح هذا الهدف عند الصحابة ، رضي الله عنهم، وعند التابعين لهم ، فهذا ربعي بن عامر ، عندما أرسله سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قبل القادسية رسولاً إلى رستم ـ قائد الجيوش الفارسية ـ فدخل عليه ، وقد جلس على سرير من ذهب ، وكان ربعي بثياب صفيقه وترس وفرس قصيرة . ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض الوسائد وأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، « فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .. » (٢)

٢ ـ **المستوى التربوي العام** : ويشير هذا المستوى إلى الأهداف ذات الدرجة العالية من التجريد والتعميم ، وهي ما يطلق عليها بالأهداف التربوية . وهذه الأهداف تُعنى بوصف المحصلة النهائية لمجمل العملية التربوية للنظام التربوي، وهي مسئولية لجان السياسة العامة للتربية والتعليم ومن أمثلة هذه الأهداف :

١ـ دعم العقيدة الإسلامية ، التي تستقيم بها نظرة الطالب إلى الكون

---

(١) انظر ابن هشام ، السيرة النبوية : ٦٤/٢ .
(٢) انظر سيد قطب ، معالم في الطريق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

مكتبة المهتدين للإسلام لمقارنة الأديان

والإنسان والحياة في الدنيا والآخرة ، وتزويده بالمفاهيم الأساسية ، والثقافة الإسلامية التي تجعله معتزاً بالإسلام ، قادراً على الدعوة ، إليه والدفاع عنه .

٢ ـ تمكين الإنتماء الحي لأمة الإسلام الحاملة لراية التوحيد .

٣ ـ تهيئة سائر الطلاب للعمل في ميادين الحياة بمستوى لائق .

٤ ـ إعداد الطلاب للجهاد في سبيل الله روحياً وبدنياً .

٥ ـ رعاية الشباب على أساس الإسلام ، وعلاج مشكلاتهم الفكرية والإنفعالية ، ومساعدتهم على إجتياز هذه الفترة الحرجة من حياتهم بنجاح وسلام [١] .

ويتبين من صياغة هذه الأهداف على هذا المستوى أنه ينقصها التحديد والواقعية ، فهي عبارات عامة جدا ،يستريح لها القارىء فهماً وتنظيرا ، ولكنه يجد صعوبة في ترجمتها لخبرات تربوية . كما أن المتربي لن يجد خطوات محددة يسير عليها ، أو معالم بارزة ينتهي عندها .

٣ ـ المستوى التربوي الوسيط : ويشير هذا المستوى إلى الأهداف ذات الدرجة المتوسطة من التعميم والتحديد ، ويطلق عليها عبارة الأهداف التربوية الضمنية ، وتُعنى هذه الأهداف بوصف أنماط السلوك أو الأداء النهائي المتوقع صدوره من المتربي بعد دراسة منهج دراسي معين، أو مجموعة من المناهج المتشابهة وتعتبر هذه الأهداف ترجمة على نحو ما للأهداف التربوية العامة . وتعد صياغة هذه الأهداف من مسؤليات السلطات التربوية على المستوى التنفيذي

---

(١) هذه الأهداف أُخذت من السياسة التعليمية للمملكة العربية السعودية ، وهي المواد رقم : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

ومن أمثلة هذه الأهداف :

أهداف العلوم الدينية :

ـ الاعتزاز بالإسلام واعتناقه بقوة واقتدار .

ـ تنقية الدين من البدع ، وتوريثه للأجيال الصاعدة والآتية خالياً من خرافة المبتدعين وتحريف المبطلين .

ـ تنمية الحس الديني ، الذي يولّد حيوية الشعور الإسلامي في الاستحياء من اللّه ، والتأثر بالحُسْن والقبح في الأقوال والأفعال واتخاذ الإسلام مقياساً ومعياراً في الحكم على الأشياء كلها .

أهداف المواد الاجتماعية :

ـ تكوين المقدرة لدى الطالب على التمييز بين الثابت والمتطور ، بين ثبات (المبادىء) وتطور (الإجراءات) ...

ـ تعريف الطالب بمصادر قوة أمته الإسلامية وثرواتها المعنوية والمادية ، ومواطن عزتها وكرامتها ... إلخ .

ـ تعريف الفرد بقدراته واستعداداته التي أنعم اللّه بها عليه ، وتنميتها وتوجيهها الوجهة المفيدة المثمرة للفرد والمجتمع على السواء. (١)

أهداف مادة علم النفس :

ـ معرفة آيات اللّه في النفس الإنسانية والسلوك البشري مما يؤكد وعي الطالب بالإيمان باللّه وعظمته ، وأنه وحده المستحق لأن يفرد بالعبادة

---

(١) وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، التطوير التربوي ، منهج المرحلة الثانوية ، (أهداف العلوم الدينية) الأهداف أرقام ٤ ، ١٠ ، ١٦ و (أهداف المواد الإجتماعية) الأهداف أرقام ١٠، ١١ ، ١٥ .

والطاعة. ـ مساعدة الطالب على فهم الظواهر النفسية في مرحلتي المراهقة والشباب ليجتازها بسلام ونجاح [١].

ويتبين كذلك من صياغة هذه الأهداف عدم وضوحها الوضوح الكافي ، وأنها قابلة للتأويل والتفسير على نحو مختلف .

٤ ـ المستوى التربوي الخاص (السلوكي المحدد) :

ويشير هذا المستوى إلى الأهداف ذات الدرجة العالية من التحديد والدرجة المنخفضة من العمومية أو التجريد ، ويطلق عليها الأهداف الظاهرية أو الأهداف السلوكية ، وتُعنى بتحديد هدف الوحدة الدراسية أو الموضوع التربوي داخل المنهج ، ويتم في هذه الأهداف وصف السلوك النهائي الذي يتوقع أن يقوم به المتربي بعد الإنتهاء من تدريس الوحدة الدراسية أو الموضوع التربوي . والمسئول عن وضع هذه الأهداف هو المربي وقد يساهم المدير أو الموجه التربوي في صياغتها.

وهذا المستوى هو المستوى الذي عُني به « بلوم وزملاؤه » حيث فصلوا أصناف الأهداف التي تتناول التغييرات التي تتم في الأفراد من خلال الوحدات التربوية ، واهتموا اهتماماً محدداً بالوصف الفعلي لأنواع سلوك الطلبة [٢] .

---

(١) المرجع السابق (أهداف مادة علم النفس) الأهداف أرقام ١ ، ١٤ .

(٢) انظر بلوم وزملاؤه ، نظام تصنيف الأهداف التربوية (ترجمة الخوالده وعودة) ص ٣١ وما بعدها . وهو مرجع لأكثر من كتب في هذا الصنف من الأهداف ، وقد أفدت منه كثيراً . وإلى بلوم وزملاؤه يعود الفضل في تحديد هذا الجانب وتفصيله ولفت النظر إليه وجعله باباً مهماً في كتب علم النفس التربوي .

صياغة الأهداف السلوكية

يتبين من دراسة كل من مستويات الأهداف العامة والمتوسطة أنها تصاغ في عبارات عامة وغامضة ،مما يجعلها عرضة لعدد من التفسيرات أو التأويلات المتباينة، وقد أدى ذلك ببعض علماء النفس والتربية إلى التأكيد على صياغة الأهداف التربوية التعليمية في عبارات سلوكية ، أو أهداف سلوكية ، تصف التغير المتوقع إحداثه في سلوك المتربي ، وذلك تفادياً لأية تأويلات وتفسيرات مختلفة من جانب القائمين على العملية التعليمية . وتتطلب صياغة الأهداف السلوكية انتقاء الكلمات انتقاءً دقيقاً ، بحيث تعبر بدقة عن القصد لدى القائمين على العملية التعليمية ، وإذا ما حدث عكس ذلك فإن صياغة الهدف تكون قد أخفقت في التعبير عن المقصود تحقيقه في المتعلم ، وتعتبر الصياغة الدقيقة للهدف السلوكي هي تلك التي تستبعد أكبر عدد من التفسيرات والتأويلات الممكنة للهدف ، ومما يساعد على الصياغة الدقيقة للأهداف السلوكية دراسة وتحديد المكونات الأساسية لهذه الأهداف .

مكونات الأهداف السلوكية

يرى روبرت ميجر [١] أن الهدف القابل للإستخدام يجب أن يتضمن ثلاث صفات أساسية هي :

أولاً : تحديد السلوك أو الأداء الظاهر للمتربي :

قد سبقت الإشارة إلى أن صياغة الأهداف السلوكية تتطلب الإنتقاء الدقيق للكلمات ، بحيث تعبر بدقة عن القصد لدى القائمين على العملية التعليمية ؛ لكي يتسنى استبعاد التفسيرات والتأويلات المتباينة للهدف . ويتطلب ذلك تحديد وتمييز نوع الأداء أو التغير الذي سيطرأ على سلوك المتربي بعد الإنتهاء من تعليم وحدة دراسية معينة ، بحيث يكون هذا التحديد واضحاً وصريحاً ودقيقاً، وهذا يتطلب استخدام كلمات أو أفعال إجرائية تتضمن ملاحظة وقياساً مباشراً للأداء المتوقع حدوثه من جانب المتربي ، وتكون شاهداً ودليلاً على تحصيل الهدف ويقترح [بلوم وزملاؤه] مجموعة من الأفعال الإجرائية منها : يصوغ ، يتعرَّف، يفرِّق ، يقارن ، يضع ، يقوم ، يتنبأ ، يستخدم ، يحسب ، يسمى ، يسجِّل ، يشرح ، يطبِّق ، يعرِّف .

ويرى (ميجر) أن استخدام كلمات وأفعال مثل يكتب ، يسمِّع ، يتعرَّف على ، يميز ، يحلّ ، يركب ، يكتب قائمة ، يقارن ، من شأنه أن يقلل من التفسيرات والتأويلات المختلفة ، بينما استخدام كلمات مثل : يعْرف ، يفهم ، يفهم طبيعة ، يتذوق ، يتذوق تماماً ، يدرك مغزى شيء، يستمتع ، يعي ، يتصوَّر ؛ من شأنه أن يجعل الصياغة عرضة لسوء الفهم واللبس وعدم التحديد

---

(١) انظر . Robert Mager , Goal Analysis (1972)

وصعوبة القياس . ويتضح مما سبق أن من أهم خصائص الهدف السلوكي تحديد ووصف نوعية الأداء الذي يجب على المتعلم القيام به واتخاذ هذا الوصف كدليل على تمكنه من تحصيل الهدف . ويتضح كذلك أنه كلما إزداد استخدامنا عند صياغة الأهداف السلوكية الكلمات والأفعال الأدائية ، كلما إزداد توضيحنا للمتربي نوعية الأداء أو السلوك النهائي المتوقع منه تحقيقه أو اكتسابه .

ثانياً : تحديد شروط الأداء :

ومما يزيد من وضوح صياغة الهدف السلوكي ، هو تحديد الشروط أو القيود التي ستفرض على المتربي والتي من خلالها يتبدى السلوك النهائي للمتربي ، والتي يجب أن تتوافر لدى القيام به ، ولتحقيق ذلك تضاف إلى العبارة التي تصف الأداء أو السلوك عبارة أخرى تصف الظروف التي يتبدى من خلالها الأداء مثل :

- يقرأ أمام زملائه ، يتلو إماماً بالمصلين .
- يضرب ويقسم بالآلة الحاسبة .
- يكتب بحثاً باستخدام سليم للمراجع والمصادر .
- يطبق قاعدتي الفاعل والمفعول به في بحث مكتوب .
- يرسم خارطة باستخدام مقياس الرسم .

ثالثاً : تحديد كمية الأداء المقبول (محك الأداء) :

تتطلب الصياغة الدقيقة للهدف السلوكي تحديد المعيار أو مستوى الأداء المقبول والذي يستخدم لتقويم الأداء أو الناتج السلوكي المتوقع تحقيقه لدى المتربي، ويتم ذلك بإضافة كلمات أو عبارات تصف أدنى مستوى يمكن قبوله كدليل على تحقيق المتربي للهدف ومن أمثلة ذلك :

ـ يطبق أحكام النون الساكنة والتنوين على جزء عمّ .

ـ يعدد أسباباً أربعة لانتصار المسلمين في غزوة بدر .

ـ يستعمل أربعاً من أدوات نصب الفعل المضارع .

ـ يكتب صفحة واحدة صحيحة مراعياً علامات التنقيط .

ومن هنا يتضح أن الهدف السلوكي الجيد هو ذلك [الهدف الذي يصف السلوك المطلوب أداؤه بعبارات إجرائية ، يمكن ملاحظتها وقياسها ، ويحدد شروط الأداء التي تعمل على ضبطه ، ويوضح أدنى مستوى للأداء المقبول من المتربي .

أمثلة للأهداف السلوكية مصوغة وفق المكونات المشار إليها :

ـ رياضيات / الجمع والطرح

أن يستطيع الطالب القيام بعمليات الجمع والطرح لأعداد من ثلاث خانات على السبورة .

ـ جغرافيا / استخدام الخرائط

أن يستطيع الطالب رسم ثلاثة أنواع من الخرائط باستخدام مقياس الرسم .

ـ توحيد / أنواع التوحيد

أن يعدد الطالب أنواع التوحيد مدعماً كل نوع بما لا يقل عن ثلاثة أدلة ، وأن يمثّل من الواقع لاختلال هذه الأنواع في بعض الحالات .

ـ تاريخ / غزوة أحد

أن يشرح الطالب أسباب تراجع المسلمين في غزوة أحد في ثلاث

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

تصنيف الأهداف التربوية

أولاً : المجال المعرفي

يمثل تصنيف [بلوم وزملاؤه] في المجال المعرفي تصنيفاً شاملاً لجميع الأغراض التربوية التي يجب على المدرسة الإهتمام بها وتحقيقها ، وذلك من خلال اتباع منهج تعليمي كامل لإعداد المتربي إعداداً كاملاً من الناحية العقلية المعرفية . ويمكن أن نستخدم هذا التصنيف كموجه ومرشد للمربي في صياغة وتحديد الأهداف على مستويات مختلفة ، من حيث العمومية ، وفي وضع الخطط والبرامج ، واختيار أنسب وسائل التدريس الملائمة لتحقيقها ، وكذا اختيار أنسب وسائل التقويم الملائمة لقياس مدى تحقيقها .

يشتمل التصنيف الذي اقترحه [بلوم وزملاؤه] في المجال المعرفي على ست مستويات مرتبة ترتيباً هرمياً تتضمن مختلف العمليات العقلية المعرفية . وتنقسم هذه المستويات إلى فئتين أساسيتين هما : فئة المعرفة (الحفظ) ، وفئة القدرات والمهارات العقلية اللازمة والضرورية لإستخدام هذه المعرفة ؛ وتتضمن هذه الفئة الاستيعاب ، التطبيق ، التحليل ، التركيب ، التقويم .

وتدل الطبيعة الهرمية لهذا التصنيف على طبيعة النشاط العقلي المعرفي ، من حيث أنه يبدأ من الأسهل إلى الأصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، ومن المحسوس إلى المجرّد ، كما تدل أيضاً على أن الفئة المتقدمة تشتمل على الفئات التي تسبقها ، وأن السلوك الذي تتضمنه هذه الفئة يعتبر أكثر تعقيداً وتجريداً من السلوك في المستويات السابقة عليها .

ولا يكاد المنهج الإسلامي يخرج عن هذا التصنيف المذكور ، إلا أن المنهج الإسلامي يستخدم الدافعية والحفز بأنواعه لتشجيع الفرد في المستويات المختلفة من

هذا التصنيف ، وسنشير في كل مستوى إلى عناية المنهج الإسلامي به ونستشهد على ذلك بالأدلة والأمثلة المناسبة .

وفيما يلي وصف مختصر ، ومناقشة لمستويات التصنيف في الميدان المعرفي.

أولاً : المعرفة : وهي القدرة على تذكّر المادة التي تم تعلّمها سابقاً . وتتضمن هذه الفئة استدعاء مدى واسع من المواد إبتداء من حقائق محددة ، إلى نظريات معقدة .

وتمثل هذه الفئة المستوى الأدنى من نتائج التعلم في المجال المعرفي .

أمثلة لصياغة الأهداف في مستوى المعرفة (الحفظ) :

المـــــادة : تاريخ .

الوحـــدة : حياة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ .

الصيـــاغة : أن يستـــطيع الطالب ذكر تاريخ تولي أبى بكر للخلافة ، ومدة خلافته ، وسنة وفاته والإصلاحات في عهده .

المـــــادة : علم النفس .

الوحـــدة : أهداف البحث في علم النفس .

الصـــياغة : أن يكون الطالب قادراً على تعديد أهداف البحث العلمي في علم النفس .

المـــــادة : تجويد .

الوحـــدة : أحكام النون الساكنة والتنوين .

الصياغـة : أن يستطيع الطالب تعـديد أحكام النون الساكنة والتنوين

وتعديد حروف كل حكم من الأحكام .

المـــــادة : فقه .

الوحـــدة : أركان الصلاة .

الصياغة : أن يعدد الطالب أركان الصلاة قارناً كل ركن بذكر دليله .

والاهتمام بالمعرفة والدعوة إليها كثير في المنهج الإسلامي . فالاهتمام بالحفظ مثل : حفظ القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والحكمة ، والشعر الغني بالمعاني ، وغير ذلك من المحفوظات ، وتذكّر المعلومات والأحداث والمواقف والمواعظ ، كذلك حفظ العلم والتزود به وتبليغه ونشره كلها داخلة في هذا المستوى، وقد عنى بها المنهج الإسلامي وطبقها في المجال التربوي ، وإليك بعض الشواهد والأمثلة :

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال :

« لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » (١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال:

« يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتقِ ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ » . (٢)

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« إنما مثل صاحب القرآن كمثل الأبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) أخرجه الترمذي ، وقال حسن صحيح .

أطلقها ذهبت » . (١)

وهذا فيه إشارة إلى ملكة الحفظ وخصوصاً للقرآن الكريم .

وعن ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول :

« نضّر اللّه إمْرأً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلّغه ، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه» (٢) .

وهذا الحديث صريح واضح في هذا المستوى فقد يوجد في المتربين من يتقن مهارة الحفظ والمعرفة والنقل دون الفهم والتطبيق ، ويعد متعلماً ومحصلاً لمستوى من المعرفة يشكر عليه ، ويستفاد منه .

ثانياً : الاستيعاب :

ويشير إلى القدرة على إعادة صياغة المعرفة في كلمات جديدة ، أو بمعنى آخر يشير الاستيعاب إلى قدرة المتربي على فهم معاني الكلمات المتضمنة في مادة دراسية ما ، والاستفادة منها كما يتضح من خلال الترجمة ، والوصول إلى استنتاجات تتعلق بالمادة الدراسية . ويعتبر الاستيعاب أكثر القدرات العقلية شيوعاً في الأوضاع التعليمية .

أمثلة لصياغة الأهداف في مستوى الاستيعاب (الفهم) :

المـــــادة : تاريخ .

الوحـــدة : غزوة أحد .

الصيـاغة : أن يكون الطالب قادراً على شرح ظروف وأسباب تراجع المسلمين في غزوة أحد وذكر ثلاثة شواهد .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه أبو داود ، انظر سنن أبي داود : ٤/٦٨، ٦٩ رقم [٣٦٦٠] وأخرجه الترمذي أيضا وقال حديث حسن.

المـــادة : انجليزي .

الوحـدة : ترجمة .

الصياغـة : أن يكون الطالب قادرا على ترجمة مقطع لا يقل عن سبعة أسطر من العربية إلى الإنجليزية .

وقد ورد هذا المستوى في القرآن الكريم والسنة بلفظ الفقه وهو الفهم، قال تعالى : ﴿ **وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرٌ ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** ﴾ (١) .

وعن معاوية ـ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** » (٢)

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة : قبلت الماء فأنبت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادبُ: أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان : لاتمسك ماءً ولا تنبت كلأً ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به** » . (٣)

وهذا الحديث نص في هذا المستوى مستوى الفهم وفي المستوى الذي قبله، وهو المعرفه المجردة فإن قوله ﷺ « طائفة طيبة : قبلت الماء وأنبتت الكـــلأ »

---

(١) سورة الأنعام : ٩٨ .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم .
(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

يعني التي فقهت في نفسها وأفادت غيرها وقوله : « وكان منها أجادب : أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس » يعني التي حوت العلم وحفظته ليستفيد منه الآخرون .

وقد دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس بقوله:

« اللهم فقهه في الدين . وعلمّه التأويل »

والتأويل هو : التفسير والبيان ، أي ارزقه القدرة على تفسير النصوص وبيانها ، وهذا من لوازم الفهم والإستيعاب .

ثالثاً : التطبيق :

ويقصد به قدرة أو مهارة المتربي على استخدام أو تطبيق الطرق والمبادىء التي تعلمها على مواقف واقعية جديدة ، مثل القدرة على عرض الأفكار وفقاً لقواعد النحو والبلاغة ، والقدرة على تطبيق قواعد رياضية في حلّ مسائل معينة، والقدرة على تطبيق قواعد الفقه والتجويد .

أمثلة لصياغة الأهداف في مستوى « التطبيق » :

المادة : علوم .

الوحدة : حرارة الجسم .

الصياغة : أن يكون الطالب قادراً على استعمال مقياس الحرارة لأخذ درجة حرارة الجسم .

المادة : نحو .

الوحدة : الفاعل .

الصياغة : أن يطبق الطالب قاعدة الفاعل في أمثلة جديدة .

المـــــادة : إملاء .

الوحـــدة : علامات التنقيط .

الصـــياغة : أن يكتـب الطالب موضـوعاً إنشـائياً مـراعياً قـواعـد الفاصلة والنقطـة وعلامة الإستفهام وعـلامة التعجب .

المـــــادة : فقه .

الوحـــدة : أركان الصلاة .

الصيـــاغة : أن يكون الطالب قادراً على تطبيق أركان الصلاة في صلاته أمام زملائه .

وهذا المستوى كثيراً ما أكد عليه القرآن الكريم والحديث الشريف وخصوصاً في المجال السلوكي الخلقي ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ (١)

ومما ورد في المجالين السلوكي والمعرفي قوله تعالى ـ ذما لليهود لحصول العلم وتخلف التطبيق ـ :

﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراةَ ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ . (٢)

والقرآن ـ دائماً ـ في توجيهه للناس يقرن بين الإيمان والعمل الصالح .

وأما الرسول ﷺ فكان يعلم تلاميذه الممارسة العملية إلى جانب الإستيعاب النظري .

---

(١) سورة الصف : ٢ ، ٣ .
(٢) سورة الجمعه : ٥ ، ويرجع إلى تفسير « لم يحملوها ».

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقاومة الأديان

عن كلدة بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ قال : « دخلت على النبي ﷺ ولم أسلّم فقال : « **ارجع فقل السلام عليكم ، أأدخل ؟** » (١) .

وأحياناً يكون التركيز على تحقق التنفيذ ، وإتقان العمل المطلوب من الجلاء والبروز ، بحيث يبدو وكأنه جوهر العملية التربوية المطلوبة :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً دخل المسجد يصلي ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد ، فجاء فسلمَّ عليه ، فقال له : **ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ** . فرجع فصلى ثم سلَّم فقال : **وعليك ، ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ** . قال في الثالثة: **فأعلمني** . قال : **إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر وأقرأ ماتيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالساً ،ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تستوي قائما ثم افعل ذلك في صلاتك كلها .** » (٢)

ومن أجمع الأحاديث في هذا وأبرزها قول الرسول ﷺ : « **صلوا كما رأيتموني أصلي** » فهو تحديد للهدف العملي ، مربوط بالقدوة . وكذا قوله ﷺ وهو يقوم بأعمال الحج في حجة الوداع والناس من حوله ومعه « **خذوا عني مناسككم** » .

ومن حياة المسلمين اليومية نجد صلاة الجماعة مربوطة بإمام يقود الناس في الصلاة ، ومن أغراض ذلك ـ إضافة إلى أغراض أخرى كثيرة ـ تحقيق هدف التطبيق ، حيث يخرج الناس للصلاة ويؤدونها خلف الإمام ، ويتبعونه فيها . يقول الرسول ﷺ : « **إنما جعل الإمام ليؤتم به** » ، وكم هو الفقد والهدر النوعي

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود ، انظر سنن أبي داود : ٥/٣٦٨ ، ٣٦٩ .
(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١١/٥٥٧ ، رقم الحديث [٦٦٦٧] .

والكمي ، لو لم تؤد الصلاة المكتوبة وفق هذه السنة المقررة .

رابعاً : **التحليل** : ويقصد به قدرة المتربي على تجزئة الموضوع أو الفكرة إلى عناصرها ، والتمييز بينها ، وفهم ما بينها من علاقات وفهم المبادىء التنظيمية التي تجعل من المحتوى وحدة كلية منتظمة .

خامساً : **التركيب** : ويقصد به قدرة المتربي على التأليف بين عناصر أو أجزاء المادة بحيث تكون كُلاً أو تركيبا لم يكن موجوداً من قبل ، مثل تأليف قصة أو قصيدة من الشعر ، أو مقطوعة من النثر ، أو وضع خطة عمل ، أو كتابة مشروع بحث ، أو وضع تصميم لجهاز جديد ومبتكر .

سادساً: **التقويم**: ويقصد به قدرة المتربي على إصدار الأحكام الكمية والنوعية على محتوى المادة التي يدرسها ، أو تحديد مدى ملائمة المحتوى لمحكات أو معايير معينة . مثل الحكم على الدقة المنطقية ، والإتساق الداخلي لمضمون المادة، ومثل الحكم على مدى الارتباط بين المحتوى والهدف .

أمثلة لصياغة الأهداف في مستوى التحليل :

المـــــادة : مناهج البحث الأدبي .

الوحـــــدة : مكونات المقالة .

الصيـــــاغة : أن يستطيع الطالب التفريق بين عناصر المقالة البحثية .

المـــــادة : منطق .

الصـــــياغة : أن يميز الطالب بين الحقائق والآراء . (١)

---

(١) لم تذكر الوحدة لأن هذا هدف للمادة وليس فقط لوحدة من وحداتها .

أمثلة لصياغة الأهداف في مستوى التركيب :

المـــــادة : أدب .

الوحـــدة : القصة القصيرة .

الصيـاغة : أن يكتب الطالب قصة قصيرة مشتملة على العناصر المطلوبة .

المـــــادة : تربية .

الوحـــدة : التدريس .

الصـياغة : أن يقترح الطالب خطة متكاملة لإدارة الفصل .

# # #

أمثلة لصياغة الأهداف في مستوى التقويم :

المـــــادة : أدب .

الوحـــــدة : القصة .

الصـــياغة : أن يستطيع الطالب الحكم على القصة من حيث تسلسلها وأسلوبها .

المـــــادة : ثقافة إسلامية .

الوحـــــدة : عمل المرأة .

الصـــياغة : أن يستطيع الطالب تدعيم رأيه في أهمية وظيفة المرأة الأسرية وأن يفند رأي الآخرين .

ومما هو جدير بالذكر أن مستويات التحليل والتركيب والتقويم قد وردت ـ في القرآن الكريم ـ بألفاظ التدبُّر والتفكُّر والنظر والتوسُّم ، وبألفاظ اليقين والإيمان

والعلم ، التي ينتهي إليها الإنسان المتفكّر والمدقق في الآيات من حوله .

قال تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (٢)

حيث يستدل المتعلم من خلال النظر والتفكير على وجود الخالق وعظمته وحكمته ، ويبني على ذلك الإقرار بأنه المعبود وحده ، وهذا داخل في التحليل والتركيب .

وقال تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان مِمّ خلق ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكرْ إنما أنت مذكر ﴾ (٥)

---

(١) سورة سبأ : ٤٦ .
(٢) سورة آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .
(٣) سورة الطارق : ٥ .
(٤) سورة الحجر : ٧٥ ، ومعنى المتوسمين أي المتفرّسين والمتأملين .
(٥) سورة الغاشية : ١٧ ـ ٢١ .

وقال تعالى : ﴿ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ﴾ (١)

إن كلاً من مستوبي التحليل والتقويم ، مستويات طالما وجّه إليهما المنهج الإسلامي في الدعوة والتربية وسعى لتعويد الناس عليهما . فالاستبصار في طبيعة المادة ، وفي الأرض ، وفي النفس ، وفي الكون ، وتحليل الأشياء لوحداتها والتفكير في أصلها ونشأتها ، ثم القيام بتفحص ذلك وتقويمه على مستوى النظر أو العمل ، والوصول إلى الحكم الصحيح على أساس من ذلك ، ضرب من التحليل والتقويم المتضمن في تصنيف الأهداف المعرفية ، وانظر ـ مثلاً ـ إلى بعض الآيات ، ففي بيان أصول النعم الضرورية وما تنطوي عليه من التكامل ، بحيث تمثل كُلا واحداً لايستغني عنه الإنسان ، ويدعو بمجموعه لتسبيح اللّه العظيم . قال تعالى :

﴿ أفرأيتم ما تمنون * ءأنتم تخلقون أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون * أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون * أفرأيتم النار التي تورون * ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (٢)

إن النظر في الشيء ـ ولو كان عادياً ـ ومحاولة تحليله لأجزائه هو نوع من

---

(١) سورة الجاثية : ٤ .

(٢) سورة الواقعة : ٥٨ ـ ٧٤ .

إستعمال التفكير على مستوى أعلى من المعتاد ، والتوصل من خلاله لأحكام منطقية صحيحة ، قال تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً ﴾ (١)

فالطعام شيء عادي بين يدي الإنسان صباحاً ومساءً ، لكن إمعان النظر فيه يهديه إلى أمور أوسع بكثير من مجرد الطعام ، فالماء والتراب (الأرض) ثم الحب أصول مكوِّنة . الماء ذلك السائل العجيب الضروري لكل حياة ، والسهل الميسر المبذول لكل إنسان. والتراب الذي لايزول عن أنظارنا ، وندوسه بأقدامنا ، ونشبه به كل بسيط مستحقر في حياتنا . هذان الأصلان يتحدان ويمتزجان بعد نثر الحب فيهما ، فتخرج أطايب المطعومات ، مختلفة الألوان والأحجام والأشكال والأذواق . لكن من أبدع المكونات وخصائصها ؟ ومن الذي جعل بينها هذا التجاوب ؟ إنه الخلاق العليم .

﴿ وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهة وأباً ﴾ (٢)

ويقول تعالى :

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾(٣)

إن التكوين الدقيق لبيوت النحل والنظام العجيب لمملكته ، والنتاج النفيس

---

(١) سورة عبس : ٢٤ ـ ٢٨ .
(٢) سورة عبس : ٢٨ ـ ٣١ .
(٣) سورة النحل : ٦٨ ، ٦٩ .

لجهده وتعاونه لمحلٌ تفكر وتعقُّل تحليلاً وتركيباً وتقويماً فبيوت النحل « محكمة في غاية الإتقان في تسديدها ورصِّها ، بحيث لايكون في بيتها خلل ، ثم أذن لها تعالى إذناً قدرياً تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها اللّه تعالى مذللة لها ، أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم ، والبراري الشاسعة ، والأودية والجبال الشاهقة ، ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لاتحيد عنه يمنة ولايسرة ، بل إلى بيتها ومالها فيه من فراخ وعسل ، فتبنى الشمع من أجنحتها ، وتقيء العسل من فيها ، وتبيض الفراخ من دبرها ، ثم تصبح إلى مراعيها ... ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ أي إن في إلهام اللّه لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في هذه المهام والاجتناء من سائر الثمار، ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الأشياء ، لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها ، فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر الحكيم العليم الكريم الرحيم »[1]

هكذا يربي المنهج الإسلامي الإنسان على استخدام العقل منذ وقت مبكر ، وبأسلوب فعّال وميسّر ، وجاء علماء النفس والتربية ووجدوا ـ فعلاً ـ أن هناك مستويات للتفكير والنظر تتفاوت كماً ونوعاً ، ووضعوا مثل هذه التدرجات التي يتخذها المربون دليلاً وموجهاً في التخطيط والتأثير على المتربين ، لكن ميزة المنهج الإسلامي أنه لايقف عند هذا الحد ، بل هو ينقل المتعلم المتفكّر بعد ذلك من المادة إلى مكونها وخالقها ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن الاستدلال الضيّق في حدود المادة ذاتها وآثارها القريبة إلى أفق الكون الرحيب ، يقول الدكتور مالك بدري ، عن تميُّز استخدام التفكُّر في الإسلام ومراحله ، وذلك في كتابه

---

(١) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤/٢٠٥،٢٠٨.

« التفكر من الشهادة إلى الشهود » : « وفي رأينا الشخصي أن التفكير يمر بثلاث مراحل متداخلة . تنتهي بالمرحلة الرابعة الأخيرة التي اخترت لها اصطلاح [الشهود] . فهو يبدأ أولاً بالمعارف التي تأتي عن طريق الإدراك الحسي المباشر بالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس ، أو بطريق غير مباشر كما يحدث في ظاهرة التخيُّل ، أو قد تكون هذه المعارف عقلية مجردة ، وكثيراً ما تكون هذه المعارف لا ارتباط لها بالنواحي العاطفية والإنفعالية ، فإذا دقق الإنسان فيها النظر وتعرّف على بعض خصائصها الجمالية ودقة صنعها أو قوتها وشخصيتها ؛ فإنه ينتقل من المعرفة الباردة إلى الإنبهار بجمال التنسيق وعظمة الصنع وبهاء المنظر وهذه هي المرحلة الثانية .. فإذا انتقل بعد ذلك بهذا الإحساس إلى الخالق المبدع فسيزيده هذا خشوعاً ومعرفة بالله وبصفاته العلية ، وبهذا تكتمل حلقات التفكر الثلاث . فالنظر في المخلوقات لايعدو أن يكون مرحلة بدائية يشترك فيها المؤمن والكافر ، كذلك فإن المرحلة الثانية أي مرحلة التذوق لدقة الصنع وجمال التنسيق قد تهتز لها القلوب بغض النظر عن إيمانها أو كفرها ، لكن المعرفة الثالثة التي تأتي بربط هذا التذوق لجمال الكون ودقة صنعته بمبدعه جل وعلا هي النعمة الكبرى التي لاتكون إلا للمؤمن »[1]

مكتبة المهتدين الإسلامية لإقراء الأديان

(١) انظر مالك بدري ، التفكر من الشهادة إلى الشهود ، ص ٣٤ .

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

ثانيا : المجال الخلقي

« مستويات الأهداف الخلقية »

يبيّن المنهج الإسلامي أربع مستويات رئيسة لبناء الجوانب السلوكية الخلقية في الإنسان .

وتنقسم هذه المستويات إلى قسمين يشتمل الأول منها على مستوى التعرّف، بينما يشتمل القسم الثاني على المستويات الثلاثة الأخرى التي تتعلق بالتطبيق والممارسة للسلوك والقيم الخلقية . وفيما يلي عرض لهذه المستويات على نحو تفصيلي .

أولا : التعرّف (السماع) ، ويتعلق هذا المستوى بتهيئة الفرد بيئيا للمعرفة عن السلوك ، ونفسياً لتقبل السلوك والإقدام عليه ، ويمثل هذاالمستوى مدخلا مهما لربط الفرد بالتوجيهات السلوكية والخلقية ، ولفت نظره إليها ، ولمدّ القنوات الضرورية للعلم والإطلاع والمعرفة ، قبل البدء في البناء السلوكي الخلقي، ونجد الإشارة إلى هذا المستوى في قوله تعالى :

﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ (١)

وهذه الآية تشير إلى عناية المنهج الإسلامي بهذا الجانب التمهيدي حتى في حالة الحرب ، وإعلان المفاصلة بين المؤمنين والمشركين ، حيث يُمكّن الفرد ، ليسمع التنزيل وما فيه من أمر ونهي وخلق ودين ، ويعطيه الأمان لذلك، ويضمنه له ، إلى أن يصل إلى مأمنه في بلاده وداره وقومه (٢) .

---

(١) سورة التوبة : ٦ .

(٢) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٦٦ .

فإستعداد المتعلم النفسي ، وانتباهه الاختياري ، وإقباله على السماع والنظر يعد أول خطوة ، ولا يتم ما بعدها إلا بها قال تعالى : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾(١)

وفي بعض الأحيان يواجه المربون الصعوبات والعقبات والإنصراف ، بسبب عدم تحقق هذا المستوى الضروري للتربية الخلقية ، قال تعالى عن حال المشركين المدعوين للعلم والإيمان :

﴿ **فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون** ﴾ (٢)

وقال تعالى عن حال نوح مع قومه :

﴿ **قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ..** ﴾(٣)

وهكذا فإن البداية التربوية تكون بالإقبال على السماع ،والإستعداد النفسي للتلقّى .

ثانيا : الممارسة : وتتناول الجوانب التطبيقية للسلوك الخلقي والوجداني ، وتبيّن بعض النصوص والشواهد في مصادر التربية الإسلامية ثلاث مستويات رئيسة هي:

١ ـ **المستوى الانقيادي** : (ويتعلق بالعمل الظاهري) .

---

(١) سورة ق : ٣٧ .
(٢) سورة فصلت : ٤ ، ٥ .
(٣) سورة نوح : ٥ ـ ٧ .

٢ ـ **المستوى الاقتناعي** : (ويتعلق بالتصديق الباطني المقترن بالعمل الظاهري)

٣ ـ **المستوى الرقابي** : (ويتعلق بالحضور التام في الظاهر والباطن) .

وسنفصّل ذلك فيما يأتي :

المستوى الإنقيادي

وهو السلوك الخارجي ، من القيام بالأعمال الظاهرة وممارستها الشكلية ، دون التأكيد على قيمتها الداخلية لدى الفرد ودون الإهتمام بقناعته بها .

وهذا المستوى هو مستوى « الإسلام » ويشهد له قوله تعالى عن الأعراب ، عندما إدّعوا الإيمان ـ وهو مستوى أعلى من الإسلام ـ

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (١)

حيث نفى الله عنهم الإيمان ، وأثبت لهم الإسلام ، والذي يعنى الإستسلام والإنقياد .

وأصل الإسلام الإنقياد الظاهري ،الذي يتناول ما ظهر من الأعمال ، ويؤيد ذلك تفسير النبي ﷺ للإسلام بالمباني الخمس ـ كما في حديث جبريل ـ عندما سأله قائلا : « يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ . فقال رسول الله ﷺ : « **أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا** » (٢) وخصّت هذه الخمس

---

(١) سورة الحجرات : ١٤ .

(٢) أخرجه مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ١٥٧ ، وأخرجه البخاري أيضا مع اختلاف في الألفاظ .

لأنها أظهر شرائع الإسلام وأعظمها وبقيام الفرد بها يتم إنقياده واستسلامه [١] ومن شواهد هذا المستوى من السلوك ما يأتي :

١ ـ قوله تعالى ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات** .... الآية ﴾ [٢] ؛ حيث تشير الآية إلى أن الإيمان غير الإسلام ، وأنه أخص منه ، فالإسلام أوسع دائرة وهو المرتبة الأولى وتليها مرتبة الإيمان ، ثم القنوت ناشيء عنهما [٣] .

٢ ـ ما رواه أنس رضي الله عنه ، قال كان رسول الله ﷺ يقول : «**الإسلام علانية والإيمان في القلب** » قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول « **التقوى ههنا ، التقوى ههنا** » [٤] .

٣ ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص** » [٥] .

والمقصود بالناس مُسْلمة الفتح من أهل مكة ، وفيه إشارة إلى ظاهر حالهم وأنهم أسلموا رهبة لا عن قناعة ، أما عمرو بن العاص فقد أسلم طائعاً راغبا مهاجراً ، أي أنه بدأ من المرتبة الثانية ؛ فقد وقع الإيمان في قلبه قبل ظاهره ، وذلك في الحبشة عندما اعترف النجاشي بنبوة الرسول ﷺ ، ثم قدم على رسول الله ﷺ في الحال مقبلاً من غير أن يدعوه أحد أو يكرهه [٦] .

فهذا المستوى يهدف إلى تحقيق الأهداف السلوكية على مستوى الظاهر ،

---

(١) انظر محمد بن أحمد السفاريني ، لوامع الأنوار البهية : ١/٢٣٤ .
(٢) سورة الأحزاب : ٣٥ .
(٣) انظر تفسير بن كثير : ٥ / ٤٦٠ .
(٤) أخرجه أحمد انظر مسند الإمام أحمد : ٣ / ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٥) أخرجه الترمذي ، وقال : من حديث ابن لهيعة عن مشرح وليس إسناده بالقوى ، المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ١٠ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
(٦) المرجع السابق .

فيركز على قيام الفرد بالعمل ذاته ، دون النظر إلى خلفيته المنطقية أو جذوره النفسية ، فالممارسة للصلاة والصوم وتلاوة القرآن وقراءة الأوراد والأذكار ، وكذلك الممارسة للتعاون والبذل والطاعة والاحترام والصدق والأمانة والوفاء والنظام ، وكذلك عادات النوم والإستيقاظ والأكل والشرب والنظافة والجلوس والدخول والخروج والركوب والنزول واللبس ... ألخ كل ذلك يقصد به في هذا المستوى الانجاز الظاهر ، وأن يرى المربي الأعمال وقد أُنجزت ، والعادات وقد رسّخت ، والنظام وقد صار مألوفا .

وعبر التراكمات السلوكية الجزئية يكون قد نشأ الفرد على أنماط محددة من الأخلاق ، وخصال بارزة مقصودة من السمات والصفات ، تمهد للمرحلة الخلقية التي تليها .

فكأن المنهج الإسلامي عندما جعل الإسلام هو أول هدف سلوكي لدعوته أراد أن يكون ذلك أحد المداخل للتدرّج بالإنسان ـ إن لم يكن المدخل الرئيسى ـ في سلم التربية الإسلامية الشامخ ، فجعل الناس يسلمون بجوارحهم وأعمالهم وظواهرهم مع وجود أصل الإيمان الذي لا يُقْبل الإسلام إلا به ـ أي ألا يكون الفرد مجردا من الإيمان فيكون منافقاً ـ لكن دون عمق ، ثم بعد ذلك بفترة تطول أو تقصر تنتقل به التربية الإسلامية إلى مرحلة أخرى أعلى ، على تفاوت بين الناس في سرعة بلوغهم للمراحل الأعلى نظراً لاختلاف استعداداتهم وظروفهم وبيئاتهم .

المستوى الإقتناعي

وهو التصديق الباطن المقترن بالعمل الظاهر ، حيث تتم ممارسة السلوك والأخلاق برغبة صادقة وإحساس عميق ، يكسبان العمل قيمة وأهمية في الشعور الباطني ، ودقة وشمولية في العمل الظاهري .

وهذا المستوى هو مستوى « الإيمان » ويدل عليه بعض ما ذكرناه سابقا ، وأيضا تفسير الرسول ﷺ للإيمان بالأعمال الباطنة عندما سأله جبريل فقال «أخبرني عن الإيمان ؟ » قال : **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » (١) فنصّ الرسول ﷺ على الأعمال الباطنة ، لكونها جانبه الأساس ومرتكزه وعنصره المميز له .

ويدل على شمول هذا المستوى للأعمال الباطنة والظاهرة ، وعلى تضمنه للعقائد والأخلاق في آن ما يأتي :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ (٢)

فقوله تعالى لم يرتابوا يدل على حركة القلب ، ومدى قبوله ، وعلى أن الإيمان قناعة داخلية في المقام الأول ، ينبع السلوك منها أو يؤول إليها .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ (٣)

فوجَلُ القلب معنى نفسي داخلي يسند السلوك الظاهري ويسدده ، ويعطيه القوة والإستمرار ، وهو الأساس في مرتبة الإيمان .

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« **الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » (٤) وهذا الحديث حجة في الشق الآخر من معنى الإيمان ومرتبته وهو العمل بأنواعه ، إذ أن

---

(١) أخرجه مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ١٥٧ .
(٢) سورة الحجرات : ١٥
(٣) سورة الأنفال : ٢ .
(٤) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١ / ٦٧ ، وأخرجه مسلم أيضا .

عمل الجوارح جزء من الإيمان وبه يزيد وينقص .

٤ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال لوفد عبد القيس: « **آمركم بأربع : الإيمان بالله ، وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس** » (١)

ومن شواهد ذلك أيضا :

٥ ـ قول عمار بن ياسر رضي الله عنه : « **ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان ـ وفي رواية فقد استكمل الإيمان ـ الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالَم ، والإنفاق من الإقتار** » (٢) .

ويلاحظ من مجموع هذه النصوص أن الاتجاه الخلقي والمنحى السلوكي للفرد في هذا المستوى من الأهداف قد اكتسب بعداً داخلياً وأصبح الفرد يسلك برغبة وقناعة ، وهناك تجاوب واضح ما بين خصال المرء الخلقية واختياراته السلوكية ، وبين قناعاته واعتقاداته الداخلية ؛ فالأمران متلازمان أشد التلازم ، فلا هو يسلك دون قناعة، ولا هو يملك قناعات يخالفها في سلوكه .

وفي هذا المستوى من الأهداف الوجدانية والخلقية يكون حرص المربى على:

١ ـ مد الجذور وتأسيس القناعات بالسلوكيات والعادات التي كان المتعلم قد اكتسبها في المراحل الأولى ، وخصوصاً ما تم اكتسابه في الطفولة والفتوة .

---

(١) أخرجه البخاري ، فتح الباري : ١ / ١٥٧ ، وأخرجه مسلم أيضا . والمقصود بالأربع : الأربع الأول لأنها قواعد الايمان وفروض الأعيان ، ونص على إخراج الخمس إذا وقع لهم جهاد ، انظر ابن حجر ، فتح الباري ١/ ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) انظر ابن حجر ، فتح الباري ١ / ١٠٣ والعالم بفتح اللام أي جميع الناس .

٢ ـ تحقيق المواكبة بين القناعة الداخلية والعمل في السلوكيات الجديدة التي يكتسبها الفرد لاحقاً .

٣ ـ تأكيد مفهوم أن العمل جزء من الإيمان ، ونقل المتربي من مفهوم الترابط بين الإيمان والعمل إلى مفهوم التمازج والتداخل والتوحد بينهما ، بحيث يدرك أن العمل يمكن أن يكون إيماناً كما في قول الله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ أي صلاتكم ، وقول الرسول ﷺ : « **والحياء شعبة من الإيمان** » .

٤ ـ تأكيد مفهوم أن الإيمان ومنه السلوك والأخلاق يزيد وينقص ، يزيد بسلوكيات الاستقامة والطاعة حتى يصير أمثال الجبال الرواسي ـ كما ذكر بعض السلف ـ وينقص بسلوكيات الانحراف والمعصية حتى يصير أمثال الهباء الطائر .

المستوى الرقابي :

وهو كمال الإحساس الداخلي المؤثر في كمال السلوك الخارجي . ويكون بمراقبة النفس ومحاسبتها على سلوكها وفق المعايير المثالية التي تم الإقتناع بها .

وهذا المستوى هو مستوى « الإحسان » وهو أعلى المراتب ويدل عليه تفسير الرسول ﷺ للإحسان بمراقبة العبد ربه وإخلاصه في عبادته وأعماله ، وذلك عندما سأله جبريل فقال « **فأخبرني عن الإحسان ؟** فقال الرسول ﷺ « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »

والإحسان مصدر ، وفعله أحسن تقول : أحسنت كذا إذا اتقنته . والمقصود إتقان العبادة والسلوك والأخلاق على الوجه المندوب والمحبوب شرعاً . والإحسان في ذلك أي الإخلاص فيه ومراقبة المعبود واستحضاره عند العمل ؛ وقد قال ابن حجر رحمه الله [1] : أشار الحديث إلى مرتبتين : أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة

(١) فتح الباري ١ / ١٤٦ .

الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله ﷺ « **أن تعبد الله كأنك تراه** » والثانية أن يستحضر المحسن أن الحق مطلع عليه، يرى كل ما يعمل وهو قوله ﷺ « **فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » وهذه المرتبة قاعدة مهمة وأصل عظيم ، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين . وقال النووي : «مقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك ، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك نافعا من تلبسه بشيء من النقائص ، إحتراما لهم وإستحياء منهم ، فكيف بمن لا يزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته » (١) .

وشواهد هذا المستوى في الأخلاق والسلوك وما يقترن به من الصفات العالية الحميدة ، والخصال النادرة النبيلة كثيرة جدا من ذلك :

١ ـ قوله تعالى ﴿ **الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ (٢) فهذه الخصال من مقامات الإحسان ومن أكمل الأحوال (٣) .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ (٤)

فالله مع المحسنين ممن لهم الصفات المذكورة ـ بتأييده ونصره ومعونته وهديه.

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ١٥٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١٣٤ .
(٣) انظر : ابن كثير ٢ / ١١٦ .
(٤) سورة النحل ١٢٦ ـ ١٢٨ .

وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما ﴾ [١] فقد أمر الرسول ﷺ أن يخير أزواجه بين سعة الدنيا ونظارتها ورفاهيتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال والمشقة وينلن بذلك الجنة ونعيمها جزاء صبرهن وعملهن للصالحات [٢] وحسن مسلكهن الذي يتبوأن به مقام المحسنات . وقد اختار نساء النبي ﷺ رضي الله عنهن الآخرة على الدنيا .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ **إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾** [٣] .

فبعد أن بين قبل هذه الايات حال الكافرين والعذاب الذي هم فيه ، بين هنا جزاء المتقين وما لهم من النعيم ، وبيّن صفتهم التي بها استحقوا ذلك وأنهم كانوا محسنين ، ثم بين أنواع إحسانهم في العمل ، فقال ﴿**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ [٤].

والأهداف في هذا المستوى تترقى بالمتربي ، وتسِمُ شخصيته بخصال التوحيد والإخلاص والعبودية الحقة والطاعة التامة للخالق ، وبخصال السكينة والتؤدة والطمأنينة والإنصاف من النفس ، وبخصال المحبة والبذل والإيثار للخلق . ويسعى المربي للتجاوز بالفرد من مجرد الاقتناع والقبول الداخلي للعبادات والأخلاق والمسالك الفاضلة إلى الإحساس بها ، واستحضارها الدائم ، والمبادرة إليها وتلمُّسها في النفس والناس والحياة والكون وتذوقها والتلذذ بها ، حتى يصل إلى حال تشبه ما يقوله من وصل إلى هذا المستوى من العارفين : « لقد كنت في حال

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) انظر الشوكاني ، فتح القدير : ٤ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
(٣) (٤) سورة الذريات : ١٥ ـ ١٩ .

أقول فيها إن كان أهل الجنة في الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب وقال الآخر : لأهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم »[١].

وكذلك يعمل المربي على نقل الفرد ليستخدم معايير حساسة ودقيقة وشاملة في معاملاته وأخلاقه وعبادته ، بحيث يكون عبداً لله حقا « يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله تعالى ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان »[٢] .

وهذه المستويات الثلاثة في مجال الأهداف الخلقية تتدرج من البسيط إلى العميق ، ومن الأدنى إلى الأعلى ، ومن الصورة الظاهرية الجزئية إلى الإنطباع الداخلي الشامل . وهي تمثل دوائر متدرجة ، من حيث العمق والثبات في شخصية المتربي ، ومن حيث مدى قوة الإنتماء إلى النظام الخلقي في الإسلام ، ويوضح ذلك الشكل التالي : ـ

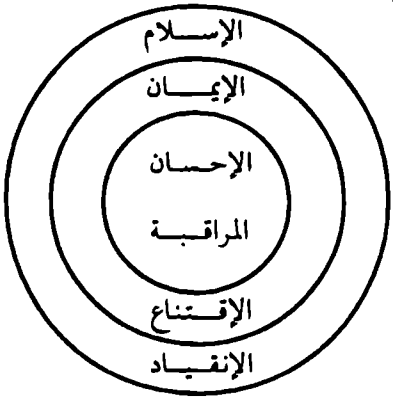

شكل (٢)

[ويبين تدرج الناس في التحصيل الخلقي من حيث العمق والشمول ومواكبة ذلك لمراتب الدين]

---

(١) انظر ابن تيمية ، الفتاوي : ١٠ / ٦٤٧ .
(٢) المرجع السابق : ١٠ / ١٩٠ .

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

فدائرة الإسلام ، وتعني الإنقياد تحيط بالدوائر الأخرى وهي الصبغة الظاهرة وفيها الممارسات ولو لم يصاحبها العمق الموجود في الدوائر الأخرى ، وهي المدخل إلى المستويات الأعمق . ثم دائرة الإيمان داخل دائرة الإسلام ، وتعني الاقتناع إلى جانب الإنقياد ، فهي أعمق من الدائرة الأولى وفيها يتطابق الظاهر مع الباطن ، وهنا تستقر الشخصية أكثر بسبب هذا التطابق ، ولتوفر شروط أكمل في الظاهرة الخلقية ، وإذا تخلف العنصر الإقتناعي والعمق المستوفي للشروط خرج الفرد من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام المحيطة بالإيمان[1] والتي تتطلب شروطا أقل في السلوك والأخلاق .ثم تأتي دائرة الإحسان في العمق ، وتعني تمام المحاسبة والمراقبة للنفس في سلوكها على ضوء الشروط الشرعية ، وتمام التطابق بين السلوك الظاهر والإحساس الباطن ، وهنا تكون الشخصية في أقصى درجات الإستقرار والاتساق والسعادة نفسيا وعمليا .

وفي هذا الصدد بحثت فوزية خياط ـ وهي ممن اعتنى بالأهداف السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تميّز الرؤية الإسلامية في الأهداف وأن « السلوك في الإسلام شامل وعام فهو يشمل السلوك الظاهر والسلوك الباطن ، بينما نرى التربية الغربية تغفل الجانب المخبوء من السلوك ، والتربية الإسلامية إذ تعترف بشطري السلوك فإنها لا تنظر إلى أي منهما بمعزل عن الآخر ... »[2] واستشهدت بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : « إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون عادات في الطعام واللباس ... وغير ذلك ، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ـ ولابد ـ ارتباط ومنافسة فإن ما يقوم

---

(١) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : ٧ / ٤٧٦ ، فقد بين بعض هذه المستويات والدوائر وما يترتب عليها من أحكام شرعية ، ومن تفسير للنصوص الشرعية الواردة في هذا الصدد .

(٢) انظر فوزية خياط ، الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١٢ .

بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة ، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً » (١) .

وتقول فوزية خياط ـ بعد هذا ـ « إن التربية الإسلامية تولي الإهتمام الأكبر في تقويم السلوك إلى إصلاح القلب وتثبيت الإيمان فيه ، فإذا استقام السلوك الداخلي استقام تبعاً له السلوك الخارجي لا محالة ، بخلاف العناية بتقويم السلوك الظاهر فقط فإنه يعتبر بناء على غير أساس ، وكل بناء على غير أساس عرضة للإنهيار » (٢)

ويلتقي الباحث مع هذه الوجهة بإعتبارها الغاية التي يسعى إليها المربي ليوصل المتعلم إليها ، وباعتبارها مطلب مهم وأساس للمستويين الثاني والثالث «الاقتناعي » و « الرقابي » ـ كما بينا من قبل ـ إذ التطابق بين الباطن والظاهر وبين المشاعر والجوارح ضروري في هذين المستويين من السلوك ، ولابد فيهما من العناية بالأعمال القلبية المصاحبة للمسالك الظاهرية . أما بداية التربية وفترتها الأولى وتتمثل في المستوى الأول [الإنقيادي] فإن اشتراط التطابق الكامل الشامل بين الظاهر والباطن غير وارد ، وإنما الذي نطلبه التصديق المبدئي أو أصل الإيمان خصوصاً إذا كان الفرد مكلفاً شرعاً ، لكنه لا يلزم أن يعيش المعاني الخلقية وأبعادها المجردة ، ولا أن يقتنع بها ويسلّم داخليا ، ولا أن يتذوقها ويشعر بالمتعة في ممارستها .

وهذا المستوى وهو الأول قد يطول بالفرد وقد يستمر معه إذا كان من عامة المسلمين الذين ينقادون لشعائر الإسلام وشرائعه ظاهراً ويمارسونها بتقليدية وشكلية ، وبلا عمق داخلي ، علما بأنهم لا يكرهونها أو يكفرونها في نفوسهم

---

(١) انظر المرجع السّابق ص ١١٣ .
(٢) انظر المرجع السابق الصفحة نفسها .

وقلوبهم ـ كما هي حال المنافقين ـ بل معهم أصل الإيمان والإقرار . وقد بيّن الباحث فيما مضى ما يراه شيخ الإسلام ابن تيمية بصورة أشمل عن مرتبتي الإسلام والإيمان ، وهو قريب مما تم عرضه في الدوائر الثلاث المتداخلة الممثّلة للمراتب الثلاث [الإسلام والإيمان والإحسان] ، وأن أحد أسس ومحكات هذا الترتيب والتصاعد فيه هو مدى التطابق بين مشاعر الإنسان ومظاهره .

والذي يريد أن يؤكده الباحث ـ هنا ـ هو أن المستوى الأول وهو «الإنقيادي» يعتبر هدفا للتربية في مرحلة من مراحلها يعوّل فيه على تحقّق السلوك وظهوره والتعوّد عليه ، ولو لم يصاحبه عمق وإستحضار داخليان خلافا لما ذهبت إليه فوزية خياط وأيدته بقول شيخ الإسلام ابن تيمية ، والله أعلم .

وقد تناول بعض علماء النفس والتربية مثل [كراثواهل وزملاؤه] قضية تصنيف الأهداف في المجال الوجداني والإنفعالي ، وسوف نتناول فيما يلي التصنيف الذي اقترحه [كراثواهل] مع المقارنة بينه وبين تصنيف المنهج الإسلامي للأهداف في المجال الخلقي في حال وجود التشابه أو التفارق بينهما . ويقوم تصنيف [كراثواهل] على مفهوم التذويت والذي يشير إلى عملية النمو الداخلي التي تحدث عندما يتبنى الفرد الإتجاهات والمبادىء والروادع التي تشكل مجموعة الأحكام الخلقية ، ويستخدمها في تقدير سلوكه وفي الحكم عليه ، ويتضمن تصنيف [كراثواهل] المستويات الخلقية الآتية :

١ـ الإستقبال :

ويقصد به أن يكون المتربي على درجة من الإحساس والشعور بوجود مثيرات أو أنشطة أو ظواهر معينة ومستعداً لاستقبالها والإنتباه لها . ويتضمن الإستقبال ثلاثة مستويات نوعية هي : مستوى الوعي بالمثيرات، ومستوى الرغبة في الإستقبال ، ومستوى الإنتباه الإنتقائي ، ويعتبر الإستقبال الحد الأدنى في

التصنيف الخلقي عند كراثواهل . ويتشابه هذا المستوى مع مستوى التعرُّف في المنهج الإسلامي ، من حيث أن كليهما يؤكد على التمهيد وتهيئة البيئة التربوية ، بما يثير اندفاع المتربي لتقبل الظاهرة والتعرف عليها. وفي المنهج الإسلامي عناية خاصة بالحاجة الأمنية والنفسية للمتعلم ، فهو يسعى لتوفير الأسباب التي تجعل المتعلم آمناً مطمئناً عند ملاحظة السلوك المرغوب نقله ، أو سماع الموعظة ، أو النقاش في المبدأ . وعموماً فإن إبلاغ الرسالة الخلقية للمتلقي في التربية الإسلامية يحاط بأجواء تبعث على الإطمئنان والثقة وتهيء للسماع والتقبل . ولعل هذه المرحلة بأجوائها هي التي حدت بكثيرين للدخول في الإسلام وتقبل تعاليمه ، وتمثل أخلاقه ، على يدي رسول الله ﷺ ثم على يدي تلامذته من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والأمثلة في هذا كثيرة جداً من سيرة الرسول ﷺ التربوية وصحابته .

٢ ـ الإستجابة :

ويشير هذا المستوى إلى رغبة المتربي في الإستجابة والمشاركة الفعّالة في نشاط يشده ويشعر بالارتياح والرضا عند القيام به ، ولايقتصر دور المتربي هنا على الانتباه إلى المثيرات بل يستجيب لها على نحو ما ، فالمتربي عند هذا المستوى يكون لديه الدافعية الكافية ليس فقط للرغبة في الانتباه ، بل وفي المشاركة على نحو نشط [ويتضمن هذا المستوى ثلاثة مستويات فرعية ، هي : مستوى الإنصياع والإذعان لقواعد وقوانين خارجية ، ومستوى إستجابة الرغبة ، ومستوى إستجابة الإرتياح] . ويشبه هذا المستوى المستوى الإنقيادي في المنهج الإسلامي في بعض الجوانب ، حيث يركز كل منهما على السلوك الإستجابي الظاهري دون عمق داخلي .

٣ ـ التقييم أو التقدير [أن يعطى الشيء قيمة] :

ويرى [كراثواهل وزملاؤه] أن هذا المستوى يشمل مايتفق مع المفاهيم والاعتقادات والاتجاهات التي يتبناها المتربي . ويشير هذا المستوى إلى أن سلوك المتربي يصدر بدرجة كافية من الاتساق والاتزان والثبات إزاء بعض المواقف أو المثيرات أو الموضوعات الملائمة ؛ مما يجعلنا نستنتج أن المتربي لديه قيمة معينة أو اتجاهاً ما . ويقوم هذا المستوى على تبني المتربي مجموعة من القيم المحددة ، [ويتضمن ثلاث مستويات فرعية هي : مستوى تقبُّل القيمة / ومستوى تفضيل القيمة / ومستوى الالتزام بالقيمة] ويلتقي هذا المستوى إلى حد كبير مع المستوى الاقتناعي في المنهج الاسلامي حيث يتم الاهتمام بربط الجوانب السلوكية الخلقية بالعقائد والقناعات الداخلية . ويرتكز المنهج الإسلامي في تعميق المبادىء وتأصيل الأخلاق والفضائل وإعطاءها قيمة وقدراً داخل نفسية المتعلم على نظامه الفريد في الدافعية [1] ، ومن أهمها الدافعية الروحية والأخروية النابعة من داخل النفس والمؤصلة على أساس من الشرع . ويرتكز أيضاً على مفهوم الإيمان الفعال والشامل ، حيث جُعل الإيمان ـ وهو السمة الأساسية ـ في الشخصية المسلمة أمراً تحصيلياً يدخل فيه الخُلُق والسلوك مهما صغر ؛ فإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان .

٤ ـ التنظيم :

ويشير هذا المستوى إلى الظروف التي يواجه فيها المتربي أكثر من قيمة ، مما يستدعي محاولة تنظيمها داخلياً في نسق ثابت ، و نظام قيمي مترابط مع الوقوف على العلاقات المتبادلة بينها ، والتأكيد على القيم الأكثر سيادة . [ويتضمن هذا المستوى مستويين فرعيين هما : مستوى تكوين مفهوم القيمة /

---

(١) سيأتي بيان ذلك في باب الدافعية .

ومستوى تنظيم نسق قيمي]

ويجدر بالذكر أن المنهج الرسلامي يزوِّد الفرد بنظام خلقي شامل ومتكامل ومتوازن ، ليس فيه تصارع أو تناقض بل هو متسق ومتجاوب مع طبيعة النفس البشرية ، ومتلائم مع فطرتها ، يقول الرسول ﷺ : « **البر حسن الخلق والإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس** » . كما أن أسس هذا النظام الخلقي وركائزه محدَّدة ولا مجال للإجتهاد فيها بالحذف أو التعديل أو الإضافة ، وليست مُتغيِّرة يبتكرها الأشخاص ، يقبلها أناس ويرفضها آخرون ، بل هي أوامر الخالق جل وعلا وتفصيلات وتطبيقات المبلِّغ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ التمييز (الوسم بالقيمة)

ويشير هذا المستوى إلى أن القيم قد احتلت مكانها في الهرم عند الفرد ، وأصبحت منظمة في نوع من النظام المتناسق داخلياً ، وسيطرت على سلوك الفرد فترة من الزمن تكفي لتكييف سلوكه بهذه الطريقة . والذي يهمُّ هنا أمران ـ كما يقول كراثواهل وزملاؤه ـ « (أ) تعميم هذه السيطرة أو الرقابة على قدر كبير من سلوك الفرد بحيث يمكن وصفه وتمييزه كشخص عن طريق هذه الاتجاهات المتغلغلة المسيطرة ، و (ب) دمج هذه المعتقدات والأفكار والمواقف والإتجاهات في فلسفة كاملة ، أو نظرة للعالم » [1] . ويقول كراثواهل وزملاؤه : « ومن ناحية واقعية فإن التعليم الرسمي يعجز على العموم عن الوصول إلى هذا المستوى في مجتمعنا (الأمريكي) على الأقل .. ولابد من تفاعل الزمن والخبرة مع ما تعلمه المرء معرفياً وانفعالياً قبل أن يستطيع المرء الإجابة على السؤالين الهامين التاليين :

---

(١) انظر كراثوهل وزملائه ، نظام تصنيف الأهداف التربوية / المجال الوجداني ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

«من أنا » ؟ و « ماذا أمثل » ؟ » [١] وكأن كراثواهل يعترف بأن عدم وجود نظام قيمي ثابت ومؤصل يفوّت على الأفراد الوصول إلى هذا المستوى الخلقي المتميّز حيث يتخبط الفرد سنوات طويلة في البحث عن الحقيقة والغاية من الحياة .

ورغم أن هذه المرحلة مرحلة راقية ، ومستوى من الأهداف سام ورائع إلا أنها تحلّق في الخيال كثيراً ؛ فهي مثالية غير قابلة للتعميم والتطبيق على نطاق واسع، ثم إنها تجعل كلّا يعمل على شاكلته وليس هناك شيء متفق عليه .

وهي تشبه مرتبة المراقبة في المنهج الإسلامي ، من حيث ثبات القيم ورسوخها عند الفرد ، وإمكانية التنبؤ بسلوكه فيها ،إلا أنها تختلف عنها من حيث المفهوم والآلية الموصلة لها ، فالقيم في المنهج الإسلامي محددة ومبنية في نظام متسق ومتجاوب ، كما أن أساليب التثبيت عليها ترتكز على نظام العبادات والعلاقات وعلى التحكم في الأجواء والبيئة بما يتلائم مع النظام القيمي ، ثم تترك للأفراد إمكانية التفاوت في تحصيل مستويات أعلى ومقادير أوفى من المحامد والفضائل ، كل بحسب قدرته وجهده وظروفه ، وبحسب إرادته وإصراره قال تعالى :

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ [٢] .

وقال تعالى :

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [٣]

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٥ .
(٢) سورة فاطر : ٣٢ .
(٣) سورة النحل : ١٢٦ .

وقد ترقى تلامذة رسول اللّه ﷺ من الصحابة إلى درجات عالية في خصالهم وسجاياهم ، فمنهم من أخذ من كل فضيلة أعلاها كأبي بكر ـ رضي اللّه عنه ـ ومنهم من تخصص في مجموع صفات معينة ـ مع أخذهم بحظ فيما عداها ـ مثل عمر ـ رضي اللّه عنه ـ في مجموع صفات [العدل والانصاف والصدع بالحق والجرأة ومحاسبة النفس] وعثمان في [الجود والبذل واللين والرحمة والحياء] وعلي ـ رضي اللّه عنه ـ في [القيادة والإقدام والصبر والفراسة والقضاء] وهكذا غير هؤلاء .

عن أنس بن مالك ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أرحم أمتي بأمتي أبى بكر ، وأشدهم في أمر اللّه عمر ، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأقضاهم على بن أبي طالب ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أُبي بن كعب ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح » .(١)

والمهم أن المنهج الإسلامي بمفاهيمه وآليته وببيئته الخاضعة له قادر على توسيم الأشخاص ، وصقل شخصياتهم ، وبناء أنماط وسمات معينة فيها ، محكومة بالنظام الخلقي الإسلامي .

---

(١) أخرجه الترمذي ، أنظر المباركفوري ، تحفة الأحوذى : ١٠/٢٩٣،٢٩٤ . ومعنى أفرضهم : أي أكثرهم علماً بالفرائض والمواريث وأخرجه ابن ماجه ، انظر صحيح ابن ماجة بتحقيق الألباني : ١ / ٣١ .

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الباب الثاني

ـ تعريف الدافع والحافز .

ـ التصنيف الثلاثي للدافعية .

ـ مستويات الدافعية وخصائصها .

ـ الحفز في الدوائر العضوية والدنيوية والأخروية .

تعريف الدافع والحافز

لقد ذكـر الباحثون والدارسـون في علم النفس والتربية كثـيراً من التعريفات للدوافع والحوافز ، وجل هذه التعـريفات تبيِّن أن الدافع حالة توتر ، أو نقص ، أو إشكال عـضوي أو نفسـي يصاحب الإنسـان حتى يتم سـده وإشبـاعه [١] ، وأن الحوافـز هي أساليب حث وتنشيط ترتكـز على سد الحاجـة النابعة من الدافع [٢]. وعليه فالدافع سابق والحـافز لاحق ، والدافع حالة بينما الحافز أسلوب يسـتثمر أو يعالج الحـالة ، كما أن الدافع حـدث في الغالب ذاتي أو جبلي ناشىء من الحـاجة الطبيعية للإنسان ، بينما الحافز عمل إرادي .

وسنختـار من التعـريفات تعـريف علي محـمد عبـد الوهاب ـ وهـــو رجل إدارة ـ نظراً لدقته وشـموله ، إذ أن أكثر التـعريفات ينقصهـا الإشارة إلى الجانب الروحي ، أو ينقـــصهـا التـرتيب المنـطقي الذي يوضح عـلاقـة الدافـع بالحـافـز . والتعريـف المخـــتار هـــو أن « الدافع عبارة عن حـاجة ناقصة تتطـلب الإشباع ، ويظل الفرد متوتراً حـتى تشبع هذه الحاجة بدرجة معينة ، فإذا أشـبعت الحاجة أو الحاجات التي يسعى الإنسان إليها عاد التوازن الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي إلى ما كان عليه ، أو إلى درجة أعلى أو أقل مما كان عليه » [٣].

---

(١) انظر محمد خليفة بركات ، علم النفس التعليمي ص١١١ ، وانظر عبد الله عبد الحي موسى ، المدخل إلى علم النفس ص١٨٤ ، وانظر أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، ص ٢٠٩ .

(٢) انظر المراجع المذكورة في الفقرة السابقة أيضاً .

(٣) علي محمد عبد الوهاب ، مقدمة في الإدارة ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

وأن « الحافز هو الشيء الذي يقدم لإشباع الحاجة الناقصة » (١) .

ومع أن الكثير من التعريفات بما فيها التعريف المشار إليه آنفاً ينسجم إلى حد كبير مع المنظور الإسلامي في تحديد معنى الدافع والحافز ولو اختلفت الأسماء التي تطلق على الدوافع والحوافز في الشرع (٢) إلا أن المنظور الإسلامي له تعليلاته وخصائصه في تفسير الدافعية ، وبيان كيفية حدوثها ، وفي تصنيفها وبيان أنواعها ، وفي ترتيبها وبيان الأولويات من الثانويات ، وهذا الاختلاف نابع من اختلاف نظرة الإسلام للحياة وفلسفتها ، وللإنسان : معنى وجوده وأهدافه ، وللنفس البشرية : طبيعتها وحدودها .

وقد تناول عدد من المهتمين بالتربية الإسلامية وعلم النفس الإسلامي موضوع الدوافع ، وطرحوا رؤى وتفصيلات متعددة عن مستويات الدافعية وأنواعها وآثارها ، منهم محمد قطب ، ومقداد يالجن ، ومحمد عثمان نجاتي (٣) وغيرهم .

وممن توسع في هذا محمد رفقي عيسى في كتابه « الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح » ، وقد تطرق فيه إلى تقويم نماذج ونظريات الدافعية الحديثة

---

(١) المرجع السابق ص١٥٤ .

(٢) يطلق على الدوافع في المصادر الإسلامية : الفطرة والشهوات كما ورد في القرآن ، والملذات والدواعي الجبلّية والغرائز . كما أورد بعض العلماء . ويطلق على الحفز : التحريض والحض والوزع والترغيب والترهيب كما ورد في القرآن ، والمحركات والبواعث كما أورد بعض العلماء . انظر عبد العزيز الهميميد ، الحوافز في التربية الإسلامية « رسالة دكتوراة غير مطبوعة » من كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ص ٧٧ - ٨٢ .

(٣) تناول محمد قطب الموضوع في كتابه « دراسات في النفس الإنسانية » وتناوله مقداد يالجن في كتابه «علم النفس التربوي في الإسلام » وتناوله عثمان نجاتي في كتابيه « القرآن وعلم النفس » و « الحديث النبوي وعلم النفس » .

ونقدها ، وطرح رؤية جديدة للدوافع وفق المنظور الإسلامي مبنية على ما وضعه بعض العلماء في مقاصد الشريعة الإسلامية ودرجاتها [١]. حيث اقترح نموذجاً للدافعية أسماه « دافعية الحياة » [٢] وبيّن مبادئه الأساسية والمفاهيم المتعلقة به ، ومقاصد الدافعية والتي تنطلق من بعدين :

الأول : الأغـــراض الفردية ومدى ارتباطها بحيز الحياة ، ومسئولية الفرد في تحـــقيقها .

والثاني : الأغراض العامة ومدى المسئولية المناطة بالفرد من خلال ارتباطه بالعموم .

وتتمثل مقاصد الدافعية وفق نموذج « دافعية الحياة » في خمس مجالات هي : الحفاظ على الدين ، والحفاظ على النفس ، والحفاظ على العقل ، والحفاظ على المال ، والحفاظ على النسل . وتأتي مستويات التحقيق متدرجة على حد الكفاية باعتبارها ضرورات ، فحد التيسير باعتبارها حاجيات ، ثم حد الترف باعتبارها تحسينيات . وهي في كل مستوى ترتبط ببعد أخلاقي يحدد المعايير يتمثل في منهج ثابت وشريعة تكفل الإطار الموحد وتضمن حرية العمل بداخله .

وما طرحه محمد رفقي عيسى في « دافعية الحياة » يتميز بالنظرة الشمولية ، وبالعمق نظراً لقيامه على التفصيل الفقهي والأصولي للمقاصد الشرعية ، لكننا بحاجة ماسة إلى نموذج يكون أكثر عملية وأكثر انفتاحاً يسهل على المربي والداعية والمعلم تتبعه واستحضاره واستخدامه . وبمعنى آخر تتطلب العملية التربوية والتنشئة الاجتماعية في ضوء الإسلام وجود رؤية للدافعية تكون مخففة

---

(١) انظر الشاطبي ، الموافقات : ٢/ ٨ فما بعد .

(٢) انظر شكل النموذج في الكتاب ص١١٧ .

وميسرة الاستعمال . وهذا بلاشك ينسجم مع يسر الإسلام وعفويته وموافقته للفطرة ، ويجعل المربي أكثر قدرة على معالجة السلوك ومشكلاته بصورة ميدانية مباشرة .

على أن هذا النموذج المبسط والذي نحتاج إليه ونعتقد أنه موجود في السياق النظري والعملي لهدي الرسول ﷺ في الدعوة والتربية لن يكون مناقضاً لنموذج « دافعية الحياة » ، ولا موافقاً له تماماً ، بل يمكن أن يكون صورة أخرى لنموذج الدافعية وفق المنهج الإسلامي ، إذ من الممكن أن تتعدد الصور التي نقتبسها من المصادر الشرعية وتطبيقاتها العملية دون أن يكون بينها تناقض أو تنافر .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

التصنيف الثلاثي للدافعية

يرتكز المنهج النفسي الإسلامي في موضوع الدوافع على نظرته إلى أن الإنسان مخلوق مكون من عنصرين جسدي وروحي ، قال تعالى : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون** ﴾ (٢)

وعلى العقيدة بأن الإنسان امتداد لحياتين حياة الدنيا ، وحياة الآخرة ؛ كما قال تعالى :

﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ (٣)

وقال تعالى :

﴿ **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير** ﴾ (٤)

وبناءً على هذا التصور التكويني لماهية الإنسان ، والتصور الزمني لامتداد

---

(١) سورة ص : ٧١ .

(٢) سورة السجدة : ٧ ـ ٩ .

(٣) سورة القصص : ٧٧ .

(٤) سورة النحل : ٣٠ .

الإنسان يُنظر للدافعية على أنها تتشكل في ثلاث دوائر متداخلة يحيط بعضها ببعض ، تبدأ بالدائرة العضوية اللصيقة بالإنسان ، المتمثلة بحاجات الجسد مثل النفس ، والنوم ، والطعام والشراب ، وتتوسط بالدائرة الدنيوية المتمثلة بالحاجات المادية والنفسية غير المباشرة مثل التملك ، والانتماء ، والاستطلاع ، والثناء ، وتنتهي بالدائرة الأخروية المحيطة والمهيمنة على بقية الدوائر والمتمثلة بالحاجات الروحية والإيمانية مثل الدينونة والعبادة والأمانة ، ومثل الرغبة في النعيم والرهبة من الجحيم . وفي الشكل [٣] ما يبين هذه الدوائر .

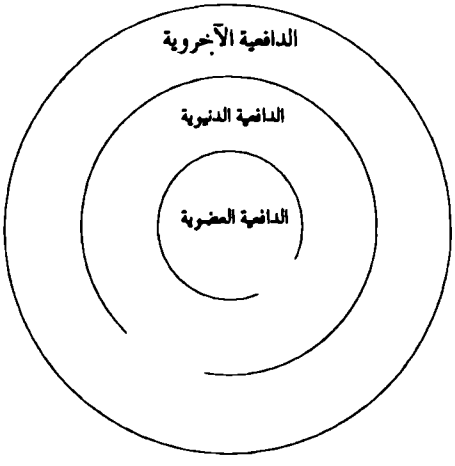

الشكل [٣] ويمثل دوائر الحفز وفق المنظور الإسلامي للدافعية

وينظر الإسلام إلى هذه الدوافع بترابط وتكامل ضروري لحياة الإنسان ، فالدوافع العضوية والدنيوية والأخروية لها أساس في فطرة الإنسان وتكوينه ، وتختل حياة الإنسان وتظهر مشكلاته بمقدار الإخلال بها نوعاً وكماً وترتيباً . فالإنسان يولد وهذه الدوافع كامنة فيه ، وتبدأ بالظهور شيئاً فشيئاً ، فهو يحس بحاجته العضوية منذ ولادته فيباشر النفس ، ثم الرضاع ، ثم الشرب والأكل ،

وهكذا النوم والإخراج ...الخ ، ثم يحس بحاجته الدنيوية ، فيحب التملك ، والثناء ، والاجتماع بالآخرين ، ثم يحس بحاجته الأخروية إلى الدين والإيمان ، وإلى التعبد والتخلق .

ويتميز هذا التشكيل الثلاثي للدوافع في هذه الدوائر بما يأتي :

١ ـ الشمولية حيث يشمل هذا التشكيل التطلعات الروحية والمادية ، ويشمل الأعمال الدنيوية والأخروية ، ويشمل الحاجات الفردية والجماعية .

٢ ـ التداخل والتمازج حيث تؤثر كل دائرة في الدائرة الأخرى ، فالدائرة العضوية تمهد للدنيوية وتهيء لها ، والدائرتان العضوية والدنيوية تعينان في تحقيق الدوافع الأخروية ،والعكس صحيح أيضاً .

٣ ـ الترقي بالإنسان والسمو بتطلعاته حيث تتصاعد هذه الدوائر به من الاهتمام بالأعمال والقيام بها لأسباب عضوية إلى القيام بها لأسباب أكثر ثباتاً واستمراراً ، وهي الدوافع الدنيوية ثم الأخروية .

٤ ـ هيمنة الدائرة الأخروية على بقية الدوائر حيث تحيط بالدوائر الأخرى وتغلق عليها ، وبهذا تعتبر الدائرة الأخروية هي مركز القيادة للدافعية عند الإنسان ، أو هكذا يريد منهج التربية الإسلامي ، وهذه الميزة تؤدي لوحدة هدف الإنسان ووحدة توجهاته وتطلعاته وغاياته النهائية .

عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من كانت الدنيا همَّه ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته ، جمع الله**

له أمره ، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » (١) .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : **« سمعت رسول الله ﷺ يقول : من جعل الهموم همّاً واحداً ، همَّ المعاد ، كفاه الله همّ دنياه ، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك »** (٢)

والإنسان وفق نظرة الإسلام للدوافع يمكن أن يُدفع بكل هذه الأنواع ، ووفق هذا السياق إذا ما كانت البيئة بيئة إسلامية في روحها ومعالمها ومظاهرها . فالطفل إذا نُظِّمت حاجاته العضوية وأشبعت إشباعاً مناسباً كانت دافعاً له لإنجاز أعمال وأنشطة مرغوبة ، ووجد نفسه مهيئاً للأعمال الدنيوية والأخروية . وأما إذا حرم من حاجاته العضوية أو أسيء إشباعها انخفض مستوى الإندفاع ، وقعد عن الأعمال والأنشطة المرغوبة .

وهكذا دوافعه الدنيوية تحتاج لسد وإشباع ؛ فهو يحتاج إلى الاجتماع بالآخرين سداً لحاجة الانتماء ، وإلى الشكر والثناء سداً لحاجة الاحترام ، وإلى المال سداً لحاجة التملك ، وهذه يمكن أن يدفع بها الإنسان لتحقيق أعمال وواجبات أخرى ، كما أنها تهيء للاستقرار والاستعداد للأعمال الأكثر سمواً والأعظم أثراً ، من أعمال الخير والبر الدنيوية والأخروية .

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : **« لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار »** (٣) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه ، وقال عنه الألباني صحيح ، انظر الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه : ٢/٣٩٣ رقم [٣٣١٣] .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، وقال عنه الألباني حسن ، انظر المرجع السابق نفسه رقم الحديث [٣٣١٤] .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٣/٥١١ ، الحديث رقم [٧٥٢٩] .

فقد لبى المال ـ عند الصنف الثاني ـ حاجته إلى التملك ، ودفع صاحبه لتحقيق الغايات الأخروية ببذل المال في سبيل الله ، فحقق ذلك سد الحاجتين الدنيوية والأخروية .

والدوافع الأخروية نظراً إلى أنها دوافع غير مباشرة كالعضوية ، وغير حاضرة كالدنيوية ؛ فإن الإنسان كثيراً ما يغفل عنها أو يؤجلها أو يهملها ، إلا أنها لابد وأن تلح على الإنسان ويحس بها تطرق بابه وتطرح عليه الأسئلة الأساسية في الحياة مثل : من أنا ؟ وما غايتي ؟ وإلى أين أنا ذاهب ؟ وما هو الطريق والمنهج ؟ فإذا أشبع الإنسان هذه الدوافع استقرَّ وأطمأن ، وإذا أهملها قلق واضطرب وانعكس هذا نغصاً وكدراً وتيها وضياعاً على مجمل حياته .

وهذا التصنيف الثلاثي للدوافع ـ الذي أشرنا إليه ـ لانجد ما يشبهه في النظريات التربوية بسبب اختلافها في الأسس والتصورات عن الإنسان ، ونجد أنها تصنف الدوافع إلى فطرية ومكتسبة ، أو شعورية ولا شعورية ، أو عامة وخاصة ، أو عالمية وبيئية وشخصية .

ويصنفون الحوافز المترتبة على الدوافع إلى إيجابية وسلبية ، أو مادية ومعنوية، أو فردية وجماعية ، أو ذاتية وخارجية وتفاعلية مشتركة [1] . وهذا الأخير يعد من أفضل التصنيفات نظراً لشموله وإحاطته ، إلا أنه كغيره يهمل الجوانب الروحية والأخروية .

ومن أقرب التصنيفات إلى التصنيف الإسلامي للدوافع ـ الذي أشرنا إليه ـ تصنيف المدرسة النفسية الإنسانية الذي قال به « ماسلو » Maslow وتدعى أحياناً بنظرية التدرج الهرمي حيث ينظر إلى اندفاع الإنسان ، وإلى أعماله وأنشطته

---

(١) انظر أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس « الباب الأول » ، وانظر عبد العزيز الهميد الحوافز في التربية الأسلامية ص٦٠، ٦٢ ، ٦٧ ـ ٧١ مرجع سابق .

وإشباع متطلباته على شكل هرمي مرتب من الأدنى إلى الأعلى ، ومن الملحّ المهم إلى الأقل أهمية وإلحاحاً ؛ فالحاجات العضوية الفسيولوجية تأتي في القاعدة ، وهي أول ما يشبع من الحاجات ثم الأمن ثم الانتماء ، وتأتي الحاجات والدوافع الجمالية والتذوقية في أعلى الهرم ، ويندفع لها الإنسان بعد سد حاجاته الأكثر أهمية في أدنى الهرم وفي الشكل [٤] بيان لهذا الهرم التصاعدي للدوافع

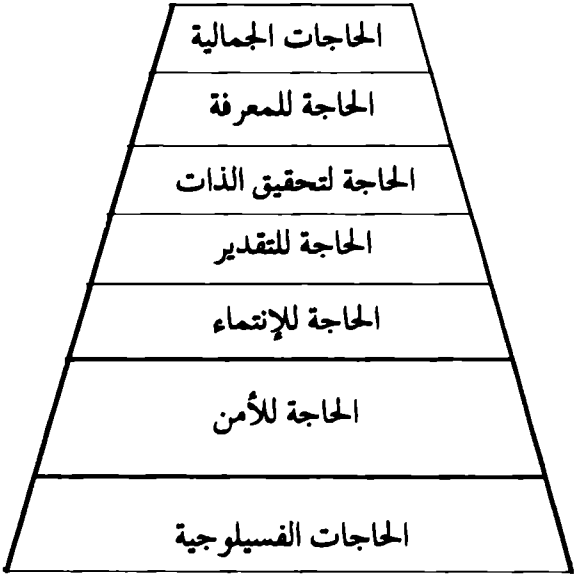

الشكل [٤] يمثل السلم الهرمي للدوافع في النظرية الإنسانية

ومع ذلك فإن النظرية تخلو من الدوافع الروحية والأخروية ، فهي مبتورة كغيرها من النظريات المطروحة في علم النفس فقد أهملت الشق الأساس من حياة الإنسان المتمثل بحاجته الروحية ، وأهملت الجانب الآخر من امتداد الإنسان والمتمثل بالدوافع الأخروية . وإضافة إلى ذلك فهي تنصف الفرد وتجور على المجتمع حيث تعنى بإشباع دوافع الفرد وتحقيق ذاته ، وتهمل مصالح المجتمع ومقوماته ، وتجعل النظر إليه متأخراً ومكملاً .

مستويات الدافعية وخصائصها

إن عملية الدافعية تحدث عند الإنسان على نحو تدرجي من حيث الإلحاح والمباشرة ، ومن حيث الترتيب الزمني ، ومن حيث المراحل العمرية والنمائية . وهذا التدرج يجري تتابعياً على النحو الآتي :

أولاً : الدوافع العضوية

وتتمثل بالحاجة الملحة للجسد بأعصابه وأعضائه وأجهزته المختلفة وعملياته المتنوعة . ويدخل في هذا الجانب دوافع الجوع والعطش ، والنفس ، والنوم ، والوالدية ، والولدية ، والجنس ، وتجنب الألم والحرارة والبرودة ... الخ

وتتميز هذه الدوافع بما يأتي :

١ ـ أنها فورية يتم إشباعها بطرق فورية مباشرة . وهذا هو الأصل في إشباعها ، وذلك لوضوح موضوعها وشدة إلحاحها وأولويتها .

٢ ـ أنها دوافع جسدية ملتصقة بالتكوين الجسدي للإنسان ذات علاقة بمادته أعصاباً ودماً وغدداً ومكونات أخرى ، وعندما يفقدها الجسد يختل التوازن الكيميائي فيه ، فيسعى الإنسان عبر حاجاته إلى التوازن ؛ وبحدوث الإشباع المناسب يعود التوازن الكيميائي مرة أخرى إلى البدن .

٣ ـ أنها أول ما يظهر عند الإنسان من الناحية العمرية ، فهي الحاجات الجليّة والمبادرة عند المولود والطفل ؛ فهو أول ما يحسّ بحاجته الجسدية

من طعام ، وشراب ، ونوم ، وأمومة ، وتجنب للألم .. الخ .

٤ ـ أنها دوافع مشتركة بين الإنسان والحيوان لما لها من صفة فسيولوجية موجودة عند الحيوان حيث يحتاج للطعام والشراب ، والهواء ، والنوم ، والجنس . وهذه الخاصية تجعل الدوافع العضوية عامة في الكائن الحي .

ثانياً : الدوافع الدنيوية :

وتتمثل بحاجات الإنسان في محيط حياته الدنيا ، من حيث وجوده في وسط مادي واجتماعي . وتبرز هذه الدوافع في علاقات الإنسان ، وتطلعاته، ومحبوباته الدنيوية ، سواء كانت هذه الحاجات شخصية أو نفسية أو اجتماعية .

ويدخل في هذا الجانب دوافع من قبل حب التملك ، والذكر والجاه ، والجمال والانتماء ، والاستطلاع ، والتقليد ، والإنجاز ، وغير ذلك .

وتتميز هذه الدوافع بالآتي :

١ ـ أنها تتطلب الإشباع على التراخي لا على الفور ، وهي أقل إلحاحاً من الدوافع العضوية ، فالمحتاج إلى المعرفة والاطلاع يشبع حاجته في مدى زمني أوسع ، وقد يؤجل الإشباع لفترات طويلة جداً ، والمحتاج إلى الانتماء يشبع حاجته على التراخي ، وقد يصبر لزمن ، بينما الجائع لابد أن يتناول ما يسد جوعه ، والمرهق لابد أن ينام ليزول رهقه دون انتظار .

٢ ـ أنها دوافع مرتبطة بالعقل والنفس لا بالجسد ، فحب الإنسان للمال والجاه والجمال وتكالبه على ذلك أمر نفسي وعقلي ، وإلا فإن

المال القـليل يسد جوعه وعطشه ومأواه وجميع حاجات جسده . ومع ذلك يظـــل يطلب المال . وكذلك الجمال والجاه ففيهما متعة نفســية وعـقلية .

٣ ـ أنهـــا تظـهر وتبرز عقب الدوافع الجسدية من حيث المرحلة العمرية ، فالميل للمـــال والجمـال والاطلاع يظهر ويتمكن أكثر بعد الطفولة ، بل إن بعـضهـا لا يتضح ولا يمارس وظيفـته إلا في المراهقة وما بعـدها، مثل الدافع للمال ، والدافـــع للإنجاز ، وذلك لما تتطلبه من نضج واســتواء عـقلي .

ثالثاً : الدوافع الأخروية :

وهي دوافع متأصلة في الطـبيعة الإنـسانيـة ، وتتمثل بالحاجات الروحية الضرورية لسلامة كيان الإنسان وطمأنينته وسواءه . ومن هذه الدوافـــع الدافـــع الديني ، والعـــبادي ، والخلقي ، والأمني ، وينبني عليـــهـا حـــفز الإنســـان بطلب رضا اللّه واتقاء سخطه ، وحفزه باليوم الآخر ومـا يشتمل عليـه مـــن أحـوال وأهوال ، وبالجنة ونعـيمهـا ، والنار وعـذابهـا ، وحفـزه بالحاسة الخلـقية .

وتتميز هذه الدوافع بالآتي :

١ ـ أن إشبـــاع هذه الدوافع هو إشبـــاع روحي بالدرجـة الأولـى ، فنحن نشبع الحاجـة إلى التديـــن والعبـادة بالصـلاة ، والذكر والدعاء ، وتلاوة القـرآن ، وبالصـوم والحج ، بينمـــا نشبـع العـضـوية بالطعـام والشـراب والهواء ... وهكذا .

٢ ـ أن ظهور هذه الدوافع يكون قرب البلوغ حيث ترتبط هذه الدوافـــع

أكثر بالنضج العقلي والاستواء النفسي وحياة الضمير .

٣ ـ أنها تصنف في الدوافع الذاتية الداخلية نظراً لتأسسها على كوامن التدين والتعبد والفطرة ، ولكون العائد والمكافأة المتمثل بالجنة ونعيمها والنار وعذابها أمور غير حاضرة ، وإنما هي مغيبة آمن بها المرء دون أن يراها ، وعَمِل المرء وأطاع تصديقاً بوعد الله ووعيده ، وهذا التصديق أمر داخلي ذاتي .

٤ ـ أنها أقوى أنواع الدوافع ، وأعظمها قدراً ومكانة ، وأكثرها ملازمة للإنسان ، لأنها تدفع الإنسان في السر والعلن ، وفي كل الأوقات والأحوال ، وأينما كان ، ولأنها دوافع تؤدي به إلى السمو والاستعلاء والعزة والشرف . فالدافع الديني هو ميزة الإنسان وخصوصيته ، والدافع العبادي هو مناط رفعته وكرامته .

٥ ـ أن لها السيادة والقيادة على بقية الدوافع مهما كانت فورية وملحة، وذلك بسبب شموليتها وخصوصيتها ، إذ أنها هي التي تميز الإنسان ـ كما ذكرنا ـ عن أنواع الخلائق الأخرى ، فالإنسان يشترك مع الحيوان والنبات في المادية من حاجة للطعام والشراب والنفس ... الخ لكنه يختص بالدينونة والعبادة والأمانة والخُلق ، وهذا مناط كرامة الإنسان ، وهو ما جعل له السيادة والقيادة على سائر الدوافع ، وبغفلة الانسان عنها وعن إ شباعها ، وبمعارضتها أو الاصطدام بها يتيه الإنسان ويشعر بالضياع والقلق والذهول ، اذ أ نه قد عطل مؤهله القيادي ورائده في الحياة . وبهذا نجد التشخيص الصحيح لكثير من مشكلات الإنسان النفسية والاجتماعية ، وأنواع معاناته في الحياة والمجتمع والعالم وخصوصاً في العصر الحاضر .

فمتى كان للدوافع الدينية الأخروية القيادة والريادة ، وكانت الدوافع الأخرى تابعة مقودة حصل للإنسان وللمجتمع التوازن والانتظام ، وراقت الحياة ، وقام الحق في حياة الناس كما قام في الكون . والعكس صحيح ، فاذا أهملت الدوافع الأخروية أو همّشت أو صارت تابعة شاع الباطل ، وضاقت حياة الناس وتفككت ، وأحس الإنسان بالخواء والضياع ، كأنه بلا قائد ، بل وأحس بالغربة والشذوذ في منظومة الكون البديع . والقرآن وحى الله المنزل على رسوله ﷺ هو رائد الإنسان وقائده لهذا الانتظام والسواء قال تعالى:

﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ (١) .

(١) سورة ص : ٢٧ ـ ٢٩ .

الحفز في الدائرة العضوية

يسير الحفز العضوي متدرجاً بالمتعلم ، ويبتدىء بتجنب منع المتعلم من حاجاته العضوية وتجنب الاصطدام بها أو مناقضتها ، ثم بالعمل على تلبية تلك الحاجات بالمستوى المناسب والحدود المعتدلة ، ثم باستخدام الحوافز العضوية وخصوصاً الكماليات والتحسينيات لدفع المتعلم لإنجاز أعمال مرادة ومفيدة ، ثم باستخدام تأجيل إشباع الحاجات العضوية ، أو استخدام إنقاصها بطريقة مدروسة لدفع المتعلم ـ أيضاً ـ لإنجاز أعمال مرادة ومفيدة . وتمثل هذه الدرجات في الحفز العضوي أهدافاً مرحلية يسعى المربي إلى تحقيقها في هذه الدائرة ، نشير إليها فيما يأتي :

أولاً : أن يتلافى المربي حرمان المتعلم من حاجاته العضوية

فالمتعلم الجائع ، أو الظامىء ، أو المرهق ، أو الحاقن ، أو المتألم ... الخ محتاج لإشباع حاجته ، ومنشغل بها ، فتفكيره وعواطفه وآلاته منصرفة لسد تلك الحاجة . فإذا منع المربي إشباع تلك الحاجة ، ولم يأبه بها ، أو اتخذ موقف المعارض المناقض لها فقد أخلَّ بتحقيق الهدف الأول لدفع المتربي قدماً في التعلم والتحصيل .

والموقف التربوي المقبول في هذه القضية هو السعي لإبعاد المتربي عن حالات المعاناة العضوية بصورها المختلفة ليكون في حالة اندفاع وإقبال مناسبة ، وليحصِّل وينجز أكثر . ففي حالة الإحساس بدافع الجوع ، أو الحقن ، ينبه

الرسول ﷺ إلى أهمية معالجة الحالة بتلبية المطلب العضوي ليستقر الجسد فيقوم بالواجبات الأخرى .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان** » (١)

وفي الدافع إلى النوم والراحة ، عندما يعاني المتربي من الإرهاق ويتعب ، فإنه يوجَّه إلى إشباع ذلك الدافع وإلا فإنه لن يستطيع القيام بالأعمال والواجبات العبادية والعادية مما يسعى المربي لتحقيقه في المتربي . وهذا ما عالجه الرسول ﷺ في حالة زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ عندما كانت تصادم هذا الدافع .

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : « دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما **هذا الحبل** ؟ ، قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي ﷺ : حلُّوه . **ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد** » (٢)

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « **ألم أُخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار . فقلت : إني أفعل ذلك . قال : فإنك إذا فعلت ذلك هجمتْ عينك ونفهت نفسك ، وإن لنفسك حقاً ، ولأهلك حقاً ، فصم وأفطر ، وقم ونم** » (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم ، انظر النوي ، صحيح مسلم بشرحه النووي : ٤٧/٥ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم انظر النووي ، رياض الصالحين ص ٩٥ ، ٩٦ وهو في البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٤٣/٣ رقم ١١٥٠ . وفي مسلم انظر النووي ، صحيح مسلم : ٧٢/٦ ، ٧٣ ، وفتر يعني كَسِل .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٤٦/٣ الحديث رقم [١١٥٣] ، ومعنى هجمت عينك أي غارت أو ضعفت لكثرة السهر ، ونفِهت بكسر الفاء أي كلَّت .

وفي كل ذلك إشارة واضحة للأثر السلبي العضوي الذي يحدثه الحرمان من إشباع الحاجات .

وفي مراعاة دافع الوالدية ، حيث تحس الأم بالحاجة الملحة لولدها وتلبية حاجاته ، ينبه الرسول ﷺ بعمله ـ في التجوّز في الصلاة مراعاة لبكاء الصبي ـ إلى حالة الوالد النفسية ، وإلى الوضع الذي يمكن أن تكون عليه الأم من الارتباك والصراع داخل نفسها بين الاستجابة لحاجة ولدها الملحة وبين القيام بواجبات أخرى قد تكون أعظم وأكرم كالصلاة ، ولكن هذه الواجبات تستدعي أن يكون القائم بها على مستوى جيد من الاندفاع لها والإقبال عليها .

عن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « **إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْدَ أمّه من بكائه** » (١)

وفي حديث آخر عن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ « إن كان الرسول ﷺ ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه » (٢)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث يحتمل أيضاً التنبيه إلى دوافع الطفل وحاجته إلى الطعام والشراب والإخراج وتجنب الألم وأهمية تلبيتها ، إذ أن تجوّز الرسول ﷺ في الصلاة ـ أي تخفيفها ـ يشمل دفع المشقة عن الأم بسبب حنانها وميلها لولدها مما يشغلها عن الواجبات الأخرى ، ودفع المشقة عن الطفل بإشباع دوافعه العضوية المحتاج إليها .

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٢/٢٣٦ رقم ٧٠٩ . ومعنى وجد أمه أي حزنها .

(٢) المرجع السابق رقم الحديث ٧٠٨ . والمقصود يخفف الصلاة ، ومعنى تفتن تلتهي عن صلاتها لاشتغال قلبها ببكائه .

ومن هذا القبيل مشروعية الفطر في رمضان للحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أو على نفسيهما [١] فمن كمال حكمة الخالق سبحانه حسبان مشاعر الأم وقلقها وخوفها على ولدها ، وتيسير الأمر لها لتفطر فتسد حاجتها إلى الأمومة وحاجة ولدها للغذاء ، وبهذا تطمئن وتهدأ وتقوم بأعمالها كافة ، بينما لو منعت من سد حاجتها أو أُخّرت لقلقت وحزنت وانشغلت ، وصار اندفاعها وإقبالها على الأعمال الأخرى ضعيفاً ومنخفضاً بمقدار قلقها وانشغالها .

وفيما يأتي بعض الأمثلة التطبيقية لتلافي حرمان إشباع الدافع :

أ ـ لا نمنع الولد من النوم عندما يحتاج إليه ، ولا نطالبه في هذه الحالة بأداء أعماله أو القيام بأنشطته ، أو بتعلم السلوكيات واستيعاب المعلومات ما دام مرهقاً ومحتاجاً إلى النوم . وقد يلجأ بعض المربين من آباء وأمهات ومعلمين أمام تأخر الأعمال والواجبات المدرسية وتأجيلها إلى إلزام الأولاد بالقيام بها وتنفيذها وهم في حالة الحاجة للنوم وعدم القدرة على مقاومته ، وهذا من أظهر حالات مصادمة الدوافع العضوية .

ب ـ لا نمنع الولد من الذهاب إلى الحمام عندما يكون حاقناً ولا نؤخره ، بل نبادر إلى الاستجابة لهذه الحاجة العضوية الطبيعية ، ويخطيء بعض المربين عندما لا يأذنون للطلاب الذين يستأذنون لهذا الغرض ؛ لأن المتعلم سيكون في حالة مقاومة لحاجته العضوية ، وهذا يفقده التوازن والاستقرار العضوي المطلوب للتربية والتعليم ، وهذا النوع من الحرمان يعد أسلوباً من أساليب التعذيب والإيذاء ويستخدم في ذلك .

جـ ـ ألا نحول بين الجسم وحاجته للغذاء من طعام وشراب ؛ فإن طلب

---

(١) انظر ابن عثيمين ، مجالس شهر رمضان ص٣٦ .

الجسم وحاجته لذلك ـ في الغالب ـ إنما يكون بسبب الجوع والعطش ، وهما حالتا نداء ملحتان تسعيان لإعادة الجسم إلى استقراره وتوازنه . ومن المعلوم أن خلايا الجسم ـ دائماً ـ في حالة تجديد وهدم وبناء تقتضيان التزويد والتعويض [١] وعندما يفتقد الجسم ذلك يختل ويضطرب ، وهذا كفيل بإلهاء المتعلم وإشغاله عن أعماله وواجباته .

وعلى أساس من ذلك فإننا لا نمنع المتعلم من الشرب إذا احتاج للشراب ، ولا من الأكل إذا احتاج للطعام إلا لغرض الترتيب والتنظيم وبدون مبالغة على أن يعلم المتعلم بذلك ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ .

د ـ ألا نمنع الأولاد من حنان الأمومة وشفقتها ومن حماية الأبوة ورعايتها ؛ فهم يطلبون ذلك ويحتاجون إليه ، والحنان والحماية يؤديان إلى قرار النفس وسكونها واستعدادها للتقبل والتعلم .

ومن الأمهات من تحرم أبناءها وبناتها الحنان إما بالإتكال على الخادمات والمربيات ، أو بسبب الغفلة والإهمال ، أو بسبب القسوة والعنف في المعاملة والتربية حتى لكأنها أجنبية عن أولادها .

ومن الآباء من يحرم أولاده الحماية والرعاية بغيابه الطويل عنهم ، أو بكثرة أسفاره ، أو بانشغاله ولهوه حتى لكأنه غريب عنهم ، لا يمتزج بهم ، ولا يعرف أحوالهم ومشكلاتهم . وهذا منع لهم من إشباع حاجات فطرية تحول بينهم وبين أداء أعمالهم وواجباتهم بالصورة المطلوبة . وشواهد هذا في المدارس والمنازل كثيرة ؛ فكم من أولاد وطلاب لا يندفعون للدراسة ، ولا يتحمسون لها ، ولا

---

(١) وهذا مايسميه ابن القيم ـ رحمه الله ـ التحلل والاستخلاف ، فالتحلل بدون استخلاف ـ أي تجديد ـ يؤدي لضعف حرارة الجسم وفقد حيويته . انظر ابن القيم ، زاد المعاد : ١٥٨/٣ .

يقبلون عليها لأسباب من أهمها فقد حنان الأمومة وحماية الأبوة .

ثانياً : أن يسعى المربي لإشباع الدوافع العضوية باعتدال

فالمتعلم بحاجة إلى قدر من التوازن العضوي الكيميائي في البدن يستطيع به أن يؤدي واجباته . ويُعد هذا شرطاً مهماً في التربية والتعليم ، بل إنه لا مبالغة إذا قيل إن عناصر هذا التوازن هي الوقود الذي به يسير الإنسان من الناحية العضوية. وعناصر هذا التوازن تتمثل بسدٍّ الحاجات العضوية المتعددة التي تتطلب الإشباع من جوع وظمأ وإعياء وألم وحصر ... الخ .

فالمربي لابد أن يضع في اعتباره تلبية هذه الدوافع ليكون المتربي في حالة عضوية معتدلة وسوية ، وأن يسعى ـ قدر الإمكان ـ لتوفير مستوى الاندفاع المطلوب للتعلم بتنظيم حياة المتعلم في جوانبها الجسدية ؛ فإشباع دافعي الجوع والظمأ بالقدر المتوازن الذي لا تقتير فيه ولا إسراف جانب من جوانب التوازن العضوي المطلوب للعملية التربوية .

قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ (١)

ومراعاة دافع التنفس بوضعه في الحسبان عند تناول الطعام والشراب ، وبتوفير التهوية المطلوبة النقية والمتجددة والمنشطة للدورة الدموية والأعضاء جانب آخر في التوازن العضوي .

قال رسول اللّه ﷺ : « **ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لامحالة فثلث لطعامه ، وثلث**

---

(١) سورة الأعراف : ٣١ .

لشرابه ، وثلث لنفَسه » (١)

وإلى جانب الدافع للطعام والشراب والنفس لابد من إشباع دافعي النوم والجنس ، إذ هما دافعان حيويان يلزم إرضاؤهما بالقدر المناسب لحفظ التوازن العضوي ، ولوضع المتربي في حالة استقرار كاف لأداء الأعمال الأخرى . وقد عدَّل رسول اللّه ﷺ الميزان بين الجانبين العضوي والروحي عندما اختل عند بعض أصحابه ـ رضي اللّه عنهم ـ ؛ حيث انصف الحاجات الثلاث : الغذاء والنوم والجنس .

فعن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول اللّه ﷺ فقال : **« أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما واللّه إني لأخشاكم للّه ، وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »** (٢) .

ومن أجلى الشواهد وأبينها في باب إشباع المطالب والحاجات باعتدال تصديق الرسول ﷺ لسلمان الفارسي ـ رضي اللّه عنه ـ وإقراره له فيما فعله مع أخيه أبي الدرداء ـ رضي اللّه عنه ـ وكان قد آخى بينهما الرسول ﷺ ـ حيث وعى سلمان ـ رضي اللّه عنه ـ أهمية إشباع الحاجات الفطرية والوفاء بمتطلباتها ،

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، انظر المستدرك .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري باب النكاح ٩/٥، ٦ رقم الحديث [٥٠٦٣] وأخرجه مسلم أيضاً في باب النكاح .

وحمله ذلك على التطبيق العملي ، فألزم أبا الدرداء ـ رضي الله عنه ـ بالأكل وقد امتنع ، وألزمه بالنوم وقد ابتغى السهر ، ووجهه إلى حق أهله عليه وقد عزف عنهم ، وبين له أن الإشباع مطلوب ، وأن التوازن في الإشباع مطلوب أيضاً .

عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : « آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له : كُلْ فإني صائم . قال : مأنا بآكل حتى تأكل . فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له : نَمْ . فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال له : نمْ . فلما كان آخرُ الليل قال سلمان : قم الآن . فصليا جميعاً، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه . فأتى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ : « **صدق سلمان** » (١)

بل إن هناك من الدوافع ماهو أقل أهمية مما ذكر ، ومع ذلك عُني به المنهج التربوي الإسلامي ، وأراد أن يُعْتنى به . ومن ذلك الحاجة إلى الكلام ، والحاجة إلى الحركة من قيام وقعود ومشي وجري وغير ذلك ، والجسم إذا حُرم من هذه الحاجات دون سبب وجيه فَقَدَ بعض خصائصه وكان هذا تعذيباً له وإيذاءً ؛ إذ هو مخالف لطبعه وجبلته .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر النووي ، رياض الصالحين ، ص٩٦ رقم الحديث [١٥٣] .

برجل قائم فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم . فقال النبي ﷺ : «**مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد، وليتمّ صومه**» (١)

ويلاحظ من مجموع ما ذكر من الشواهد أن هدي رسول الله ﷺ في هذا الباب هو الاعتدال والتوازن ، فلا إفراط ، ولا تفريط . والحال الوسط هي الحال المطلوبة في الغالب ، فالمتعلم ينبغي ألا يجوع فيضعف جسمه ويفقد حيويته ، ولا يتخم فيثقل ويخدر ، وألا يظمأ ولا يتضلع ، وألا يسهر ويرهق ولا يكثر النوم . والجسم مزوّد بموازين تهتدي لكفايته وسداده ، ولكن هوى النفس ، وضعف المرء يجعلانه يستزيد حيث لا تنفعه الزيادة ، ويحرم نفسه حيث يضره الحرمان . والوصول إلى الكفاية والسداد للحاجات العضوية هو ـ بإذن الله ـ الذي يجعل الاندفاع والحماس لدى المتعلم على المستوى المرغوب ، ويؤدي لإنجاز أكبر وعمل أكثر .

وفي هذا الباب يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ واصفاً هدى رسول الله ﷺ :

« ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به ؛ فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب ، والملبس والمسكن، والهواء ، والنوم ، واليقظة ، والحركة والسكون ، والمنكح والاستفراغ والاحتباس ؛ فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل ، الموافق الملائم للبدن والبلد ، والسن والعادة ، كان أقرب إلى دوام الصحة أو غلبتها إلى انقضاء الأجل . ولما كانت الصحة والعافية من أجل نعم الله على عبده ،

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر النووي ، رياض الصالحين ، ص ٩٩ حديث رقم [١٥٦] .

وأجزل عطاياه ، وأوفر منحه بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق ، فحقيق لمن رزق حظاً من التوفيق مراعاتها ، وحفظها وحمايتها عما يضادها . وقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ** » . وفي الترمذي أيضاً وغيره من حديث عبد الله بن محصن الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أصبح معافى في جسده ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا** » (١)

وفيما يلي بعض التطبيقات والأمثلة التي نراعي فيها إشباع الدوافع العضوية والاعتدال في ذلك :

أ ـ أن يخرج الطلاب إلى المدارس وهم قد تناولوا الإفطار ، أو أن يزودوا بإفطار يسد جوعهم وظمأهم ، ويضمن استقرارهم وحيويتهم ، وأن يراعى فيه عدم الإثقال وأن يحتوي على العناصر المطلوبة لحيوية الجسم مع خفته ونشاطه .

ب ـ أن نطمئن إلى أخذ المتربين لقسط كاف من النوم والراحة يزودهم بالقدرة على استيعاب معلومات جديدة ، وعلى ممارسة واجباتهم وأعمالهم دون كسل أو نعاس أو خمول . ومما يلاحظ على عدد كبير من الطلاب والمتعلمين كثرة سهرهم بجوار التليفزيون أو الفيديو لمشاهدة البرامج المختلفة ، أو في حفلات السمر والمناسبات إلى وقت متأخر من الليل ، دون حساب لأهمية النوم المبكر وانعكاساته الإيجابية جسدياً ونفسياً على التعلم والتحصيل. بسبب ذلك يأتي الطالب إلى المدرسة في حالة من الإرهاق والكسل والملل وضعف الإقبال ينتج عنه ضعف الطالب

---

(١) انظر ابن القيم ، زاد المعاد : ١٥٨/٣ . وله رحمه الله تفصيلات أكثر في هذا تجدها بعد هذا الموضع وفي مواضع أخرى .

وقـلة إنتاجـه .

جـ ـ أن نحـرص على تهوية وسـعة الغرف وأماكن الدراسة ، وألا نلجأ إلى الأماكن الضيقة والمكتومة في العـملية التربوية ، إذ أن ذلك ينعكس سلباً على نشاط الجسد والأعضاء ، ومن ثم يضعف أداء المتعلم ويتلاشى انتفاعه من الأجواء التربوية . وقد كانت المنازل وأماكن التعليم سابقاً فسيحة مهواة ، والجوُّ فيها طبيعي لا تلوث فيه ، كما كانت المساجد من أهم أماكن التربية والتعليم وهي معروفة بفساحتها وانفتاحها على الفضاء .

د ـ أن نحرص على اعتدال الجو من حيث الحرارة والبرودة ؛ لنضمن إقبال المتربين وارتياحهم في الجو التعليمي ؛ فإن الحرّ والبرد الشديدين يلهيان ويزعجان المتعلم ، ويكون في حالة من عدم الانتباه وفقد التركيز يحولان بينه وبين الاستفادة . وهذا الشيء يجب أن يراعى في قاعات الدراسة ، وأماكن المذاكرة ، وحلق العلم وغير ذلك .

هـ ـ أن نحرص على أن تكون الإضاءة جيدة ومناسبة ، خصوصاً إذا كان الموضوع يقتضي القراءة أو الكتابة أو التفحص أو التجريب؛ فالإضاءة الباهتة تنهك المتعلم وتقضي على حيويته ، وتبعث فيه الملل ، والإضاءة القوية الشديدة تزعجه ، وتفقده الهدوء والتركيز .

و ـ أن نبعد عن المتربي كل ما يثير غريزته الجنسية لضمان عدم انشغاله بها ، فلا نعرِّضه للصور العارية والمتبرجة ، ولا للقصص والروايات المثيرة . كما أننا نتجنب الخلط بين الجنسين ، نحرص على كل ذلك منعاً لإثارة الغريزة الجنسية ، ومنعاً لإشباعها

بطرق غير صحيحة مما ينعكس سلباً على الدافعية والحماس التعليمي، ويؤدي إلى انشغال المتربي وقلقه .

ز ـ أن نعطي فترات راحة وانطلاق أثناء التربية يستعيد فيها المتربي نشاطه، ويجدد حيويته ، ويمارس خلالها الحركة من قيام وقعود وجري ، وسلام وكلام ، واختلاط ، ويمارس اللعب ، خصوصاً إذا كان طفلاً ، إذ هي حاجة من حاجاته التي لا يصبر عنها طويلاً . وبهذا نوفر جواً تعليمياً يجمع بين الثبات والانضباط ، وبين الحركة والانطلاق .

ثالثاً : استخدام المربي للدوافع العضوية كحوافز خارجية

لاينبغي اعتبار إشباع الدوافع العضوية حوافز خارجية [1] إلا في حالات محددة ، وبشروط مشددة ، فلا يلجأ المربي إلى جعل الراحة والنوم شروطاً للقيام بعمل معين بينما الحاجة ماسة إليهما ، ولا إلى جعل الحركة أو الانطلاق أو الهواء الطلق مكافآت يحصل عليها المتربون عند إنجازهم لأعمالهم وتطبيقهم لما يطلب منهم ، ولا إلى جعل تناول الوجبات شروطاً يفرضها المربون على المتعلمين لإنجاز أو تحصيل أكبر إلا في حالات قليلة وبصفة مؤقتة .

ويعتبر هذا المنحى في التربية منحىً خطيراً ، إذا لم يُتعامل معه بحذر ؛ إذ أن الأصل أن يستمتع الجسم وتُشبع حاجاته الفطرية دون شروط . فالغذاء والماء والهواء والحركة والنوم ... وغيرها ملبيات لدوافع فطرية من حق الجسم أن يحصل عليها بلا قيود ، وإلا حصل نقص واختلال بسبب من مخالفة الفطرة

---

(١) الحوافز الخارجية : هي عوامل توجد خارج الذات وتكون محكومة بواسطة الآخرين من المدرسين والآباء والرؤساء مثل المأكولات والمشروبات والعينيات والنقود والشهادات ، وتستخدم في المكافآت والجوائز والعقوبات ، وهي مقابل الحوافز الذاتية التي تنبع من داخل النفس .

والجبلة التي طبع عليها الإنسان .

والمولى سبحانه عندما فرض صيام شهر رمضان لتحصيل التقوى كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ (١) جعله مرة في العام ، أي أنه جزء من إثنى عشر جزءاً ، وجعله محصوراً بوقت هو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . واعتبر الأعذار والأسباب الوجيهة مؤجلة أو موقفة له ، وأحاطه بأجواء روحانية جماعية تساعد على إنفـــاذه .

ولما ذكر سابقاً فإن الحفز بمتطلبات الدوافع العضوية من أكل وشرب ، وحركة وراحة ، وغير ذلك يمكن أن يتم بالشروط الآتيـــة :

١ ـ أن يكـون استخدامه قليلاً ومحدوداً ، فلا يعمم ولا يكثر منه .

٢ ـ أن يكون استخدامه محدداً بوقت معقول ، ولا تطول فترة الحرمان فترهق المتعلم وتحمّله مالا يطيق .

وهـــذان الشرطان إذا لم تتم مراعـــاتهما في الحفز العضوي كانت النتيجة التربوية صفراً ، أو كانت عكسية ، إذ أن المنع والحرمان يورثان الكره والنفور من المربي ، ومن الشيء المتعلم ، ومن الجو التربوي ، وهذا ما نبه إليه الرسول ﷺ في قصـــة معاذ بن جبل ـ رضي اللّه عنه ـ عندما كان يصلي بالناس ويطيل الصلاة ، فاشتكاه أحد الصحابة ـ ممن كان يصلي وراءه ـ إلى الرســـول ﷺ .

فعن جابر ـ رضي اللهّ عنه ـ قال : كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي فيؤم قومه ، فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء ثم أتى قومه فأمّهم فافتتح بسورة

---

(١) سورة : البقرة : ١٨٣ .

البقرة فانحرف رجل فسلّم ، ثم صلى وحده وانصرف ، فقالوا له : نافقت يافلان . فقال : لا واللّه ، ولآتين رسول اللّه ﷺ فلأخبرنه . فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول اللّه إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار ، وإن معاذاً صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة ، فأقبل رسول اللّه ﷺ على معاذ ، فقال : « **يا معاذ أفتان أنت اقرأ بكذا وكذا** » (١)

وفي رواية أن رسول اللّه ﷺ قال لمعاذ : « **فتّان ، فتّان ، فتّان** » ثلاث مرات (٢)

وفي رواية أنه قال له : « **أقرأ والشمس وضحاها ، والضحى ، والليل إذا يغشى ، وسبح اسم ربك الأعلى** » (٣)

٣ ـ أن ينبع الأمر المقصود تربيته أو الخلق المراد التعويد عليه ـ قدر الإمكان ـ من الحافز ذاته بحيث يكون هناك تناسب وتوالد بين الحافز والمحفوز لأجله، مثل حمل المتعلم على الصيام لإحداث التقوى ، وحمله على ترك الراحة للتعويد على الصبر ، وتأجيل أو توقيت الوجبات للتعويد على النظام والضبط ، والإبعاد عن الأم أو عن الأب أو عنهما معاً للتعويد على الاستقلال ، أو المنع عن الكلام للتدريب على الصمت وترك فضول الكلام.

وكلما فقدنا هذه الخاصية كان الأولى أن نبتعد عن استخدام الحفز

---

(١) هذه الرواية في مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم . ١٨٢/٤ ، وفيها توجيه محدد من الرسول ﷺ للتخفيف .

(٢) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم : ١٨٢،١٨١/٤ ، و « النواضح » هي الإبل التي يستقى عليها الماء جمع ناضح والمراد أنا أصحاب عمل وتعب ولا نستطيع تطويل الصلاة ، وقوله « أفتان » أي منفّر عن الدين وصادّ عنه ، وفي هذا إنكار من الرسول ﷺ على معاذ .

(٣) هذه الرواية في البخاري انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٢٢٦/٢ ، رقم [٧٠١] .

بالدوافع العضوية ، لأن البون الشاسع بين الحافز والأثر المرغوب يجعل المتربي أبعد عن فهم المراد ، وعن الاقتناع به ، وعن الإحساس بأهميته ، ويؤدي إلى الشعور بالمقت والكره بسبب الحرمان والمصادمة لدوافعه الفطرية .

٤ ـ أن يكون الحفز ـ قدر الإمكان ـ بالمتطلبات الكمالية لا بالمتطلبات الأساسية ، وذلك لكي نتلافى أن نقع في حرمان المتربي من أشياء عضوية أساسية تخلُّ بتوازنه وتجلب نفوره ، ولكي لا تكون هذه الحوافز ثوابت لازمة لكل عمل نطلبه من المتعلِّم ، فلا وجبة إلا بحصيلة ، ولا نوم إلا بحل واجب وهكذا ...

ثم إن الحوافز التكميلية أو التحسينية ـ في كثير من الأحيان ـ مغرية وجذابة مثل أنواع الحلوى والعصيرات وبعض الفواكه والمكسرات ، ومثل المرفِّهات والمسليات ، ومثل فترات الراحة الإضافية .

وسوف نذكر بعض الأمثلة التطبيقية عند تناول الحوافز في الدائرة الدنيوية .

٥ ـ أن يكون الهدف من استخدام الحوافز العضوية واضحاً ومحدداً ، فلا نمنعه من حاجة عضوية ونؤجلها إلا لهدف يمكن تحديده وتوضيحه للمتعلم ، مما يمكِّنه من العمل له والحصول على الإشباع المطلوب ، وتحقق هذا الشرط يخفف القلق والتوتر عند المتربي .

فالصائمون الواعون للهدف من فرض الصيام ، هم أكثر الناس ارتياحاً واستفادة منه ، بخلاف غيرهم فإنهم يستثقلونه وقد يتضايقون منه ، وكذلك الذين يتهجدون فيبذلون من وقت سكنهم ونومهم هم على

المنوال نفسه ، وهكذا المجاهدون والدعاة وطلاب العلم يحرمون أنفسهم من بعض الإشباع العضوي لغرض عالٍ في غاية الوضوح .

رابعاً : أن يستخدم المربي تأجيل إشباع الحاجات العضوية لأغراض تربوية :

وهذه درجة مهمة في سلم الدافعية ؛ حيث يقوم المربي بتدريب المتعلمين على الانتظار والتأني وضبط النفس . وهناك من الدوافع ما لا يتم إشباعه إشباعاً تاماً إلا في الآخرة ، بل إن في الآخرة من كل نعمة أسناها ، ومن كل لذة أعلاها ، ومن كل متعة أسماها ، ومن كل طيبة أبقاها ، قال الله تعالى : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى** ﴾ (١) .

ولهذا فالمؤمنون الواعون ينتظرون مثل هذا النعيم المقيم ينالونه جزاء صبرهم وطاعتهم وانقيادهم ، قال الله تعالى :

﴿ **وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً** ﴾ (٢)

بخلاف من حاد عن الصراط المستقيم واتبع أهواء نفسه وإغواء الشياطين، قال الله تعالى :

﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون** ﴾ (٣)

فهم يطلقون لأنفسهم العنان في هذه الدنيا في المآكل والمشارب والمناكح

---

(١) سورة الأعلى : ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة الإنسان : ١٢ .

(٣) سورة الأحقاف : ٢٠ .

والمسامع ، والمناظر ولا يخضعون لقيود أو شروط إلا ما مالت إليه أهواؤهم وارتضته نفوسهم .

وهناك من أنواع الإشباع ما هو ممنوع على الناس في هذه الدنيا البتة ؛ فإذا امتنعوا عنه كان لهم في الآخرة ، مثل الخمر والغنى ، ومثل الحرير والذهب للرجال .

وهناك أغراض عديدة يقصدها المربي وهو يستخدم تأجيل إشباع الدوافع أو إنقاصها . ومنها :

أ ـ اختبار الصبر والطاعة والانضباط وفق المنهج المحدد والنظام المختار للاتباع ، قال الله تعالى :

﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم ﴾ (١)

ففي هذا المنع من شرب الماء وهم على عطش ، أو بالأحرى التأجيل إختبار لاستجابتهم وطاعتهم ومدى صبرهم وانقيادهم إذ أن « من أطاع في ذلك الماء أطاع فيما عداه ، ومن عصى في هذا وغلبته نفسه فهو بالعصيان في سائر الشدائد أحرى » (٢) ، ومن الملاحظ هنا أنه رخّص لهم في أن يغترفوا غرفة من الماء ترفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع ، وهي بلا شك تكفُّ سورة العطش عند الصابرين على شظف العيش والدافعين أنفسهم عن الرفاهية (٣) وقد سبقت الإشارة إليه في فقرة سابقة .

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(٢) انظر الشوكاني ، فتح القدير : ١/٢٦٥ .

(٣) انظر المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

ب ـ ردع المتعلم عندما يقع في أخطاء لا ينبغي أن يقع فيها مثله بسبب من تساهله وتسويفه ، أو بسبب ضعف إرادته وعزيمته ، أو بسبب تقديمه لرغباته وملذاته على أمور أهم يعلمها وينبغي أن يهتم بها أولاً . وواضح أن تحقيق هذا الغرض في أحسن صوره إنما يكون في نوعية معينة من المتربين تكون على درجة عالية من الاستعداد . كما أن الأخطاء ينبغي أن تكون من الأهمية والبروز بمكان لتستحق المعاقبة بالحرمان من إشباع الدافع أو تأجيله أو إنقاصه . أما إذا كان الخطأ صغيراً أو متوسطاً فعلينا أن نتجنب ذلك أو أن نراعي المقدار ؛ بحيث يكون التأجيل بحجم الخطأ نوعاً أو كماً .

ومما عمله الرسول ﷺ مع بعض تلاميذه من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما حصل للثلاثة الذين خلفوا وهم : كعب بن مالك ، وهلال ابن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكانوا قد تخلفوا عن اللحاق بالرسول ﷺ في غزوة تبوك ، وهم من خيرة الصحابة ، في وقت كان النفير للجهاد في سبيل الله عاماً ، والجوُّ حاراً ، والسفر بعيداً ، والمؤونة في المسلمين قليلة ، والعدو كثير العدد والعدّة . وكان هؤلاء الثلاثة أقوياء وقادرين على الخروج وعالمين به ، فلم يقبل الرسول عذرهم ، ومنع الناس من محادثتهم أو السلام عليهم أو معاملتهم . وهذا حرمان من إشباع دافع الانتماء والاجتماع ، فكأنهم في سجن وهم داخل المجتمع ، ثم أمرهم باعتزال زوجاتهم ـ وهو موطن الشاهد ـ وفي هذا تأجيل لإشباع دافع النكاح ، وهو دافع عضوي .

وبعض الكفارات التي شُرِعت عند الوقوع في أخطاء ومخالفات تنطوي على هذا المنحى في التربية من تأجيل إشباع الدافع أو إنقاصه ، ومن ذلك كفارة اليمين ، وكفارة الظهار ، وكفارة القتل الخطأ ، وكفارة الجماع

في نهار رمضان ، على أن الكفارات تتفاوت في شدتها بتفاوت الأخطاء .

جـ ـ اشغال المتعلم ببعض دوافعه لصرفه عن سلوكيات غير مرغوبة ، أو لتلافي أخطاء أكبر ، فقد نحرم المدخن من الأكل والشرب ليمتنع عن التدخين إذا كانت حاجته إليهما أشد من حاجته للتدخين ، وقد نكلّف العمل ونؤجل النوم والراحة إلى درجة الإرهاق لقطع المتعلم عن اعتياد اللهو والمتعة بالمحرمات وإضاعة الأوقات . ومعلوم أن النفس إذا لم تشغلها بالطاعات شغلتك بالمعاصي والملهيات .

ومما فعله الرسول ﷺ عند عودته من غزوة بني المصطلق أنه شغل الجيش ومن معه من الناس بالمسير والترحّل لأكثر من يوم كامل دون انقطاع على غير عادته ؛ لمّا كادت أن تحدث الفتنة بين المسلمين مهاجرين وأنصاراً ؛ وذلك عندما تخاصم خادمان أحدهما لعمر والآخر لبني عوف من الخزرج وكادا يقتتلان على الماء ، فصاح الأول : يالمهاجرين . وصاح الآخر :يا للأنصار . وسعى المنافقون من طرفهم بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول لإضرام نار الفتنة واستغلال الفرصة لتحقيق مآربهم والإيقاع بين المسلمين . على أن هذه الحقيقة لم تفت النبي ﷺ فأحزنه ما وقع ، ووجد خير علاج له شغل الناس عنه حتى يعفى على آثاره . فأصدر أمره بالارتحال في ساعة ما كان يروح في مثلها ، ومشى بالناس سائر اليوم حتى أمسوا ، وطيلة الليل حتى أصبحوا ، وصدر يومهم الجديد حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بهم ، فما أن وجدوا مسّ الأرض حتى وقعوا نياماً ! وتابع الرسول رواحه حتى وصل المدينة » (١) .

---

(١) انظر الغزالي ، فقه السيرة ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

الحفز في الدائرة الدنيوية

وهو حفز لا يركز على الإشباع المباشر كما هو في الحاجات الجسدية العضوية ، بل يُعنى بدوافع الإنسان في محيط دنياه الواسع مما يحثه على السعي والنشاط والمثابرة .

وتتدرج الحوافز الدنيوية في أنواعها لتشمل دوافع مادية بسيطة في أدنى مستوياتها ، ودوافع غيبية وإيمانية في أعلى مستوياتها . ويمكن أن نصنفها من خلال المنظور الإسلامي في أربعة أصناف متصاعدة هي :

١ ـ حوافز مادية .

٢ ـ حوافز نفسية .

٣ ـ حوافز عقلية .

٤ ـ حوافز غيبية .

ويلاحظ على هذا التدرج للحوافز أنه يبدأ بالعوامل الأكثر قرباً ووضوحاً ، والأسهل استعمالاً وتطبيقاً ، ولكنها ليست الأعمق أثراً ولا الأكثر بقاءً ، فهذه الحوافز تبدأ باستثمار الدوافع المالية والمادية ، ثم تنتقل للدفع بالعوامل الاجتماعية والنفسية التي تستثمر ميول الإنسان العاطفي والانفعالي والمزاجي ، ويأتي بعد ذلك حفز الإنسان بدوافعه العقلية من ميل للمنطق والاكتشاف والتحدي ، وأخيراً وفي قمة هذه الحوافز يأتي استثمار الدوافع الغيبية وذلك بأن يستجلب المتعلم القوة والاندفاع من استعانته باللّه وتوكله عليه ودعائه إياه ، وبأن يستمد نشاطه للعمل وحصانته من الكسل

مستخدماً سلاح الذكر والدعاء والتلاوة .

ومما يلاحظ على هذا التدرج للحوافز الدنيوية ـ أيضاً ـ أنها تبدأ بالحوافز المادية ، وهي أقرب ما تكون للحوافز العضوية ، إذ أنه بالحصول على المادة يتزود بالمشبعات العضوية ، وتنتهي بالحوافز الغيبية غير المشهودة وهي أقرب ما تكون للدوافع الأخروية ، إذ أنها ترتكز على الإيمان بالله وبعالم الغيب ، وباليوم الآخر . وهذا يجعل الحوافز الدنيوية متداخلة ومترابطة مع بقية الحوافز حيث تشكل الأنواع الثلاثة تدرجاً وتتابعاً ينسجم مع طبيعة النفس البشرية من حيث تنوع مكوناتها مع ترابط هذه المكونات وامتزاجها .

كما أن هذه الحوافز تبدأ بالحوافز الظاهرة المشهودة على السطح ، وتتدرج في عمقها لتنتهي بالحوافز الغيبية المرتكزة على الإيمان في أعماق النفس انظر الشكل [٥] . ومن حيث بقاء التأثير وقوته فإنهما يتدرجان كذلك ، فليست الحوافز المادية والمالية كالدوافع النفسية والعقلية ، فتلك أبقى وأقوى ، وتفوق الحوافز الغيبية كل الأنواع الدنيوية الأخرى في بقائها وقوتها بشرط أن يتعوّد الإنسان عليها ويفي بمتطلباتها .

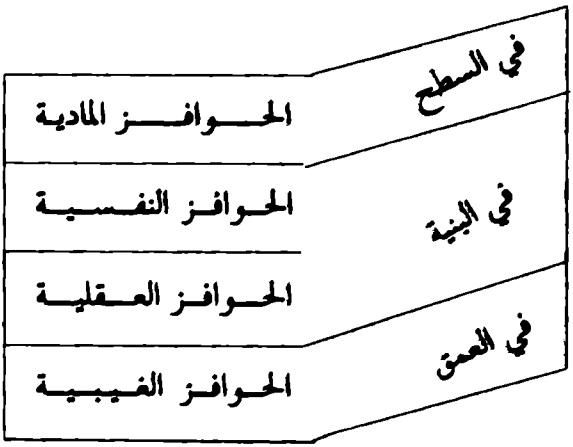

الشكل [٥]

وفيما يأتي سنتناول هذه الدرجات من الحفز بشيء من الإيضاح والتفصيل .

الحوافز المادية

وتشمل حفز المتربي بالمال ، وذلك بأن تكون مكافأته على عمله نقداً قليلاً أو كثيراً ، وحفزه بالهدايا العينية مثل اللُّعب والأقلام ، والميداليات ، والأدوات ، وغير ذلك وحفزه بأنواع الاستمتاع الكمالي مثل الرحلات الترفيهية وزيارة الملاعب ، وممارسة اللعب والحركة والدعابة والفرجة . وحفزه بأنواع المأكولات والمشروبات الكمالية مثل أنواع الحلوى والفطائر والعصيرات ، وقد تمت الإشارة إلى هذا عند الحديث عن الإشباع العضوي ، وهو جانب مشترك بين النوعين من الدوافع .

وقد ثبَّت رسول الله ﷺ فئة من الناس على الإسلام ، أو رغبهم فيه بالمال ، وهم من يسمى « المؤلفة قلوبهم » حيث تدفع لهم الزكاة جذباً لهم وتأليفاً لقلوبهم على الإسلام .

ووعد الله عباده المؤمنين الغنائم ـ إلى جانب الحظ الأخروي ـ إذا ما أقبلوا وجاهدوا في سبيل الله . قال تعالى : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجَّل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم** ﴾ (١)

وجعل ـ سبحانه ـ المؤمنين ينطلقون في دعوتهم وجهادهم ـ بعد إخلاصهم له ـ من منطلقين : دنيوي هو النصر والتمكين في هذه الأرض وأخروي هو الشهادة في سبيل الله . بحيث ينطلق المؤمن للجهاد وهو رابح على

---

(١) سورة الفتح : ٢٠ .

أي الحالين كما قال تعالى :

﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾ (١)

وقد استخدم نوح عليه السلام الحفز الدنيوي المادي في دعوة قومه وترغيبهم . قال تعالى :

﴿ ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ (٢)

وكان رسول الله ﷺ يكثر العطاء والاهداء للمسلمين الجدد ولأصحابه كسباً لقلوبهم ، وتثبيتاً لهم على الإستقامة وإعانة لهم عند الحاجة ، ولكي تعطي الأثر المطلوب في حسن العلاقة بينه وبينهم ، وكان يحث على ذلك .

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **« تهادوا تحابوا »** (٣) .

وكم أقلع من عاص عن سلوك مشين بسبب من كرم النبي ﷺ ، وأقبل من معرض بسبب من أريحيته وسخائه ، والقصص في هذا كثيرة ، بل إنه ـ بإذن الله ثم بسبب هذا الحفز ـ حوّل قلوب عدد من أعدائه من الكره إلى المحبة ، وبدّل مواقفهم من العداوة إلى الصداقة ، وبدّل سلوكهم من المعصية إلى الطاعة . فالحفز المادي له فعل عجيب إذا وافق محله ، وكان مرحلة ينتقل بعدها المتربي للإندفاع

---

(١) سورة التوبة : ٥٢ .

(٢) سورة نوح : ٨ ـ ١٢ .

(٣) انظر الألباني ، صحيح الجامع الصغير : ٥٦/٣ الحديث رقم [٣٠٠١] ، وقال عنه : حسن .

بحوافز أخرى أكثر ثباتاً وبقاءً .

والإهداء والعطاء المأثور عن الرسول ﷺ كان أنواعاً ، فأحياناً يكون نقداً فقد كان يعطي الدنانير والدراهم من الذهب والفضة ، وأحياناً يهدي أو يعطي الملبوسات والمطعومات ، ويهب الخيل والإبل والغنم .

وكان يحفز المتعلمين بالترويح واللعب والدعابة مما يُذْهب ملل المتعلمين ، ويجعلهم أكثر حيوية ونشاطاً في أعمالهم ، كما أن الأجواء التربوية كانت أجواء مفتوحة ومتجددة ، فالتربية تحدث في المسجد والسوق والبيت ، وفي الرحلات الدعوية والاستطلاعية والجهادية والعبادية كرحلات العمرة والحج وغيرها . وهذه الطبيعة التحفيزية الكامنة في الجو التربوي وفي البيئة الدعوية تعتبر ميزة من ميزات علم النفس التربوي الإسلامي في الحفز مفهوماً وتطبيقاً . حيث نجد الحوافز تنبعث من طبيعة البيئة التربوية وأحداثها وميادينها ، وتأخذ اتجاهاً عملياً يحرك الناس ضمن الحقل التربوي ذاته .

وترتكز هذه الحوافز المادية على ميل الإنسان للمال وجمعه والسعي للحصول عليه ، وعلى دافع التملك الفطري الذي يحمل الإنسان على حيازة المملوكات صغيرة كانت أم كبيرة ، من نقود ومطعومات وملبوسات ومراكب ومساكن ومزارع ومصانع وتجارة ... الخ ، قال تعالى :

﴿ زيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ (٢) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٤ .

وترتكز ـ أيضاً ـ على ميل الإنسان للمتعة والفسحة والانطلاق ورغبته في الترويح عن نفسه وتسليتها أحياناً ، وتطعيم الجو الجاد والعمل المستمر بالراحة والاسترخاء بين ساعة وأخرى ؛ حيث لا يطيق الإنسان الجد المستمر والعمل المتواصل أو التبتل والانقطاع للعبادة ونحوها ، وقد نبه رسول الله ﷺ الصحابة إلى هذا الأمر عندما رأى من الصحابة استغراب الميول التي يجدونها من أنفسهم ومع أهليهم .

عن حنظلة الأسيدي ـ رضي الله عنه ـ قال : لقيني أبو بكر ، فقال : كيف أنت ياحنظلة ؟ قال ، قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ! ما تقول ؟ قال : قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ! فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً . فقال رسول الله ﷺ « **والذي نفسي بيده إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم وفي طرقكم ، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة . ثلاث مرات** » (١)

---

(١) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم بشرحه النووي : ١٧ / ٩٦٢٩٥ ، ومعنى عافسنا الأزواج ... الخ أي عالجنا معايشنا وحظوظنا ، وقوله : نافق حنظلة : معناه أنه خاف أنه منافق .

الحوافز النفسية

وتشمل حفز المتربي باستثمار ميوله العاطفي والإنفعالي والاجتماعي ، حيث يقوم المربي بحفز سلوكه بإشباع رغباته وبواعثه النفسية من ميل للثناء والمحبة والانتماء والحماية والمساندة ونحو ذلك ، وفيما يأتي إشارة لبعض هذه الحوافز :

١ ـ حفزه بالثناء عليه :

ويكون ذلك لفظاً بمدحه ، والإشادة به ، والدعاء له وهو أبلغ الثناء كما ورد عن الرسول ﷺ عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول لله ﷺ: **« من صُنع إليه معروفاً فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء »** (١)

وكان رسول الله ﷺ يثني لظهور خصال أو أعمال تستحق التنويه والإشادة مما ينبغي الاستمرار عليه ، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ عندما نوّه بخصال المنذر بن عائذ ـ رضي الله عنه ـ وهو أشج عبد القيس .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبد القيس : **« إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة »** (٢)

وحث رسول الله ﷺ على التجاوب مع الناس وشكرهم على بذلهم وأفعالهم الحسنة .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **« من لا يشكر الناس لا يشكر الله »** (٣)

---

(١) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذى : ٦ / ١٨٥ ، الحديث رقم [٢١٠٤] .

(٢) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذى : ١٥٢/٦ الحديث رقم [٢٠٨٠] .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال حديث صحيح ، انظر المباركفورى ، تحفة الأحودى : ٨٧/٦ الحديث رقم [٢٠٢٠] .

ويكون الثناء تدويناً بالكتابة على كراسات المتربي وأوراقه ومذكراته وسجلاته ، مع تدعيم ذلك بذكر الملاحظات دون جرح لمشاعره أو مساس بكرامته .

ويكون الثناء عليه غيابياً بالتنويه به عند زملائه وأقربائه أو أقرانه وجلسائه مع ذكر الملاحظات ـ إن وجدت ـ لتُنقل إليه فيضاعف من جهده ويتلافى التقصير ويمضى في طريق الخير والفلاح ، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عندما قال :

« **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل** » فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً . (١)

أو يكون الثناء حضورياً مع ذكر التنبيهات كما في حديث آخر عن رسول الله ﷺ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ :

« أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « **زادك الله حرصاً ، ولا تعد** » (٢)

وقد أشارت الأبحاث النفسية إلى الجدوى والأثر الإيجابي لهذا الأسلوب ؛ حيث يقرن المربي ثناءه على المتعلم بالملاحظات التي يراها ، ويكتب انطباعه على كراسات الطالب ، وكلما كان التقويم أشمل وأوضح كلما كان اقبال المتعلم على تصحيح أخطائه وانجاز أعماله أكبر . ومن الأبحاث في هذا الجانب ما عمله مكيوش [Mcgeoch] آريون [Irion] (٣) ؛ حيث قاما

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٩/٣ الحديث رقم ١١٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٣١٢/٢ الحديث رقم ٧٨٣ .

قوله انتهى إلى النبي وهو راكع أي أن الصلاة قد أقيمت مما جعل أبا بكر يتحفزُ ويسعى لإدراك الركوع .

(٣) انظر E . A Peel ، الأسس النفسية في التربية ، ترجمة صبحي عبد اللطيف المعلوف ، ص ١٣٧، ١٣٨ .

باختبار أثر التعزيز المقرون بالتغذية الراجعة (تعليقات المعلم) على انتاجية المتعلمين ومدى تحسن أدائهم ؛ فوجدا أن المجموعة التي تدّون لها الملاحظات بالتفصيل تتقدم أكثر وتتجاوب بصورة ملفتة بنسبة ٥٥٪ ، ويأتي بعد ذلك المجموعة التي زُوِّدت بالحكم على عملها إجمالاً بأنه صح أو خطأ فنسبة تجاوبها ٢٢٪ ، وفي الأخير تأتي المجموعة التي لم يبيّن لها شيء ذو معنى حيث كان تحسنها بطيئاً جداً بنسبة ٥٪ .

ويكون الثناء ـ أيضاً ـ بإلحاق لقب حسن به بحسب قدراته وخصائصه ، كأن نقول : الشجاع ، أو الصبور ، أو المكتشف ، أو السبّاق ، أو الصدوق ، أو الأمين ؛ وذلك وفق ما يشيع في سلوكه من خصال مرغوبة ومحببة إلى نفسه . وقد فعل ذلك رسول اللّه ﷺ مع أصحابه ـ رضي اللّه عنهم ـ فكان يلقبهم بما يتميزون به ؛ فقد لقب أبا بكر بالصديق ، وعمر بالفاروق ، وخالد بسيف اللّه المسلول ، وأبا عبيدة بالأمين .

وفيما يأتي بعض التوجيهات التربوية التي ينبغي مراعاتها في الحفز بأسلوب الثناء :

أ ـ اقرن ثناءك ومدحك للمتعلم بالملاحظات والانطباعات الموضوعية سلبية أو إيجابية عن أعماله وإنجازاته .

ب ـ الكتابة على الكراسات مهمة جداً في دفع الطالب لانتاج أكثر وأحسن . وعلم الطالب بأن تعليقات الأستاذ مبنية على معرفة واهتمام ومتابعة ، قد يعرفه بالقيمة ويشعره بالمسؤولية ، وهذا يحمله على التقدم والاجتهاد .

جـ ـ استخدم ألفاظ الدعاء مثل : [زادك اللّه حرصاً] و [بارك اللّه فيك] و

[جزاك اللّه خيراً] فإن لها تأثيراً بالغاً ، وهي تجمع بين الثناء والدعاء والحفز الأخروي .

د ـ اربط الثناء ـ إن أمكن ـ ببعض المعايير التي تعطى شيئاً من الثبات في السلوك مثل كونه مرضياً للّه ورسوله ومحبوباً لهما ، فتقول : هذا شيء يحبه اللّه . هذا الشيء يرضي اللّه ورسوله . أو لقد وافقت السنة . أو هذا ما نريده ، على أساس أنه على المعيار المتفق عليه .

٢ ـ حفزه بتوفير الأمن والحماية له :

فالخائف يكون إنتاجه ضعيفاً أو معدوماً ، فلابد من تجنب التخويف وخصوصاً الأطفال كأن نخوفهم بالبعبع والوحش والسعلاة ، وبإصدار أصوات مخيفة ، وبمشاهدتهم لأفلام العنف والرعب والفزع . فالمربي يسعى دائماً لجعل المتربي في جوٍّ آمن مطمئن لكي يتسنى له العمل والتعلُّم دون عوائق نفسية .

وقد كانت الأجواء التربوية في مجلس رسول اللّه ﷺ وحلقه تبعث على الأمن والطمأنينة ، بل كان رسول اللّه ﷺ ملاذاً للخائفين ومحطاً آمناً للفزعين . وكان يهتم بتوفير الأمن لطلابه والقادمين إليه قبل أن يحدثهم أو يفاتحهم فضلاً عن تربيتهم وتعليمهم .

قال تعالى : **﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾** (١)

وكان يعطي الأمان ـ للقادمين الجدد بل ولأعدائه قبل الإسلام ـ لما له من أثر نفسي وتربوي ، ومن هذا أنه ﷺ كان يعطي الأمان لمن جاءه مسترشداً أو في

---

(١) سورة التوبة : ٦ .

رسالة ، كما جاءه يوم الحديبية عروة بن مسعود ، ومكرز بن حفص ، وسهيل بن عمرو وغيرهم ، واحداً بعد واحد يترددون ، فرأوا من إعظام المسلمين لرسول اللـه ﷺ ومن شأن الإسلام ماكان سبباً في هداية أكثرهم . وتشريع الأمان المذكور في الآية إنما هو لتهيئة أجواء التعليم والتبليغ ليعلم الناس دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده . (١)

وفيما يأتي بعض التوجيهات التربوية التي ينبغي مراعاتها في الحفز الزمني :

أ ـ لا يخرج الطالب من البيت إلى المدرسة وهو يحس بالرهبة وترتعد فرائصه ويخفق قلبه خوفاً من المدرسة والمدرسين .

ب ـ لايذاكر الطالب تحت التهديد والتخويف ، فإن هذا أضعف الأجواء للاستيعاب والفهم .

جـ ـ على المدرس أن يكون دافعاً لأمن الطلاب وطمأنينتهم ، لا مثيراً لفزعهم ومخاوفهم ، فإنهم لا يأخذون منه بصدق واقتناع .

د ـ لا يكون الأب رمزاً للمخافة والقلق عند أولاده يفرون منه بمجرد أن يروه ، ويتوارون عنه تفادياً لنظراته أو كلماته أو معاقباته ، فهو دائماً يثير فيهم ذكريات القسوة والفزع ، فإن ذلك يحول بينهم وبين التعلُّم المثمر .

---

(١) انظر ابن كثير ، تفسير ابن كثير : ٣٦٦/٣ .

٣ ـ حفزه بدافع الانتماء :

فإن في الإنسان ميل للاجتماع بالآخرين ، وحاجة للاستئناس بهم والالتجاء إليهم عند الضيق والحاجة . والمربي كلما دعم المتربي إجتماعياً وسدده في هذا الباب كلما كان إقباله أشد ورغبته في العلم والعمل أكبر . وكلما عزله أو سجنه أو حبسه عن خلانه وأقرانه كلما انعكس ذلك سلباً على انتاجيته ورغبته في التعلُّم .

وقد صنع رسول الله ﷺ وسطاً اجتماعياً مريحاً وحافزاً على التعلم والتقبل وعلى الدربة والتطبيق ، وكان يختار القرناء والأخلاء لأصحابه بدقة وعناية كما فعل في المؤاخاة عندما قدم المدينة ، حيث كان يراعي خصال الإنسجام والألفة ، ويعمد في هذا إلى كل ما يحض على التعلم والاستقامة ، فقد آخى بين حمزة عمّه وزيد بن حارثة مولاه ـ رضي الله عنهما ، وآخى بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل ـ رضي الله عنهما ، وبين أبي بكر وخارجة بن زهير ـ رضي الله عنهما ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب خالد بن زيد ـ رضي الله عنهما ، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ـ رضي الله عنهما ـ [1] وهكذا .

ومن طبيعة النفس البشرية أنها تستأنس وتنشط عندما تكون في وسط إجتماعي منسجم متماسك متعارف .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

« الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر

---

(١) انظر عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام صـ ١٢٧ .

منها اختلف » [١]

وعندما يفتقد الجو الاجتماعي ، أويفتقد الانسجام فيه كالوسط الأسري المتنافر الذي تكثر فيه الخلافات والاتهامات والمكائد ، يهبط الاندفاع للتعلّم عند الأولاد ، وتنشغل قلوبهم ، وترتبك أفكارهم ، وتضطرب نفوسهم ، وتجدهم يتأخرون في دراستهم وأعمالهم ، وربما في حياتهم عموماً .

وقد تنبه إلى ذلك النفسيون فعدُّوا الحب والانتماء من أهم الحاجات التي تؤدي وظيفة حفزية في العمل التربوي خصوصاً وفي الحياة عموماً ، ويعتقد « ماسلو » ـ وهو من أصحاب النظرية الهرمية الإنسانية في الدوافع ـ أن مساهمة الفرد في الحياة الاجتماعية وإنتاجه فيها محدد ومدفوع بحاجاته للحب والانتماء والتواد والتآلف ، وأن حالات العصيان والتمرد ـ وخصوصاً عند الشباب ـ قد تنجم عن القسوة والجفوة ، والمقاطعة والعزلة ، أو التمرد ، أو العزل الذي يمارس عليهم . [٢]

وإليك بعض التوجيهات التربوية التي ينبغي مراعاتها في الحفز الجماعي :

أ ـ نشجّع الطلاب على المذاكرة الجماعية بشرط الانسجام بينهم ؛ فإن هذا يحفزهم للتعلّم والمثابرة .

ب ـ نحرص أن يكون هناك تقارب في السن والمستوى الذكائي إلى جانب الانسجام النفسي .

جـ ـ يقوم المعلم بتكليف الطلاب جماعياً بالأعمال والواجبات قدر

---

(١) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨٥/١٦ ، ومعنى جنود مجنّده أي جموع مجتمعة .

(٢) عبد المجيد نشواتي ، علم النفس التربوي صـ ٢١٣ .

الإمكان ، فإن هذا يشجع بعضهم بعضاً ويجعلهم أكثر استعداداً للتطبيق . وقد يلجأ المعلم للتكاليف الفردية عند وجود الفروق الفردية بين الطلاب . ومن المعلوم أن كثيراً من فروض الإسلام كُلِّف بها جماعياً مثل الصيام ، والحج ، وصلاة الجماعة ، ومن الحكمة في ذلك ما في الجو الجماعي من تشجيع وحماس وتكاتف وتعاون يحس به المسلمون وهم يطبقون شرائع الإسلام .

al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الحوافز العقلية

وتشمل حفز المتربي باستثمار ميوله وخصائصه العقلية من ميله للإنجاز والتحصيل ، ورغبته في الاستطلاع ، واندفاعه للمعارضة والمحاجة والتحدي ، ويدخل في هذا ميول الإنسان للتناسق والتكامل والمنطق . وفيما يأتي إشارة لبعض هذه الحوافز :ـ

١ ـ حفزه بما يقوم به من إنجاز وما يناله من نجاح :

فالإنسان يستمتع بالإنجاز ، ويرغب رغبة جامحة بالنجاح . وهذا ميل له أساس فطري ، فما من أحد إلا يكره الفشل ويعلم أن الدعة والركود أمران مذمومان . كما أن الإنسان إذا بدأ فأنجز عملاً مهماً ثم قام بعمل آخر فإنه يطمح لإنجاز أعمال أخرى . وهكذا فإن الانجاز يدفع للإنجاز ، بينما الكسل يؤدي للدعة والقعود والاستسلام . ويرتبط دافع الإنجاز بالنجاح ، فإن الإنجاز الناجح يدفع لإنجاز آخر ، وأداء عمل على وجه مطابق ومناسب ينشط لأداء عمل أو أعمال أخرى مناسبة . على أنه يوجد صنف من الناس ـ كما تشير البحوث [1] ـ يندفع إلى الإنجاز بسبب خوفه من الفشل لا بسبب طلب النجاح ، وبعض الناس ـ أيضاً ـ يشعر بالتحدي فيضاعف من عمله ومحاولته وذلك إذا فشل أو أخفق لمرة أو مرات ، فهو يخفق فيحاول ، ويخفق فيحاول ، وهكذا يقاوم حتى ينجز وينجح . ولكن هذه الفئة قليلة ، وتحتاج إلى بيئة مناسبة تتسم بالمقاومة .

وإلى جانب الأساس الفطري لهذا الدافع نجد له أساساً شرعياً وشواهد من

---

(١) مثل بحوث «Atkinson» أتكنسون ، عن محي الدين توق أساسيات علم النفس التربوي صـ ١٤٦، ١٤٧ .

السيرة والفقه ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في أداء صلاة الفجر كأداء نهائي بعد أعمال أخرى :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » (١)

فلعل من الحكمة في توجيه الإنسان إلى هذا السلوك أن بدء العمل الخيِّر ثم تتابعه يحمل على الجد والنشاط ، حيث دفع الإنسان بعد النوم والاسترخاء إلى الذكر ، ثم الوضوء ، ثم الصلاة ، وهي انجازات متتابعة تؤدى إلى تلك الحيويةوالنشاط ، كما أننا نجد أن الرسول ﷺ يكتفي عند دعوة المسلمين الجدد بتكليفهم بإنجازات محدودة كالإقرار بالشهادتين والصلاة ، ومن ذلك قصة وفد ثقيف حينما أتوا النبي ﷺ لمبايعته .

فعن عثمان بن أبي العاص ، قال : « لما قدم وفد ثقيف نزلوا على رسول الله ﷺ ، فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشترطوا أن لا يُعشَّروا ولا يحشروا ، ولا يُجبّوا ، فقال رسول الله ﷺ : « **لكم أن لاتعشّروا ولا تحشروا ولا خير في دين ليس فيه ركوع** » (٢)

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٣/٣٠ رقم الحديث [١١٤٢]

(٢) أخرجه أبو داود ، انظر سنن أبي داود : ٣/٤٢١ رقم الحديث [٣٠٢٦] وقوله [لا يعشروا] معناه الصدقة أي لا يؤخذ عشر أموالهم ، و [لا تحشروا] معناه الحشر في الجهاد والنفير له ، و [لا يجبوا] معناه لا يصلوا، وأصل التجبية من خفض الإنسان لمقدمه وإكبابه .

وعن جابر أنه حينما بايعت ثقيف رسول الله ﷺ ، واشترطت أنه لا صدقة عليها ولا جهاد ، سمع رسول الله ﷺ يقول : « **سيصدقون ويجاهدون إذا أسلموا** »(١)

وواضح أن التدريج الذي كان يتبعه الرسول ﷺ في تربية تلاميذه قد روعي فيه إمكانية المتعلم وحاجته للإنجاز بالتدريج ؛ ليحمل الإنجاز بعضه على بعض ويسهل أولُه آخره .

كما أن روح المنهج التكليفي في الإسلام يتضح فيه مراعاة دافع الإنجاز والتحصيل ، حيث إن تطبيق المأمورات والمنهيات يؤدي بعضه إلى بعض ، وتشجّع درجاته على الاستمرار في الإنجاز حتى يترقى المرء إلى درجة الإحسان إن أراد ، إذ أن المأمورات تبدأ بالأركان والفروض ، فالواجبات والعزائم ، فالمندوبات والنوافل . وهكذا المحظـــورات تبدأ بالموبقات والكبائر ، فالمحرمات والصغائر ، فالمكـروهات .

ونجد مصداق هذا في الاستحثاث على العمل في بعض الأحـــاديث مثل حديث الولاية .

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن ســـألني**

---

(٢) أخرجه أبو داود ، انظر ، سنن أبي داود : ٣/٤٢٠ رقم الحديث [٣٠٢٥] .

لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » (١)

وقد بحث عدد من علماء النفس دافعية التحصيل والإنجاز ، ومن هؤلاء « موراى » الذي قام بعدد من الأبحاث و « أتكنسون » و «ماكليلاند » . وقد عرَّف « موراى » دافعية التحصيل بأنها مجموعة من القوى والجهود التي يبذلها الفرد من أجل التغلّب على العقبات وإنجاز المهام الصعبة بالسرعة الممكنة (٢) . لكن هذا التعريف يحدُّ من فعل هذه الدافعية ويقيّدها وهي ـ كما رأينا ـ أوسع من ذلك ، فهي تشتمل على إحساس الفرد بأثر النتائج والثمرات التي يتوصّل إليها عندما يخطو خطوة أو خطوات إلى الأمام ، فيندفع لإنجاز أكبر وأكثر ويستمر في ذلك . هذا الإحساس إلى جانب الإحساس الذاتي بأهمية الإنجاز إبتداءً هما المكونان الأساسان لدافعية الإنجاز .

وتشير دافعية التحصيل عند هؤلاء الباحثين إلى حالة عقلية موجودة عند جميع الناس بدرجات متفاوتة (٣) ، وكأنها جانب من الاستعداد العقلي عند كل فرد قد يستثمر وقد لا يستثمر ، وقد يفلح المربي في اكتشافه وتوجيهه وقد لا يفلح . ولعل هذا هو الذي يجعل الفرد يتضاعف إنتاجه في وقت ، ويخبو في وقت آخر ، بحسب حركة هذا الدافع لديه ، وبحسب نجاح المربي في استثماره .

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠ / ٤٧٦ ؛ رقم الحديث [٦٦٤٠]

(٢) انظر عبد المجيد نشواتي ، علم النفس التربوي صـ ٢١٧ .

(٣) انظر المرجع السابق .

وإليك بعض التوجيهات التي ينبغي مراعاتها في الحفز بدافع الإنجاز :

أ ـ يحاول المربي أن يدفع المتربي للبدء بالعمل والشروع فيه ، وأن يحس بما أنجزه ولو كان قليلاً من حل مسألة ، أو حفظ سورة ، أو تطبيق قاعدة فإن الانجاز المبدئي وإن كان قليلاً يدفع للمواصلة والمتابعة .

ب ـ يحاول المربي أن تكون القضايا والمسائل التي يبدأ المتعلم بمعالجتها متوسطة الصعوبة ، فلا هي سهلة ممجوجة لا قيمة لها ، ولا هي صعبة شائكة ينزعج منها ، وذلك ليتمكن من الحل والاستنتاج فيبدأ دافع الإنجاز في ممارسة الدفع والتحفيز .

جـ ـ ينبغي أن يكون المربي على بينة من أن التدرج في كثير من الأحيان يحقق هذا الدافع ، ويعتبر أساساً له إذا روعيت نسبة وكمية الشيء المُكَلَّف به . بحيث تكون ممكنة التنفيذ لاكثرة فيها ، وباعثة على الشعور بالسرور لقيمتها وظهورها .

٢ ـ حفزه بالاستطلاع والإكتشاف

الإستطلاع من مرغوبات الإنسان ودوافعه ، والإكتشاف غاية يسعى دائماً لتحقيقها من خلال المستجدات اليومية . واستطلاعات الإنسان واكتشافاته مهمة أو غير مهمة تملأ عليه حياته اليومية ، فهو يتلفت ويتطلع وهو في طريقه إلى زحام يتجمع الناس فيه ، أو حادث مروري يتشاجر الناس في شأنه ، أو دخان يتصاعد من مكان ما بشكل ملفت ، وهو يعبث بالآلات والأدوات عندما لا يكون عارفاً بوظائفها ليكتشفها ، وهو يتصنت ويلقي السمع للمعلم الجديد وما يقوله أو يقوم به من أعمال وحركات ، وهو يقلب الكتب والمجلاّت والجرائد ليعرف المستجدات ، ويحرك موجات المذياع ليسمع المهم من الأخبار.

بل إن الطفل عندما تخفى عنه شيئاً ما في قبضة يدك يحاول أن يبسطها ليستطلع ما فيها . وعندما تبدأ قصة تجده يصغي لسماع أحداثها ويستشرف لمعرفة نهاياتها . وعندما تطرح سؤالاً يتطلع للإجابة عليه ثم لسماع الصواب من الخطأ في تلك الإجابة .

وقد سلك المنهج الإسلامي في التربية طريقاً واضحاً وثرياً في استخدام دافع الاستطلاع عند التعليم والتربية ؛ فالقرآن لا يطرح المعلومات والتوجيهات ـ دائماً بطريقة مباشرة ، بل يستخدم أساليب متعددة في توصيلها حية ملفتة وجذابة مقبولة ، فتارة يستخدم القصة ـ وهذا كثير ـ التي تشد القارىء ، وتحرك استطلاعه ، وتجعله منتبهاً طوال الدرس أو الموضوع . وتارة يستخدم أسلوب السؤال والاستفهام اللذان يجعلان القارىء والسامع يشرئب ويتطلع للجواب . ويتنوع اسلوب الجواب ، فأحياناً يجاب على السؤال مباشرة ؛ ففي درس عن توحيد الربوبية ـ مثلاً ـ يقول الله تعالى :

﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجّيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴾ (١)

وأحياناً يُجاب على ما هو أهم من السؤال مما فيه نفع للإنسان ؛ ففي درس عن الأزمان والأفلاك يقول الله تعالى :

﴿ ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنعام : ٦٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٩ ، والسؤال في الأصل عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها ؛ فالهلال يبدو صغيراً ثم يكبر ، وأجيب السائلون بالحكمة من تلك الزيادة والنقصان إذ هو الأنفع والأولى بالسؤال . انظر الشوكاني ، فتح القدير : ١٨٩/١ .

وأحياناً لا يجاب على السؤال بل يصرف الإنسان عنه ، إما لاختصاص الله به ، أو لعدم قدرة الإنسان على إدراكه ؛ ففي درس عن الروح يقول الله تعالى :

﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (١)

وتارة يستخدم الصور التاريخية أو الكونية في عرض العبر والدروس ، ومن ذلك بيان مصارع الغابرين ، وفتح صفحات الكون والطبيعة المتضمِّنة لما يلفت الأنظار في الأرض والسماء وما يوجد فيهما .

وهكذا أيضاً سلك رسول الله ﷺ في تربيته لأصحابه وتعليمه لهم ، فهو يقص أحياناً ويسأل أحياناً ، ويستعين بالأحداث الحية الجارية أحياناً ، أو يرسم ويخطط أحياناً ، وهكذا . وفي كل ذلك يسعى لشد المتعلم واجتذابه وضمان إقباله وتعلقه بالموضوع المتعلَّم ، وقد كانت دروس الرسول ﷺ وحِلَقه ميداناً حيّاً وجذاباً لا يملُّ منه المتعلم لتنوعه وفعاليته ولقوة شده ولفته للنظر ؛ وما ذلك إلا لتناسبه مع طبيعة المتعلم وميله للإكتشاف والاستطلاع .

ونجد في الدراسات النفسية الحديثة ما يؤكد هذا التوجُّه فهي تدل على أن الإنسان محب للإستطلاع بطبعه ، وعلى أن الإنسان يسعى باتجاه الخبرات الجديدة ، ويستمتع بتعلُّم الجديد ، بل ويحسُّ بالرضا عندما يقوم بحل مشكلة ، أو إجابة سؤال ، أو تطوير مهارة من المهارات . ومن الأبحاث التي أثبتت ذلك

---

(١) سورة الإسراء : ٨٥ .

أبحاث هاري هارلو [١] وهو من علماء النفس المشهورين ، وكذلك بيرلاين (١٩٦٠م) [٢] الذي يرى أن توجيه الأسئلة إلى الطلاب بدلاً من تقديم الحقائق مباشرة يزيد في مقدار التعلم ، ومن درجة الاهتمام ، وكلما كانت الأسئلة غير متوقعة وغير مألوفة كانت أكثر نجاحاً في التأثير والجذب ، لكننا نجد أن المنهج الإسلامي ـ كما أشرنا ـ قد استخدم في أساليبه وطرقه هذا الميل الفطري واستثمره قبل أن تنبه إليه الأبحاث الحديثة .

وعلى أساس من ذلك فإن بإمكان المربي أن يجدد في وسائله وطرقه وأن يطرح الموضوعات بمسحة من الغرابة ، وأن يستخدم المجسمات ووسائل الإيضاح للفت النظر ، وأن يغيِّر في البيئة التربوية والأشكال التي يراها أو يحتك بها المتعلم ، وأن يستخدم الأسئلة والإثارة لجذب الانتباه ، وأن يطرح الموضوعات الجديدة ، وذات الطابع الاكتشافي ، يستخدم أسلوب التداعي لتحريك فكر المتعلم ولإثارة فضوله ، وأن يجعل الطلاب يسألون ويستفسرون ثم يجيب على الأسئلة ؛ حيث يأتي الجواب بناءً على حاجة الطلاب ورغبتهم فيتمكن .

وإليك بعض التوجيهات التي ينبغي مراعاتها في الحفز بدافع الاستطلاع :

أ ـ حاول أن تبدأ الدرس أو الموضوع بالأسئلة والاستفسارات للفت النظر

---

(١) محي الدين توق وعبد الرحمن عدس ، أساسيات علم النفس التربوي ، ص ١٤٩، ١٥٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٥١ .

واستجلاب الانتباه .

ب ـ ابدأ الموضوع أو ضمّنه ما فيه جدة وغرابة بحيث يثير استطلاع المتعلم ويشدّه إليه .

جـ ـ ليكن من الأساليب التي تستخدمها القصة بما تحمله من مفاجأة وعقدة ونهاية ، وأن تكون موجهة لخدمة الموضوع ولإيصاله للمتعلم بشوق وتطلّع .

د ـ استخدم طريقة « المشكلة والحل » في طرح بعض الموضوعات للمتعلمين بدلاً من العرض المباشر الذي يعطي المعلومات جاهزة .

هـ ـ زوّد البيئة التربوية بالأشكال والوسائل والأشياء الجديدة التي تزيل الملل ، وتجذب النفوس وتجدد نشاطها .

و ـ استقبل أسئلة الطلاب والمتعلمين واستفساراتهم وتعليقاتهم واستثمرها في إيصال الموضوع واستيعابه .

ز ـ لاتكن روتينياً مملاً ، ولا تظهر لطلابك بشكل وأسلوب جامد لا يتغيّر .

٣ ـ حفزه بالتحدّي والمحاجّة

وهذا النوع من الحفز مرتبط بحبّ المرء للاكتشاف والاستطلاع ـ الذي سبقت الإشارة إليه ـ لكن يضاف إليه وجود المنافس أو المتحدي الذي يستثير كبرياءه ، ويختبر قدرته ، ويضعه في زاوية دفاعية يحاول الخروج منها بما يبذله من جهد أو يدلي به من حجج . ويستوي في أمر الدفع بالتحدي أن يكون عن طريق المجادلة والمقارعة بالبراهين ، أو عن طريق حل المسائل الشائكة ، أو عن

طريق محاولات الإنسان التغلب على العوائق والعقبات المادية التي تقف في وجهه للوصول إلى غاية ما .

وفي القرآن الكريم يردُ ـ أحياناً ـ السياق بأسلوب التحدي ؛ بغرض إفحام المعاندين ، والرد على المكابرين ، وتنبيه الغافلين ، وجذب المحايدين ، انظر ـ مثلاً ـ لأواخر سورة الطور ، قال تعالى :

﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فإني معكم من المتربصين * أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ الآيات [١].

وكذلك التحدي والإفحام الوارد في سورة البقرة بأن يأتي الناس بسورة من مثل سور القرآن ، فإذا الناس لم يثبتوا لهذا التحدي والإعجاز فعليهم أن ينقادوا ويستجيبوا لأمر الله تعالى بأن يتقوا النار ، وذلك بعبادته وحده وطاعته والاستقامة على هديه ، وهذه هي الغاية الكبرى لمنهج القرآن في التربية .

قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ [٢]

---

(١) سورة الطور : الآيات ٢٩ ـ ٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٣، ٢٤ .

وينبغي أن يستخدم هذا الأسلوب بحذر ، وبقـدر معقول لئلا يخرج المتعلم عن طوره ، أو يؤدي به إلى الكبر والغرور مما يحـول بينه وبين التعلُّم ؛ فتـأخذه العزة بالإثم فيرد الحق ، ـ وكما مرّ ـ فـعند الإنسان ميل للجدل والمحاجة بحيث يظهر رأيه علـى بقية الآراء ، ويبـرر فعله ومواقـفه حيث تـكون مخالفـة أو شاذة بكل ما أوتي من قوة في الجدل والتبرير ، قال تعالى :

﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ (١)

فاستثمار هذا الميل بالحدود المعقولة ، وضمن الضوابط الشرعية أمر مطلوب لشحذ الهـمم ، ودفعها للتحـصيل والعمل ، وتوجيهـها إلى المقاصد الصحـيحة باقتناع وتسليم .

قال تعـالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (٢)

وينبغي تجنب الجدل العقيم والتبرير المتكلَّف ، وقد كره رسول اللّه ﷺ هذا ولام عليـه ، كـما في قـصتـه مع علي بن أبي طالب إبنتـه فـاطـمـة ـ رضي اللّه عنهـما ـ :

عن عـلي بن أبـي طالب ـ رضـي اللّه عـنه ـ « أن رســـول الـلّه ﷺ طَرَقَهُ وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة ، فقـال : ألا تصليّان ؟ فقلت : يا رسـول اللّه أنفسنا بيد اللّه ، فإذا شـاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجـع إليّ شيئاً ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه وهو يقول :

---

(١) سورة الكهف : ٥٤ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥.

﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ (١)

ويذهب بعض علماء النفس في مسألة رغبة الإنسان في التحدي وطول نفسه في تحقيق ما يريد إلى أبعد من ذلك ؛ حيث يذهب هارلو (٢) ـ وهو ممن بحث كثيراً في مسألة الدوافع ـ إلى أن هناك نوع من الحوافز يدعوه بـ (الدافع إلى التناول) ؛ حيث يمضي الحيوان كالقرد عدة ساعات محاولاً فتح قفل لخزانة بداخلها بعض المكسرات ، رغم أنه ليس بحاجة إليها فقد كانت المكسرات بجواره ، لكنه يحاول أن يثبت قدرته وأن يصل إلى ما في الداخل . والطفل يظل يحاول الوصول إلى ما في داخل اللعبة أو الصندوق ولو لم يكن بحاجة إليه ؛ ليقنع نفسه والآخرين بقدرته وإمكاناته ، وليستمتع بالفوز بالشيء بعد التحدي .

فالتحدي بصوره المختلفة يستثير المتعلم ويدفعه إلى محاولة إثبات قدرته ، وإبراز حجته ، وقد يكتب أشياء كثيرة من مهارات ومعلومات واتجاهات عبر أجواء المنافسة التي يشعر أنه جزء منها .

وإليك بعض التوجيهات التربوية التي ينبغي مراعاتها في الحفز بدافع التحدي :

أ ـ اطلب من المتعلم أن يسند رأيه أو قوله بالدليل أو الأدلة المقنعة ،

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٣/٣ الحديث رقم [١١٢٧] . طَرَقَه من الطروق وهو الإتيان بالليل .

(٢) انظر Sarnoff A وآخرون ، التعلم ، ترجمة عماد الدين إسماعيل ص ١١٣، ١١٤ .

وفندها إن لم تكن مقنعة ليأتي بغيرها أو يتقبل المعلومة بالصورة الصحيحة .

ب ـ اطلب من المتعلم تعليل مواقفه وآرائه ، وبيان الحكمة في تصرفاته وأعماله ، وادفعه في بعض المواقف التعلمية بدعوته إلى نبذ التقليد والتبعية اللتين قد تسيطران عليه .

ج ـ اجعل الموضوع أحياناً حواراً بين طالبين – كالمناظرة – يتحاجان كل يريد أن يتغلب على الآخر ، وقد يقسم المربي المتعلمين إلى فريقين ، لكل فريق وجهة نظر يثبتها ويناضل عنها .

د ـ عوِّد تلاميذك وجمهورك على قول الحق وإثباته والاستدلال له بأن تفحمهم في بعض المواقف ، وتضعهم في مواقف دفاعية أوهجومية بحسب الحال والمراد .

هـ ـ الألغاز والمعجزات والمساجلات ونحوها أساليب جذابة لما تتسم به من المنافسة والتحدي ، وبإمكان المربي صياغة بعض مواده وموضوعاته بمثل هذه القوالب لجذب المتعلم وحفزه للتحصيل .

الحوافز الغيبية

وتشمل حفز المتربي باستثمار ميول الفرد العبادية ، وإحساسه بالحاجة للاستعانة بخالقه سبحانه وتعالى ودعائه واللجوء إليه ، وبأدائه لبعض السلوكيات العبادية التي تقويه وتنشطه في إنجاز الأعمال وتحمل المصاعب .

وفي هذا النوع من الحضّ والتحفيز نجد عدة مناشط :

١ـ استثمار العبادات في دفع الانسان لنشاط أكبر ؛ لأن العبادة تكسب الفرد الجد والنظام ، وتزوده بالسند والقوة المعنوية والنفسية ، وتدفعه لمزيد من الحركة والحيوية ، وقد أشارت بعض الاحاديث إلى مثل هذا . من ذلك ماورد عن أثر ذكر الله ثم الوضوء ثم الصلاة في نشاط النفس وحيويتها ، وذلك في حديث « **يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذاهونام ثلاث عقد ...**» وقدسبق ذكره في الحديث عن دافع الانجاز [١].

وقد أمر الله سبحانه بالاستعانة بالصلاة على أمور الحياة الدنيوية والأخروية، قال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلاعلى الخاشعين** ﴾ [٢]

وكان رسول الله ﷺ يلجأ إلى الصلاة عندما تضيق الأحوال ، فقد ورد أنه ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أمر فزع إلى الصلاة [٣] وكان بعض العلماء عندما تشكل عليه مسألة ويعجز عن حلها يلجأ إلى الصلاة لحل الإشكال واجتياز العقبات .

---

(١) انظر ص : ١٠٥ .

(٢) سورة البقرة : ٤٥ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير : ١/١٥١ ، ١٥٢ .

٢ ـ تجنب الذنوب والمعاصي إذ أنها تؤدي إلى انعكاسات سلبية في ميدان العمل ؛ فهي تمحق بركة العمل ، وتفشل ريحه . وقد تنبَّه إلى هذا وكيع بن الجراح ـ رحمه الله ـ عندما شكا إليه الشافعي ـ وكان تلميذه ـ ضعف الحفظ وبطء التعلُّم ، فأجابه بأن المعاصي مصدر من مصادر ضعف التحصيل ، وتردي الحفظ ، وقد دوّن الشافعي ذلك الجواب بقوله :

شكوتُ إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نورٌ ونور اللّه لايؤتى لعاصي

فالمعاصي إذا كثرت تراكمت على القلب والعقل ، وسدَّت منافذ العلم الصحيح ، وعاقت التحصيل بدرجة ما .

قال الله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (١)

وعند ترك المعاصي والتحرز منها استجابة لأمر الله وطاعة له تزكو النفس ، ويرتفع شأنها ، وتتبارك أعمالها ، وتكون أكثر صفاءً ووضوحاً ، وأقدر على التمييز والفهم ، وتمتلك الفرقان الذي به تعرف الحق من الباطل والنافع من الضار والصحيح من السقيم ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ (٢)

والعمل على إبعاد التلاميذ والدارسين عن المعاصي والآثام هو نوع من الحفز غير المباشر ينمي الأعمال ، ويزيد في الإنتاج والتحصيل ، ويدفع لإقبال أكبر

---

(١) سورة المطففين : ١٤ .

(٢) سورة الأنفال : ٢٩ .

على التعلُّم والحفظ ؛ لصفاء النفس وخلوها من الملهيات والمهبطات ، واستعدادها للاستفادة .

٣ ـ تعويد المتربي على الأذكار والأدعية المنشِّطة ، والتي تعطي أثرها كلما مارسها المرء بصدق وإخلاص ، وكلما جزم بفاعليتها وتأثيرها ، وأدّاها على الوجه الشرعي ، من ذلك الاستعاذة مما يؤدي للدعة والقعود وترك العمل .

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ أن رسول اللّه ﷺ أوصى من ابتلى بهمٍّ أودين أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى : « **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال** » (١)

ففي هذا الدعاء استعاذة من العجز والكسل ، وهما نوعان من الحالات النفسية يقعدان بالإنسان عن إنجاز أعماله والإقبال عليها بهمة ونشاط ، وينتج عنهما البطالة والتأخر وهبوط الإنتاجية على مستوى الفرد والجماعة .

ومن ذلك الاستعانة بالأذكار الواردة للتقويٍّ على الأعمال وانجازها ، ولإكساب النفس حيوية نابعة من قوتها الروحية والمعنوية لارتباطها باللّه واستعانتها به دون سواه .

عن علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً ، قال : « **ألا أخبرك ما هو خير لك منه ، تسبحين اللّه عند منامك ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدين اللّه ثلاثاً وثلاثين وتكبرين**

---

(١) انظر الشوكاني ، تحفة الذاكرين ص ١١٣ ، والحديث أخرجه أبو داود بهذا اللفظ ، وأخرجه البخاري ومسلم وأحمد بلفظ مقارب .

اللـــه أربعاً وثلاثين » [١] وقد أشـار بعض شـراح الحـديث إلى أن الذي يلازم ذكـر اللّه يعـــطى قـوة أعظـم من القـوة التي يعـملهـا له الخادم، أو أنه تسـهل الأمـــور عـليـه بحيث يكون تعـــاطيـه أمـوره أســـهل من تعـــاطي الخـــادم لـــها [٢].

ومن ذلك التـحلي بالأمل ، ونبـذ اليأس ، والحـذر من الأسى والأسف على الماضي مما يعـيق الإنسـان ويقـعـده عن بذل الجـهـد والمحـاولة ، أو يؤدي به إلى الإحباط النفسي والاتكالية .

عن أبي هريـرة ـ رضي اللّه عنه ـ قـال: قـال رسـول اللّه ﷺ : **« المؤمن القوي خيـر وأحب عند اللّه من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، إحرص على ما ينفعك ولا تعـجز ، فإن غلبك أمر فـقل : قدَّر اللّه ومـا شاء فـعل ، وإياك واللَّو فإن اللَّو تفتح عمل الشيطان »** [٣]

وهذا التـوجيـه يعلمنا أن نتـخذ كل مـا في الاستطاعـة لأداء العمل وإنجـازه بالصورة المطلوبة ، فإذا تحققت حمدنا اللّه ، وإن لم تتحقق فلا يأس ولا قنوط إذ هو بتـقدير اللّه ، والنهي عن اللو المصـاحب للندم والأسف الشـديدين فيـه إبعاد عن اليأس ، وتشجيع للمحاولة من جديد [٤].

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٤١٦/٩ ، الحديث رقم [٥٣٦٢] .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) انظر النسائي ، عمل اليوم والليلة ص ٤٠١ الحديث رقم [٦٢١] .

(٤) انظر كلام المحقق فاروق حمادة في المرجع السابق نفسه عندما علق على الحديث .

الحفز في الدائرة الآخروية

الحفز الأخروي هو النوع الثالث من الحوافز في المنهج النفسي الإسلامي ، وهو ـ كما مر سابقاً ـ أشملها وأعمقها وأبعدها تأثيراً في النفس والسلوك .

وللحفز الأخروي مرتكزات يتأسس عليها ، وموضوعات يتكوّن منها ، وأساليب يتشكل بها ، وسنتناول هذه الجوانب بشيء من الإيضاح والتفصيل .

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

مرتكزات الحفز الآخروي

المرتكزات هي الأسس الجبلية والنفسية التي تتكيء عليها الحوافز الأخروية ، فالإنسان له من الميول والتوجهات النفسية والانفعالية والأحاسيس مايمهد ويهيء للتحرك على المدى البعيد والانطلاق للأهداف البعيدة التي تختلف عن الأهداف على المدى القصير ، وبدفع آت من هذه الأسس يمارس المرء عبادته ، ويستقيم في سلوكه ، ويسعى لإنجاز الأعمال الصالحة دون أن يعول كثيرا على النتائج الدنيوية القريبة ، ومن هذه المرتكزات :

١ ـ الدافع الفطري .

٢ ـ الدافع الخلقي .

٣ ـ الدافع الأمني .

٤ ـ التطلع للعدل .

٥ ـ التطلع للاشباع الشامل للغرائز .

الدافع الفطري

ويتمثل فيما خلق عليه الإنسان من التوحيد والإقرار بأن الله هوالرب الخالق ، المالك ، الرازق ، المتصرف ، وبأنه هو الإله المعبود وحده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مامن مولـود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمـجسانه» .

كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها » (١)

ويقول الله تعالى : **﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾** (٢)

والفطرة هي الخلقة والمراد بها هنا الملّة وهي الإسلام والتوحيد . ولذلك لم يقل في الحديث أويسلمانه لأن الإسلام هو الأصل فكل فرد من أفراد الناس مفطور : أي مخلوق على الإسلام ، وهذا هو مذهب جمهور السلف بأن المراد بالفطرة الإسلام (٣) . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ خطب يوما فقال في خطبته حاكياً عن اللّه سبحانه وتعالى :

(وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم) (٤)

وقد بين اللّه ذلك في القرآن كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ (٥)

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري ٥٠٢/١١ رقم الحديث [٦٥٩٩] .

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

(٣) انظر الشوكاني ، فتح القدير ٢٢٤/٤ .

(٤) أخرجه أحمد ، انظر المرجع السابق (٢٢٦/٤) .

(٥) سورة الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣ .

حيث أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن اللّه ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه ، وقد جلّى ذلك رسول اللّه ﷺ ، فقد ورد عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال :

« إن اللّه أخذ الميثاق من ظهر آدم ـ عليه السلام ـ بنعمان يوم عرفه ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قبلا قال ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .. الآيات ﴾ » (١)

وهذا الدافع المتأصل في الإنسان هو الذي يمهد لأنشطة الإنسان العبادية والروحية فالصلاة ، والصيام ، والصدقة ، والدعاء والخشية ، وغيرها مرتكزة على ميل الإنسان ـ في الأصل ـ للخضوع والاستسلام للخالق سبحانه ، وحاجته الماسة لعونه وتوفيقه ، وتعلقه النفسي بمن له الخلق والأمر ، الذي يعطي ويمنع ، ويحي ويميت، ويجير ولا يجار عليه ، وبمن بيده القوة والهيمنة والجبروت . ومخاطبة الإنسان باستثارة هذا الميل أحد الطرق المهمة لدفع الإنسان لمزيد من الأعمال الصالحة والأنشطة النافعة ، ولتقليص السلوكيات المشينة والأعمال الرديئة . ويلمس المربون تأثر الإنسان وانجذابه للأعمال الخيرية وممارستها عند مخاطبة فطرته وبيان حاجته للخالق ، وعند إثارة معاني الاستقامة في نفسه وانسجامها مع تطلعاته العميقة وراحته واستقراره على المستوى البعيد .

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي ، انظر ابن كثير ، تفسير ابن كثير، ٢٤٦/٣ .

وفيما يأتي بعض التوجيهات التربوية في الحفز بالفطرة :

أ ـ استثر كوامن الفطرة في النفس ، ومحبتها للمستقيم السليم دون المعوج السقيم على المدى البعيد ، ورغِّب الناس متكئاً على هذا الأساس .

ب ـ الرجوع للفطرة والانطلاق منها هو طريق الوضوح والجلاء ، وبه يكون الإنسان عفوياً وطبيعياً ، ويؤدي انطلاق المربي من هذا الأساس إلى التيسير والراحة ، ويحس المتربون بذلك لما يجدونه من صفاء ووضوح . بخلاف اللجوء للطرق الملتوية ، والممارسات المتكلفة فإنها تزعجهم وتضايقهم ، وتخفض من فاعليتهم ، وربما أدَّت إلى السلبية والإعراض .

جـ ـ بالرجوع إلى ما فطرت عليه النفس ، تحصل الوحدة ، فيصير هم المرء واحداً ، ويجتمع نشاطه لغاية نهائية فذة ، وفي هذا من الراحة النفسية والطمأنينة ما يطمح إليه الإنسان ويبتغيه .

د ـ بإرجاع الإنسان إلى الأساس الفطري ، نجعل الإنسان يثوب إلى خالقه وإلى مربيه الحقيقي والمنعم عليه بأنواع النعم التي لا تحصى ، وفي هذا اختصار للوسائط التربوية ، وإعادة للإنسان إلى مصدر التوجيه الأصل عن طريق الوحي الذي أنزله الله لهداية الإنسان وتوجيهه وتربيته .

الدافع الخُلقي :

أما الدافع الخلقي فهو مرتبط بالدافع الفطري ومنطلق منه ، ويتمثل بالحاسة الخلقية عند الفرد والتي تؤدي به إلى التمييز بين الأفعال الحسنة والقبيحة ، والخيِّرة والشريرة ، ففي الإنسان ما يشبه القوة الإدراكية التي بها يميل للجميل الحسن ، وينفر من القبيح المستهجن .

قال تعالى : ﴿ **ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ (٢)

فقوله تعالى ﴿ **ألهمها** ﴾ أي عرّفها وفهّمها الخير والشر . وقوله ﴿**النجدين**﴾ أي طريق الخير وطريق الشر .

وهذا يشير إلى وجود هداية فطرية عامة لجنس الإنسان يعرف بها الفعل الخيِّر من الفعل الشرير . وقد ورد عن الرسول ﷺ ما يبيِّن ذلك حيث قال :

« **البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ، ولم يطمئن له القلب ، وإن أفتاك المفتون** » (٣)

وفي حديث للحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ قال : حفظت من رسول الله ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة** » (٤)

فالإشارة إلى سكون النفس وطمأنينتها عند الهم بالخير كالصدق ،

---

(١) سورة الشمس : ٦ ، ٨ .

(٢) سورة البلد : ١٠ .

(٣) أخرجه أحمد من حديث الخشني ، انظر المسند ، ١٩٤/٤ .

(٤) أخرجه الترمذي وقال : حديث صحيح انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٢٢١/٧، ٢٢٢ رقم [٢٦٣٧]

وإلى التـردد والقـلق عند الهـم بالشـر كـالكـذب ، يدل على المعيـار أو الميـزان الداخلي الذي به يعـرف المرء مـا يأتي وما يدع من الأخـلاق والأعـمال . وبهـذا يتضـح أن في النفس توجهـاً فطرياً خلقيـاً أصيـلاً ، وميـزاناً به تدرك إدراكاً عـاماً للخير والبـر من الشر والإثـم ، وأن هذا ينعكس ويظهر عـلى النفس البشـرية من خلال إحساسـها الإيجابي في حال الخيـر أو السـلبي في حـال الشر ، وهـو ما أبلغه الرسول ﷺ لوابصة ابن معبد ـ رضي اللّه عنها ـ عندما كان يتساءل عن البر والإثم .

فعن وابصة بن معبد ـ رضي اللّه عنه ـ قال : أتيت رسول اللّه ﷺ وأنا أريد ألا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سـألته عنه ، وإذا عنده جمع فذهبت أتخطى الناس فقـالوا :إليك ياوابصة عن رسـول اللّه ﷺ ، إليك ياوابصـة . فـقلت : أنا وابصـة دعوني أدنو منه فإنه من أحب الناس إليّ أن أدنو منه . فقال لي : « **أدن يا وابصة** » فدنوت منه حـتى مسّت ركـبتيّ ركبتيه ، فـقال : « **يا وابصة أخبرك ما جئت تسألني عنه ، أو تسألني** » فقلت : يا رسول اللّه فـأخبرني ، قال : « **جئت تسألني عن البـر والإثم** » . قلت : نعم ، فـجمع أصـابعه الـثلاث ، فـجعل ينكت في صدري ويقول : « **يا وابـصـة اسـتـفت نفسك ، البر ما اطمـأنّ إليه القلب ، واطـمأنت إليـه النفس ، والإثم ما حـاك في القلب ، وتردد في الصـدر وإن أفـتاك النـاس وأفـتـوك** » (١)

وهذا الدافع يعين الإنسان عـلى فـعل الخـيرات ، وعلى التـخلُّق بالفـضـائل والمحامد وتجنب الخصال القبيحة والأخلاق الذميمة ، وهو يعين الداعية والمربي في استـثمار أوتار النفس الداخلية ، وحساسـيتهـا القلبيـة ـ في هذا الشأن ـ لدفعـها

---

(١) أخرجه أحمد ، انظر المسند ، ٤/٢٢٨ .

للتحلي بالفضائل ومنعها من مقارفة الرذائل .

ويتضح أن هذه الحاسة الخلقية تستمد قوتها من أعماق النفس ، ومن قدراتها الفطرية التي أودعها الخالق سبحانه فيها . فالإندفاع إلى تجميل السلوك وتعديله ـ استجابة لهذه الحاسة الخلقية ـ هو اندفاع ذاتي مستقل عن البيئة الخارجية ومغرياتها المادية والمعنوية .

وفيما يأتي بعض التوجيهات التربوية:

١ ـ خاطب النفس ببيان السلوك الحسن مقروناً بالفضائل المطلقة التي تحبها النفس وتقرُّ بسموها وجمالها ، مثل الصدق ، والعدل ، والحلم ، ونحوها من القيم التي يقرُّها كل العقلاء ، ويتوقون إلى الاتصاف بها .

٢ ـ اطلب من المدعو أو المتربي أن يسأل نفسه عما يقارف من أعمال وسلوكيات ، هل ترتاح لها نفسه ، ويطمئن لها قلبه أم لا ؟ ففي قياس الارتياح والاطمئنان من داخل النفس مؤشر على صحة الاتجاه من سقمه . وفيه إرشاد ـ بما يكفي ـ إلى ما ينبغي التحرك نحوه وما لاينبغي .

٣ ـ الاختفاء بالسلوك والتستر به يكون في كثير من الأحيان منبهاً إلى اعوجاجه وشذوذه ، والظهور به وعدم الخوف من إعلانه منبهاً إلى سلامته وسداده ، خصوصاً في مجتمع صحيح سليم محافظ . وبالإمكان دفع الناس إلى التفكر في هذا وتذكره عند اختيار أنواع السلوك والاتجاهات على حد قوله تعالى ـ فيما يفعل الإنسان بنفسه

عندما يختار السلوك أو الاتجاه :

﴿ قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ (١)

الدافع الأمني

وهو نابع من حاجة المرء للسند والقوة والحماية ، وتلك أساسات نفسية ضرورية للإنسان . وهي دوافع ذاتية تحمل الإنسان على أداء سلوكيات معينة وتجنب أخرى ليطمئن ويستقر ويشعر بالحماية والمعونة ، وليؤول إلى مرجع يستحق اللوذ به والركون إليه .

قال تعالى في قصة لوط عليه السلام عندما قهره قومه وضيقوا عليه ، وأفزعوه وأرادوا ضيوفه من الملائكة بغياً وعدواناً ، ولم يكن بيده من حيلة مادية تحميه أو عشيرة وولد يدفع عنه :

﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد * قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد * قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ (٢)

ومصادر الأمن والحماية عديدة ومتنوعة ، ولكن أعظمها وأهمها الحماية الإلهية والسند والقوة الربانية ، وبذلك طمأن الملائكة المرسلون لوطاً عليه

---

(١) سورة الشمس : ٩، ١٠. ومعنى دسّاها أي أخملها وأخفاها بالفجور والمعصية من دَسَسْتُ . انظر ابن الجوزي ، زاد المسير : ١٤١/٩ .

(٢) سورة هود : ٧٧ ـ ٨٠ .

السلام ، قال تعالى :

﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾ (١)

وهكذا ما أحس به موسى ـ عليه السلام ـ في جوار ربه وطمأنينته إلى قوته ومعيته للمؤمنين فقال ـ عليه السلام ـ : ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ عندما لحق به فرعون حاشداً قومه وجنده وجيوشه لإهلاك موسى ومن آمن معه ، وقد شعر قوم موسى بالخوف والفزع إذ لا حول لهم ولا قوة ، قال تعالى :

﴿ فأتبعوهم مشرقين * فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فرق كالطود العظيم. وأزلفنا ثَمَّ الاخرين * وانجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين ﴾ (٢)

ومن طبع النفس الضعف والإحساس بالقصور والنقص في مواقف كثيرة تمر بها في الحياة ، ويحس من خلالها بالحاجة للعودة إلى خالقه واستمداد القوة منه ، بل قد يحس بالقلق والفزع عندما يقصر في فعل الفضائل وتجنب الرذائل ، فلا يجد مناصاً له سوى التطلع إلى السماء لطلب العفو والغفران والعزيمة على الاستقامة والرشد . وقد بيّن اللّه في القرآن هذا الطبع في الإنسان ، ففتح له باب التوبة والاستغفار ليثوب إلى الحق ، وليستأنف طريق الخير والعمل

---

(١) سورة هود : ٨١ .

(٢) سورة الشعراء : ٦٠ ـ ٦٦ .

الصالح من جديد ، ولينبذ كل ما يؤدي لانحرافه والميل به أو يبعث على تيئيسه وإخافته ، قال تعالى :

﴿ يريد الله ليبيِّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ (١)

ويعدُّ هذا الأساس الدافعي من أهم مصادر الطاقة والحيوية والتجدد في حياة المسلم ، يدفعه لتجديد سلوكه ونمائه وسلامته كمّاً ونوعاً . وقد جعل الله الأمن الحقيقي والشامل من نصيب المؤمنين الموحدين ، الذين يتجهون إلى الخالق بالعبادة والطاعة والخضوع . قال تعالى في ذكر حال إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه من المشركين وهو يحاجهم فيما اتخذوه من عبادة الأصنام وما اتخذه من عبادة الواحد الدَّيان :

﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم صادقين * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وأولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (٢)

التطلع للعدل والانصاف

ويتمثل هذا الدافع في ميل الإنسان ـ على المدى البعيد ـ للفصل في الحقوق، ومكافأة المحق المجتهد ، ومعاقبة المعتدي المقصر ، وانتظار ساعة الإنصاف

---

(١) سورة النساء : ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام : ٨١ ، ٨٢ .

التي بها يظهر الأصيل من الزائف والجيد من الرديء ،والصابر من المتعجِّل .

قال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ (١)

فالحق أمر قامت عليه السموات والأرض ، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل أمر قامت عليه حياة الخلق في القريب أو البعيد ، وهو معنى كامن في نفوسهم ، فمن الناس من يظهره ويؤمن به ويعمل له ، ومنهم من يستره ويجحده ، لكن هذا الفصل العدل قادم لا محالة . قال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين** ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد استهزىء برسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين** ﴾ (٣)

فالإيمان بالحياة الآخرة إذن متأسس على مثل هذا الميل الداخلي ، ومنطلق من شعور الإنسان بين فينة وأخرى بالحاجة إلى العدل الذي ينصف أصحاب الحقوق ، ويعاقب أكلة الحقوق . ولا ينفك الإنسان من هذا الشعور ، وهو

---

(١) سورة ص : ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سورة الدخان : ٣٨ ـ ٤٠ .

(٣) سورة الأنعام : ٣٣ ، ٣٤.

يتقلب في الحياة ويمارس أنشطتها ، فهو إن ظلمه الآخرون وأخذوا حقه ، ولم يتمكن من الحصول عليه في الحياة الدنيا تطلع إلى السماء وجأر إلى خالق الخلق لإنصافه وتعويضه ، وإن ظلم الآخرين وأخذ حقوقهم ساوره قلق وضيق بين حين وآخر أنه قد ظَلَم واعتدى ، وأنه قد يقع في القصاص يوماً ما ، وأن الأمور لن تدوم له على ما هي عليه سالمة مسالمة ، ولهذا نجد أصنافاً كثيرة من الناس يصبرون لضياع حقوقهم ولقلة حيلتهم في إعادتها ، احساساً منهم بأنها لابد أن تعود ، وأصنافا أخرى من الناس يعودون عن ظلمهم ، وينصفون خصومهم ولو بعد حين ، ويبذلون في ذلك الجهود والأموال لما يحسون به من القلق والألم النفسي لما أحدثوه من ظلم ينتظر الفصل العدل وإحقاق الحق الذي قامت عليه السموات والأرض ومابينهما .

وفيما يأتي بعض التوجيهات التربوية :

١ ـ استثمر ميل الناس للعدل ومقتهم للظلم عندما تطلب منهم الرجوع الى الحق والقصد في الأمر والإنصاف من النفس .

٢ ـ اربط سلوك الناس ومايحدث فيه من اضطرابات مثل الظلم والجور وأكل الحقوق بحقيقتي الكون والخلق وما قامتا عليه من خصائص النظام والقسط والتوازن المشهودة لدى الإنسان ، وأن الظلم بأنواعه يصطدم بهذه الحقائق وأن مرتعه وخيم ، بينما العدل ينسجم مع هذه الحقائق ، ونهايته مشرقة مشرفة .

٣ ـ أرشِدْ الناس إلى أن أنواع القلق والضيق والتأنيب النفسي ترجع في جانب منها إلى مصادمة الإنسان لفطرته التي تميل إلى العدل وتحبه وتعتبره السلوك الصحيح ، وتنفر من الظلم ومايترتب عليه من أزمات ومشكلات .

التطلع للإشباع الشامل للغرائز

ويتمثل هذا في ميل الإنسان الكامن لإشباع حاجاته ومحبوباته إشباعاً شاملاً من حيث النوع والكم ، ولهذا فهو ـ دائماً ـ يطلب المزيد من المآكل والمشارب ، والمناكح ، والمراكب ، ومن التجارة والزراعة والعمارة ، وأنواع الأموال والكماليات . وهو عندما يحصل على شيء جيد يسعى لما هو أجود منه ، وعندما ـ يحصل على كمية من شيء ما يسعى للحصول على كمية أكبر ، وقد بيّن الله تعالى هذا التوجه عند الإنسان قال تعالى : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾ (١)

ويبين الرسول ﷺ بعض ميل الإنسان في هذا مثل حبه للدنيا والمال :

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** » (٢)

وفي رواية لأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : « **لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية** » (٣) .

وفي حديث آخر بين الرسول فيه طبيعة النفس البشرية وبعض دوافعها

---

(١) سورة آل عمران : ١٤ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٢٥٧/١١ الحديث رقم [٦٤٣٦]

(٣) المرجع السابق نفسه : ٢٦٠/١١ .

النفسية شبه الملازمة ، والتي تؤدي إلى ضلال الإنسان في الدنيا ما لم يضبطها أو يرشدها ، بحيث يؤسس عليها التطلع لإشباع أعظم وأجدى وأوسع .

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول ﷺ قال : « **يهرم ابن آدم ويشبُّ منه اثنتان : الحرص على العمر والحرص على المال** » (١)

على أساس من هذا التطلع وهذا الميل يرتكز الدفع الأخروي في جانب منه ؛ حيث يتم إغراء الإنسان ووعده بأنواع العطاء والنعيم المطلقين كماً وكيفاً . ويتم استثمار هذا التطلع المادي الأصيل لشده وإقناعه بالمتعة الأعظم ، والسعادة الأشمل ، والملك الأكبر الذي لا يضاهيه ما في الدنيا ، وذلك في الحياة الآخرة حيث النعيم العظيم المقيم .

قال تعالى : ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ (٢)

وفي حديث الرسول ﷺ ما يشبع التطلع ويغري ويرغِّب . عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال :

« **قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » (٣)

ولوجود هذا الميل عند الإنسان ورغبته في الحصول على المتع بأحسن وأكبر

---

(١) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٦٣٢/٦ الحديث رقم [٢٤٤٢] وقد أخرجه الشيخان أيضاً . ويهرم يعني يشيب ويشب : أي ينمو ويقوى .

(٢) سورة الزخرف : ٧١ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٤٧٣/١٣ الحديث رقم [٧٤٩٨] .

قدر ممكن ، نجد فئة من الناس تؤجل متعتها الدنيوية لتحصل على المتعة الأخروية إذ هي أعظم وأجود ، وترقى لمستويات عالية في المشاعر والأعمال والأخلاق لما ترجوه من الظفر بالسعادة الحقيقية في الآخرة إذ هي ألذ وأعذب .

إن لدى الإنسان قابلية للإمتداد بتطلعاته وأمنياته لتشمل محبوبات الآخرة إلى جانب الدنيا . فهو إذا كان يحب البقاء ـ كما مرّ في حديث سابق ـ ويسعى له ففي الآخرة الخلود والأبدية . وإذا كان يحب الاستطلاع ففي الآخرة يطّلع على ما غُيّب عنه وستر ، بل ويرى الديّان ويستمتع بالنظر لوجهه الكريم . وإذا كان يحب الاجتماع بالرفقة والخلان ، ويكره العزلة ففي الآخرة أجمل وأفضل اجتماع وأخوة وخلة .

قال تعالى : ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سرر متقابلين** ﴾ (٢)

وإذا كان يحب الطعام والشراب وما جاد من أنواعهما ، ففي الآخرة مايريد بلا استثناء . قال تعالى : ﴿ **وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون** ﴾ (٣)

وعن معاوية بن حيدة قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إن في الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد** » (٣)

والمحصلة أن ما وعد الله به عباده المؤمنين من أنواع النعيم المادي والمعنوي في

---

(١) سورة الحجر : ٤٧ .

(٢) سورة الواقعة : ٢٠، ٢١ .

(٣) أخرجه أحمد والترمذي ، قال عنه الألباني صحيح . انظر الألباني ، صحيح الجامع الصغير : ٢/٢٢٠ الحديث رقم [٢١١٨] .

دار الخلود إنما يمثل تلبية مكتملة لتطلعات الإنسان وأشواقه ، ولحاجاته وأمنياته ، وأنه بهذا يستجيب استجابة شاملة لدوافعه الفطرية . وهذا يجعل الوعد بأنواع النعيم في الآخرة من أعظم الحوافز وأبلغها جذباً وتأثيراً في حياة المؤمنين .

وفيما يأتي بعض التوجيهات التربوية :

١ ـ انقل المتربي عند الحديث إليه من التعلق بالمتعة القليلة الزائلة إلى الظفر بالمتعة الشاملة الباقية ، مستثمراً وجود أصل الدافع مع وجود الطبيعة التطلعية ، وما فطر عليه الإنسان من الأمل والطموح .

٢ ـ تدرج بالمتعلم في ترغيبه من حسن إلى أحسن في الدنيا إلى أشد حسناً في الآخرة ، واضرب في ذلك الأمثلة في المشرب والمأكل والملبس والمركب وغير ذلك .

٣ ـ استخدم المقارنة بين أشياء الدنيا وأشياء الآخرة ، واستثمر ما ورد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ؛ ففي ذلك شد للإنسان وسمو بتطلعاته .

موضوعات الحفز الاخروي

الموضوعات التي يشملها الحفز الأخروي عديدة وواسعة وهي من الوضوح والجلاء في القرآن والسنة بحيث يستطيع تعديد أكثرها القاريء العادي للقرآن . ونشير فيما يأتي إلى جوانب منها :

١ ـ ابتغاء رضوان الله وتجنب سخطه :

قال الله تعالى في وصف حال المهاجرين المدفوعين بهذا الحافز :

﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ (١)

وبين الرسول ﷺ ما يمكن أن يكون لهذا الحافز من أثر بالغ مباشر وغير مباشر على الإنسان :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » (٢)

وفي هذا الحديث بيان لأثر السخط أيضاً ، وهو جانب عقابي ، ويصنف في الحوافز السلبية عند علماء النفس . ومن الجديد الملفت في هذا الحديث التأكيد على الأثر الاجتماعي لرضا الرب سبحانه أو سخطه على العبد ، وهذا ما يحسه

---

(١) سورة الحشر : ٨ .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٩٧/٧ .

المؤمنون ، فهم كلما اقتربوا من الله وسعوا لرضاه أحبهم الناس ، ومالوا إليهم . وكلما ابتعدوا عن الله وحاربوه ، أو خلت حياتهم من الإشباع الروحي النابع من الصلة بالله وعبادته ابتعد الناس عنهم ، وصارت علاقتهم بهم علاقة رسمية مملة وجافة أكثر منها حية فاعلة جذابة .

٢ ـ البصيرة بحقيقة الدنيا مقارنة بالآخرة :

قال الله تعالى في حفز المؤمنين على الجهاد :

﴿ ياأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ (١)

وقال الله تعالى في بيان حقيقة الدارين :

﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى ﴾ (٢)

والرسول ﷺ بين مقدار الدنيا وقيمتها في الميزان الحقيقي عند الله :

عن جابر بن عبد اللّه ـ رضي الله عنه ـ « أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفتيه ، فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : « **أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟** » فقالوا : مانحب أنه لنا بشيء ، ومانصنع به ؟ قال : « **أتحبون أنه لكم ؟** » قالوا : والله لوكان حياً كان عيباً فيه

---

(١) سورة التوبة : ٣٨ .

(٢) سورة الأعلى : ١٦ ، ١٧ .

لأنه أسـك ، فكيف وهو ميت . فقـال : « فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » (١)

ففي هذه الأدلة وغيرها إشارة واضحة إلى أهمية التعرف والتعقل والتفكر عند تقدير الدنيا وتقويمها مقارنة بالآخرة ، والحرص على إجراء نوع من المحاكمة العقلية والموازنة قبل فوات الأوان وهذه طريقة من طرق استنفار الهمم وشد العزائم مبكرا .

قال تعالى : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم علي ظهورهم ألاساء مايزرون * وماالحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ (٢)

وبالتعود على سلوك المحاكمة والموازنة يتصحح سلوك الانسان ويتجه الاتجاه الفاعل ، ويكون سعيه متناسباً مع النتيجة التي يحصل عليها .

قال الله تعالى :

﴿ والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * وماخلق الذكر والانثى . إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى وأتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى ﴾ (٣)

بل إن المنهج الإسلامي استحث المؤمنين للحصول على رضوان الله وللتسابق

---

(١) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، شرح صحيح مسلم : ٩٣/١٨ ، وقوله والناس كنفتيه يعني عن جانبيه ، والجدي الأسك هو صغير الأذنين .

(٢) سورة الأنعام : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة الليل : ١ ـ ١٠ .

للمقامات العالية في الجنة بالسعي للإيمان الراسخ والعمل الصالح ، والخلق الحميد ، والسلوك الرشيد منطلقين من هذه الموازنة :

قال تعالى : ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلامتاع الغرور * سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله** ﴾ (١)

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلاكراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها** » (٢)

إن إستخدام هذا الموضوع ـ موضوع بيان حقيقة الدنيا مقارنة بالآخرة ـ في حفز المتعلمين والمتربين على الأعمال الصالحة والسلوكيات الرشيدة يعد من أوسع المجالات وأكثرها تأثيراً لأن فيه تحريكاً للذهن بالمحاكمة العقلية ، وتشجيعاً وربطاً للإنسان على المقايسة والمقارنة ، وعلى ضرب الأمثلة ، واستثارة لمهمته وتطلعاته البعيدة ، وهذا مما يتبعه الدعاة في استحثاث المدعوين وحضهم في المواقف والمناسبات المختلفة .

قال تعالى :

﴿ **وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * ياقوم إنما هذه**

---

(١) سورة الحديد : ٢٠، ٢١ .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي ، انظر شريدة المعوشرجي ، صفة الجنة في الكتاب والسنة ص ٨ .

الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار * من عمل سيئة فلا يجزى إلامثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حســـاب * ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النـار ﴾ (١)

٣ ـ بيان حقيقة الموت وأنه نهاية الإنسان في الدنيا :

وهومن أعظم موضوعات الحفز الأخروي ؛ إذْ الموت يقطع على الإنسان آماله وشهواته ولهواته الدنيوية ، ومنه تبدأ الحياة الأخروية والتي هي انعكاس لحياته الدنيا ، فإن كان محسناً مستجيباً لأمر خالقه ونداء فطرته سعد وفاز ، وإن كان مسيئاً عاصياً شقي وخسر .

وقد استخدم المنهج الاسلامي الحفز بالتذكير بالموت ؛ لما له من أثر بالغ في النفوس ، يحرك لفعل الخيرات ، وتدارك الأوقات قال تعالى :

﴿ وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصالحين ﴾ (٢)

وكان رسول الله ﷺ يوجه إلى ذكر الموت ليزداد الإنسان من الأعمال الصالحة والخصال الفاضلة ، ويستعد ليوم رحيله قبل أن يحل به الموت ، وكثيراً مايرد ذكر الموت مقروناً بذكر حصيلة الإنسان العملية في الدنيا ومايانتظره من المجازاة في الآخرة .

---

(١) سورة غافر : ٣٨ ـ ٤١ .

(٢) سورة المنافقون : ١٠ .

قال تعالى : ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (١)

٤ ـ بيان أحداث القيامة وأهوالها :

ففي القرآن توجيه واضح ، وتحفيز متكرر ، وعرض متعدد الوجوه لأحداث القيامة وأهوالها . وربط مباشر وغير مباشر بأحوال الإنسان وأعماله وتوجهاته واستعداداته لتلك الأحداث والتحولات

قال تعالى : ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الإنسان ماسعى ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت * وإذا النفوس زوجت * وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت * و إذا الصحف نشرت * وإذا السماء كشطت * وإذا الجحيم سعرت * وإذا الجنة أزلفت * علمت نفس ما أحضرت ﴾ (٣)

ويقول الله عزوجل حاثاً الناس على التقوى التي هي عماد الصلاح ولبه ، حافزاً إياهم إلى ذلك بما ينتظرهم من الأهوال والأحوال المفزعة .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى

(١) سورة الجمعة : ٨ .
(٢) سورة النازعات : ٣٤،٣٥ .
(٣) سورة التكوير : ١ ـ ١٤ .

الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (١)

فاستثمار الدعاة والمربين للأحداث الكونية الموعودة ، وأهوال القيامة الحاصلة لامحالة في حث الناس على التقوى وحملهم على الاستقامة والطاعة ، ميدان خصب ، ومجال مؤثر يأخذ باللب ويستولي على القلب ، ينشط الفاتر ، ويوقظ الغافل ، وينذر المكابر ، وهذا مايحدث كثيراً بالقرآن عندما يقرأه الناس أويسمعونه على اختلاف في مستويات تأثرهم .

٥ ـ بيان أحداث الحساب والجزاء :

وهو ميدان آخر تستحث به الهمم ، وتستنهض به العزائم ، وتستصلح به التوجهات والمواقف ، حيث يعرف الإنسان من خلاله أن كل عمل عمله مثبت مدون ، وموزون مستعرض ، والنتيجة لامحالة منتهيه إلى ربح أو خسارة.

قال تعالى : **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾** (٢)

وقال تعالى : **﴿ وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألّن نجعل لكم موعداً * ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً ﴾** (١) .

---

(١) سورة الحج : ١،٢ .

(٢) سورة الإسراء : ١٣،١٤ .

(٣) سورة الكهف : ٤٨،٤٩ .

وقال تعالى : ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلاماسعى * وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ (١)

وفي مواقف كثيرة ، ومناسبات عديدة كان الرسول ﷺ يبين ويوجه الناس إلى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، من خلال تذكيرهم بالجزاء المنتظر والحساب القادم والمسؤولية الفردية .

من ذلك ماقاله لقومه وعشيرته وأسرته عندما بلّغهم الرسالة ووجههم للإخلاص والتوحيد ، ونصحهم للإستقامة ، ودلهم على طريق السلامة ، وحث كل إنسان على محاسبة نفسه .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت هذه الآيه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال رسول الله ﷺ : « **ياصفية بنت عبد المطلب ، يافاطمة بنت محمد ، يا بني عبد المطلب إني لا أملك لكم من الله شيئاً ؛ سلوني من مالي ماشئتم** » (٢)

وينبه الرسول ﷺ الإنسان ويستحثه للأعمال الصالحة مهما قلت لتنفعه في موقف العرض الأكبر ، والحساب الأشمل ، في يوم الحساب .

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، ثم ليقولن له : ألم أنعم عليك ؟ ألم أوتك مالاً ؟ فليقولن بلى . ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فليقولن : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى**

---

(٢) سورة النجم : ٣٦ ـ ٤١ .

(١) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٦/٥٩٧ ، ٥٩٨ . الحديث رقم [٢٤١٢] ، وصفية بنت عبد المطلب هي عمة رسول الله ﷺ .

إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار . فليتقين أحدكم النار ولوبشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة » (١)

٦ ـ بيان نعيم الجنة

وهو باب واسع للحث والترغيب ، بل يكاد أن يكون أوسع الأبواب – على الإطلاق – في الحث والترغيب الأخروي ، وقد حفل القرآن بذكر الجنة وأنواع نعيمها مقروناً ذلك بثمنه من العقائد والأقوال والأعمال .

فقد قال الله في سورة الانسان بعد الإطناب في وصف الجنة وصنوف نعيمها الذي ينتظر العاملين : ﴿ إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا ﴾ (٢) وقال تعالى بعد وصف نعيم الجنة في سورة الزخرف :

﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بماكنتم تعملون ﴾ (٣)

والوعد بنعيم الجنة والاغراء به أنواع ، فتارة يكون بذكر أنواع اللباس والطعام والشراب ومتعلقاتها من الأطيار والأطباق والأشجار والأنهار ، قال تعالي في حق السابقين من المؤمنين :

﴿ وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ﴾ (٤)

ويقول الرسول ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب مائة عام في ظلها مايقطعها ، واقرؤا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ، وماء مسكوب ﴾ » . (٥)

وتارة بذكر أبدية نعيم الجنة وخلود المؤمنين فيها ، وهذا الوعد بالخلود يكاد

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٣ / ٣٣٠ الحديث رقم [١٤١٣] ، وانظر السلمان ، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار : ٤٦/١ .

(٢) سورة الإنسان : ٢٢ . (٣) سورة الزخرف : ٧٢ .

(٤) سورة الواقعة : ٢٠، ٢١ .

(٥) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ، انظر المعوشرجي ، صفة الجنة ص ٢٠ .

أن يكون في معظم الآيات القرآنية التي تذكر بنعيم الجنة .يقول تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ (١)

وتارة بذكر منازل الجنة وغرفها ودرجاتها ، وربط ذلك بالتنافس بين المؤمنين في الإخلاص والأعمال الصالحة والخصال الفاضلة.

قال تعالى : ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** ﴾ (٢)

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم . قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » (٣).

وتارة يكون الوعد والتحفيز بذكر صفة أهلها وسيماهم وطلعتهم وسلامة نفوسهم وراحتهم ، وهذا من أعظم النعيم المادي والنفسي معاً .

قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية** ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين .** ﴾ (٥)

---

(١) سورة البقرة : ٨٢ .

(٢) سورة الإسراء : ٢١ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم ، انظر المعوشرجي ، صفة الجنة ص ٢٤ . ٢٥ .

(٤) سورة الغاشية : ٨ ، ٩ .

(٥) سورة الحجر : ٤٧ ، ٤٨ .

ويوجه الرسول ﷺ إلى شيء من هذا ، فـعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يدخل من أمتي زمرة وهم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر** » (١)

ويقول الله تعالى في ذكر جزاء الأبرار وهم طبقة من المؤمنين :

﴿ إن الابرار لفي نعيم . على الآرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (٢)

وتارة بذكر نساء أهل الجنة وجمالهن وحسنهن الفائق ، وتارة بذكر مساكنهم وقصورهم وخيامهم ومجالسهم وسررهم ، وتارة بذكر زينتهم وحليهم وحللهم وشاراتهم وتيجانهم . وأعظم نعيم على الإطلاق هو جلوس أهل الجنة إلى ربهم عز وجل ونظرهم لوجهه الكريم .

قال تعالى : **﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾** (٣)

وعن صهيب رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم** » (٤)

وبهذا يتبين أن باب التحفيز بالجنة ونعيمها واسع كبير يجد فيه المربي مجالاً ثرياً ، وميداناً غزيراً ليحثّ السامعين والمتعلمين والسالكين على العمل والتحصيل

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، انظر المعوشرجي ، صفة الجنة ، ص ٢٨ .

(٢) سورة المطففين : ٢٢ ـ ٢٦ .

(٣) سورة القيامة : ٢٢،٢٣ .

(٤) أخرجه مسلم ، انظر المعوشرجي صفة الجنة ، ص٣ .

والاستقامة ، وليعزز سلوك المتعلمين فيما اتجهوا إليه من خير وبر ، ويردعهم عن سلوكيات الإثم والشر .

٧ ـ بيان عذاب النار وأهوالها :

وهذا هو الشق الآخر من الحفز الأخروي النهائي ، ويتمثل في تحذير الناس من النار وأنواع العقاب بها ، ودفعهم للعمل الصالح واجتناب العمل المخالف من أجل النجاة منها . وفي الإيمان بالنار وعذابها ، ومعرفة أنواع عقابها ، وتصوّر أهوالها وازع قوى مؤثر في تصحيح نشاط الإنسان ووضعه في الاتجاه السليم في مشاعره وأقواله وأعماله ، وذلك في ضوء ما يهديه إليه خالقه ، ويتناسب مع فطرته ، وينسجم مع العقل والمنطق .

وحفز المرء بالوعيد بالنار أنواع عديدة أيضاً . فتارة بذكر لزوم مرور الإنسان على النار ، وتحتم وروده إياها ، وإنما ينجو منها برحمة الله ثم بعمله، قال تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً** ﴾ (١)

وتارة بذكر مقدار العذاب وشدته وإن كان قليلاً ، وأن عذاب النار درجات ولكنه يظل عذاباً أليماً ونكالاً شديداً .

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه** » وفي رواية « .. **يغلى دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم** » (٢)

---

(١) سورة مريم : ٧١، ٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١١ / ٤٢٤ ، ٤٢٥ رقم الحديث [٦٥٦١] و [٦٥٦٢] . ومعنى أخمص هو ما لا يصل إلى الأرض من باطن القدم عند المشي ، والمرجل الإناء الذي يغلى فيه الماء ، والقمقم إناء ضيق الرأس من آنية العطارين .

وعن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « **منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته** » (١)

وتارة بذكر طبيعة أجساد أهل النار ، وأن العذاب مستمر ومتجدد يصهر تلك الأجساد التي لا تبيد ، بل تتجدد ويتجدد عذابها ، وتتضخم في خلقها فيتضخم ألمها وشقاؤها .

قال تعالى : ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها** ﴾ (٢)

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث** » (٣)

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يرفعه ـ قال :

«**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع** » (٤)

وتارة بذكر زبانيتها وسلاسلها ومطارقها ، وتارة بذكر طعامها وشرابها ولباسها من الزقوم والحميم والصديد والقطران .

وتارة بذكر أسف العصاة وحسرتهم وألمهم ومعاناتهم النفسية فوق كل ما مضى .

قال تعالى : ﴿ **وأما من أوتي كتابه بشماله * فيقول يا ليتني لم أوت**

---

(١) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم : ١٨٠/١٧ والحجزة هي معقد الإزار والوسط ، والترقوة هي العظم الذي بين ثغر النحر والعاتق فوق الصدر .

(٢) سورة النساء : ٥٦ .

(٣) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم : ١٨٦/١٧ .

(٤) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم : ١٨٦/١٧ .

كـــتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليـتها كانت القاضيـة * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيـه * خذوه فغلـوه * ثم الجـحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعـها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ (١)

وقال تعـالى : **﴿ ويوم يعض الظـالم على يديه يقـول يا ليـتني اتخـذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا ﴾** (٢)

إلى غيـر ذلك من صـور العـذاب والتـرهيب اللـذين يهـزان النفس الواعـيـة والمتذكرة والقابلة للتبصُّر والسـماع والتفكر في حـالها ومـآلها .

---

(١) سورة الحاقة : ٢٥ ـ ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان : ٢٧ ، ٢٨ .

أساليب الحفز الآخروي

أساليب الحفز الأخروي هي طرق التناول للموضوعات والقوالب التي تقدم بها مادة الحفز الأخروي ، والمساقات اللغوية التي يعرض بها الموضوع الأخروي لحض المتعلم ولدفعه للعمل والانجاز . وهذه الأساليب عديدة ومتشعبة ، وفي رأي الباحث أنها تحتاج إلى دراسة واستقصاء بصورة مستقلة ، فجانب كبير من نجاح الحفز في المنهج الإسلامي التربوي يعود إليها . قد أثّرت موضوعات الحفز الأخروي ـ التي أشرنا إليها ـ تأثيراً كبيراً وفاعلاً فيمن تربى على يدي الرسول ﷺ ثم على يدي صحابته والتابعين ومن تلاهم . ثم ضعف أثر الحفز الأخروي في التربية الحديثة عنها في الأجيال الأولى رغم أن الموضوعات هي هي لم تتغير وهي بين يدي الأجيال مما ينبه إلى أن للأسلوب إسهاماً ما في تفعيل الحفز الأخروي وجعله دينامكياً مؤثراً.

ولانستطيع أن نحيط بكل الأساليب المستعملة في الحفز الأخروي ، ولا أن نلم بأكثرها ، ولكننا نشير إلى الأساليب التي نراها ثم نشرح بعضها . فمن هذه الأساليب :

١ـ **المباشرة في تناول الدافع الأخروي** ، بحيث يكاد المتعلم أن يحس بالنعيم الموعود وبالعذاب المتوعد به ، وكأن الجنة والنار رأي عين . وهذا يظهر كثيراً في الآيات والأحاديث التي تجسد النعيم وتصفه ، وتبين الجحيم وتقربه .

٢ـ **العرض المتوازن للترغيب والترهيب** ، وقرنهما المستمر ببعضهما في أغلب الاحوال.

٣ـ ربط المتعلم بالتوبة والإنابة والمغفرة التي تؤول إلى الفوز والنعيم وتجنب الخسارة والجحيم ، وهذا كثير جداً في طريقة القرآن التوجيهية وتطبيقات الرسول ﷺ العملية ، ولعل من أهم آثار ذلك الأسلوب هو استنقاذ الإنسان اليائس الذي يمر بحالات ضعف وفقد للأمل وهم وغم ، فهذا الأسلوب يزرع في نفسه الأمل ويمده بالقوة ويقنعه باستئناف حياته من جديد كيوم ولدته أمه ، وهذا الأسلوب يزيل الإحباط والتردد والشعور بالخيبة وكافة المثبطات النفسية ، ويغرس فيه الدافع من جديد مؤسساً على صفحة بيضاء ناصعة ويؤول به إلى الحياة الراضية والدرجات العالية .

٤ـ استخدام أسلوب المقارنة والموزانة بين النعيم والجحيم ، وبيان الفروق الهائلة بين الجزائين ـ النعيم والعذاب ـ وبين الدارين ـ الجنة والنار ـ وبين الصنفين ـ المتقين والفجار ـ وقرن ذلك باستخدام المنطق والتفكير الصحيح ودفع الإنسان لذلك .

٥ ـ التنويع في عرض الجزاء واستخدام قاعدة الجزاء من جنس العمل .

٦ـ التركيز على مصاحبة الدافع للمتعلم .

وهو دأب المربي على أن يجعل الآخرة بمحتوياتها المختلفة مصاحبة للمتعلم في تقلباته وأعماله . فهو دائماً يقرن العمل بعائده الأخروي مهما صغر ومهما خفي ومهما بعد ، ويستمر في جلب ذهن المتعلم وأحاسيسه بأي جزء من أجزاء الآخرة ولايترك فرصة إلاويذكّره بها . وفي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ثراء عظيم في هذا .

قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . . ﴾ الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ أولئك يجزون الغرفة بماصبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً * إنَّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرةً وسروراً * وجزاهم بماصبروا جنةً وحريراً . . الآيات ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ (٤)

والآيات عن أصناف أعمال أهل النار وعن عذابها كثيرة .

وأما الأحاديث فمنها :

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ :« من يضمن لي مابين لحييه

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الفرقان : ٦٣ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) سورة الإنسان : ٧ ، ١٢ .

(٤) سورة النساء : ١٠ .

وما بين رجليه أضمن له الجنة » (١)

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« من قال : سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أوكلاهما فلم يدخل الجنة » (٣)

والأحاديث في هذا وفي الوعيد كثيرة جداً ، والمقصود أن المنهج الاسلامي في دفع المتعلم وحفزه جعل الدوافع الأخروية بأصنافها وموضوعاتها مصاحبة له وملازمة ، ففي كل السلوكيات صغرت أم كبرت مما يؤمر به أو مما ينهى عنه تجدها مربوطة بأصناف الجزاء الأخروي .

وما على المربي إلا أن يكون واسع الأفق ، ثريّ التفكير ، منتبهاً للغرض والمواقف والمناسبات ، فينبه تلاميذه إلى ما يقربهم من الجنة ويبعدهم من النار ، ويقيس السلوك نوعاً وكماً ويقرنه بجزائه ، ويفتح آفاق المتعلمين على نعيم الآخرة الواسع الكبير المتعدد المتدرج المتنوّع ، ويحسسهم أن لكل عمل إغراء ، ولكل بلاء جزاء ، ويربط ربطاً وثيقاً مابين جزئيات السلوك وبين العائد منه سلباً أوإيجاباً ، فالصلاة والصدقة والصوم والمعونة والزيارة والصمت والانضباط ، والاحترام ، والاجتهاد ، والصبر كلها سلوكيات يثاب عليها بأنواع النعيم . والعمل والمذاكرة والحفظ ، وإنجاز الواجبات وأداء

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، انظر النووي ، رياض الصالحين ص ٤٨٤ .

(٢) أخرجه الترمذي ، المرجع السابق ص ٤٥٨ .

(٣) أخرجه مسلم ، المرجع السابق ص ١٦١ ، ورغم أنفه أي لصق بالرغام وهو التراب هواناً وذلاً .

المهمات ، وترتيب الحاجات ، والنظافة والالتزام بالمواعيد والعهود ، والنوم المبكر والاستئذان والسلام ، والمشاركة والجدل الحسن ، كل ذلك إذا كان في إطار الشرع له جزاء ومكافآت أخروية بحسب النية وحجم العمل . وطاعة الوالدين وصلة الرحم ، وسلامة القلب وحسن الجوار ، وغض البصر وكف الأذى، وامـاطة الأذى عن الطريق ، والكلام الطيب ، واختيار الجليس الصالح وملازمته كلها وغيرها من الأعمال الخيرية مهما صغرت لها أنواع من الثواب وصنوف من الخيرات في الجنة . وهكذا في المقابل الأعمال الرديئة والمسالك البذيئة لها أنواع من العقاب الأخروي بحسبها ، والمهم هو استعداد المربي ودأبه وطول نفسه في قرن الأعمال المختلفة بالحوافز الأخروية المتعددة أثناء التربية .

٧ ـ التقريب الزماني والمكاني للحافز :

ونقصد بذلك أن من أسلوب القرآن والحديث المؤثر في المستمع والمتعلم استخدام الصيغ والألفاظ والمعاني المقرِّبة للحافز التي تصوره وكأنه يحدث الآن أوعلى وشك الحدوث أو أنه قد حدث فعلاً تحقيقاً لوقوعه .

قال تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ (١)

وقال تعالى : بصيغة الماضي لتأكيد تحقق وقوعه :

﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ (٢)

وقال الله تعالى : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ (٣)

---

(١) سورة القمر : ١ .

(٢) سورة النحل : ١ . وأمر الله أي الساعة أو القيامة وأشراطها .

(٣) سورة الأنبياء : ١ .

وقال تعالى : ﴿ **وما أمر الساعة إلاكلمح البصر أو هوأقرب إن الله على كل شيء قدير** ﴾ (١)

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه : **بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويشير بإصبعيه فيمدهما** » (٢) وفي رواية « **وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى** » وفي رواية « **وضم بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام وقال : مامثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان** » (٣)

وعن برية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني** » (٤)

وهذا تقريب الدافع من الناحية الزمانية ، واستحثاث الإنسان ليتدارك أمره ، ويستعد ليومه ، وأن يكون على يقين من أن الأمر كائن لامحالة دون تأخير ، فعليه أن يتصوره في كل حين ، وأن ينتظر وقوعه ، ويعمل لما بعد وقوعه ، وشواهد هذا الشق من الحفز كثيرة .

أما التقريب من الناحية المكانية فإنه يرد التعبير باسم الإشارة للتقريب والتحقيق وكأن العذاب أو النعيم بين يديك .

قال تعالى: ﴿**هذه النار التي كنتم بها تكذبون . أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون. اصلوها فاصبروا أولاتصبروا سواء عليكم إنما تجزون ماكنتم تعملون** ﴾ (٥)

---

(١) سورة النحل : ٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٣٥٥/١١ رقم الحديث [٦٥٠٣] .

(٣) هذه الروايات من فتح الباري (انظر المرجع السابق : ٣٥٦/١١)، وكل هذا كناية عن قرب الساعة والحرص على العمل ووجوب الاستعداد لها .

(٤) أخرجه أحمد ، انظر المسند : ٣٤٨/٥ .

(٥) سورة الطور : ١٤ ـ ١٦ .

وقال تعالى: ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيه فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ (٢)

وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه من النار ويزرع فيهم الخوف منها ، ويقربها لهم حتى كأنهم عندها أو يرونها ويرون أهلها ، وكذلك الجنة ونعيمها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ يوماً ، فسمعنا وجبة ، فقال النبي ﷺ : « أتدرون ما هذا ؟ »، قلنا : الله ورسوله أعلم . قال: « هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً فالآن انتهى إلى قعرها » (٣)

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :« رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيَّب السيوب» (٤)

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في

---

(١) سورة الرحمن : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة الزخرف : ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) أخرجه أحمد ، انظر المسند ٢/٣٧١ ، وقد أخرجه مسلم انظر النووي ، صحيح مسلم : ١٧/١٧٩ ، ومعنى وجبة أي سقطة .

(٤) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم : ١٧/ ١٨٩ وقصبه يعني أمعاءه ، والسوائب جمع سائبة وهي التي يسيِّبونها فلا يحمل عليها شيء .

صفوفنا في الصلاة صلاة الظهر أو العصر ، فإذا رسول الله ﷺ يتناول شيئاً ثم تأخر فتأخر الناس ، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب : شيئاً صنعته في الصلاة لم تكن تصنعه ، قال : « **عرضت عليَّ الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم ، فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه شيئاً، ثم عرضت عليَّ النار ، فلما وجدت سفعها تأخرت عنها ، وأكثر من رأيت فيها النساء** » (١)

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « **الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك** » (٢)

وفي هذا إغراء شديد بالجنة والسعي إليها دون احتقار لأي عمل من أعمالها ، وتحذير شديد من النار والارتماء فيها ومن التهاون بالأعمال المؤدية إليها .

وهذا الأسلوب يمكن للمربي أن يستخدمه بطريقتين :

الأولى : بأن يقرب الحافز للمتعلم ويصوره له بجمل وألفاظ ولوازم يصوغها المربي بنفسه ، وذلك فيما فيه فسحة من الناحية الشرعية ، ويدخل في عموم أوصاف النعيم والعذاب وليس أمراً توقيفياً لابد فيه من كلام الشارع كأن يشير إلى ما في الجنة من أنواع المطعومات والمشروبات والمركوبات والمرئيات والمسموعات المحبوبة للإنسان ويقرُّ بها ولو لم يرد ذكرها بعينها في المنقول ، وإنما

---

(١) أخرجه أحمد ، انظر المسند : ٣/٣٥٢،٣٥٣ . وسفعها يعني لفحها .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر النووي ، رياض الصالحين ص ٢٠٧ رقم الحديث [٤٥٠] . وشراك النعل هو أحد سيورها التي تكون في وجهها .

وردت بعمومها أو وردت أجناسها . وهذا باب واسع ينبغي أن يعنى به المربي ، وأن يستثمره في حفز المتعلمين .

والثاني : بأن تكون ثقافة المربي ومحفوظاته من الآيات والأحاديث في هذا الباب وبهذا الأسلوب واسعة وممتدة ، فيحفز المتعلم بها بين فينة وأخرى ، وبحسب المناسبة ، وهذا باب واسع أيضاً ، فالآيات والأحاديث الواردة فيه كثيرة العدد بليغة الأثر .

٨ ـ التركيز على خاصية البقاء والخلود في الحافز :

حيث يقترن الحفز الأخروي في معظم الذكر بذكر استمراره وخلوده ، والتنويه بأبديته وبقائه ، فلا انقطاع ولا فتور ولا فناء . وتلك الخاصية خاصية عظيمة لهذا النوع من الحوافز ، بل هي لبه وجوهره ، وهي أحد ميزاته الأساسية بعد رضا الله والنظر لوجهه الكريم ، واستخدامها دائماً في حفز سلوك المتعلم وطرق حسه له أثر بعيد في نفسه وعمله وفي دأبه وثباته ، وقد تعددت الآيات في هذا وتنوعت ، وقلّ أن تجد ذكر النعيم أو العذاب إلا مقروناً بالخلود .

قال تعالى واصفاً حال الكفار في الآخرة مقارناً بحال المتقين :

﴿ لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً * قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً * لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئولاً ﴾ (١)

وقال تعالى واصفاً حال المتقين في الآخرة مقارناً بحال الكفار :

﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن

---

(١) سورة الفرقان : ١٤ ، ١٦ .

لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطّع أمعاءهم ﴾ (١)

وقال تعالى في وصف نعيم المتقين :

﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود﴾ (٢)

وأحياناً يرد التنويه بهذه الخاصية بذكر امتناع الموت عليهم ، قال تعالى :

﴿ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين * لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ (٤)

والآيات في هذا كثيرة جداً ، وقد وضح رسول الله ﷺ هذه الخاصية أيما وضوح في توجيهه لأمته ، استحثاثاً لهم ، واستنهاضاً لعزائمهم .

عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء

---

(١) سورة محمد : ١٥ .

(٢) سورة ق : ٣١ ـ ٣٤ .

(٣) سورة الدخان : ٥٥،٥٦ .

(٤) سورة إبراهيم : ١٥ ـ ١٧ .

بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ، ويقولون: نعم هذا الموت . قال فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وأشار بيده إلى الدنيا » (١)

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه » (٢)

(١) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم : ١٨٤/١٧ ، والكبش الأملح : هو الذي فيه بياض وسواد وبياضه أكثر ، ويشرئبون بالهمز أي يرفعون رؤسهم إلى المنادى .

(٢) أخرجه مسلم ، انظر المرجع السابق : ١٨٤/١٧، ١٨٥ .

الباب الثالث

النمـــو

ـ النمو النفسي
ـ النمو الخلقي

النمـــو

مدخـــل :

يعرف بعض النفسيين النمو بأنه سلسلة تغيرات عضوية ومعرفية ووجدانية واجتماعية تؤدي لاكتمال نمو الفرد ونضج شخصيته .

وسيتم تناول دراسة جوانب من النمو في ضوء النصوص الشرعية والتطبيقات النفسية والتربوية الواردة في طريقة الرسول ﷺ وسيرته . وفي كثير من الأحيان وعند بعض القضايا المهمة في النمو لانجد النص المباشر في بيانها ، ولكننا نجد التطبيقات التربوية التي نستقي منها المبدأ أو الاتجاه الذي يرتضيه المنهج الإسلامي في التنمية والتربية ، ثم نجد تفسير الظاهرة أوالاتجاه الذي نحته التربية الإسلامية من خلال بعض القرائن في النص أو من خلال مفهومه العام ، أو من خلال المنحى العام المتماثل أو المتشابه لمجموع التطبيقات والشواهد .

وقد تعددت المعايير والمداخل التي استخدمها النفسيون والباحثون في النمو ونظرياته عند تفسيرهم لظاهرة النمو وتعديدهم لمراحله [١] ، فمنهم من اعتمد على الجانب الجنسي الشهوي وفصّل المراحل على أساس منه مثل (فرويد) وتلامذته . ومنهم من ركز على النمو العقلي أو المعرفي ، وفرّع منه الجوانب الأخرى مثل (بياجيه) ، ومنهم من ركز على الجوانب التكوينية البيولوجية ، ولم يهتم كثيراً بالتعلم والتفكير والفروق الفردية مثل (جيزل) ، والموضوع على العموم واسع ومتشابك ، ولاتجدى فيه النظرات الجزئية ، ولا التفسير بالعامل الواحد .

---

(١) انظر مالك بدري في دراسته القيمة بعنوان : أسس الصحة النفسية للطفل المسلم « دراسة في أسلمة علم النفس » .

وقد وجدنا من خلال النظر والتتبع أن خير تقسيم للمراحل النفسية هو ما نحاه الفقهاء . واستقوه من الأدلة والتطبيقات الشرعية ، حيث قسموا المراحل إلى الرضاعة ، والحضانة ، والتمييز ، والبلوغ . وفي هذا التقسيم والمرحلية ، تركيز على أبرز معالم المرحلة ، وتعيينها بأحد أبرز تلك المعالم ؛ فالرضاعة تركز على أهم حاجات الطفل العضوية ، وهي الرضاعة ومالها من ظلال وآثار عميقة وبعيدة على الطفل في السنتين الأوليين من عمر الطفل ، والحضانة تركز على حاجة الطفل النفسية إلي حِجْر يحتضنه ، وأم تحنو عليه وتبذل له الدفء العاطفي والمحبة ، ووسط يرعاه ويرحمه ويؤويه ، وهي من سن الثالثة إلى سن السادسة ، ومرحلة التميز تركز على النقلة العقلية ، والنضج المعرفي الذي برز لدى الطفل ، وصار يغيِّر في واجباته ومسالكه ، وفي أحكامه وعلاقاته ، وهي من السابعة إلى الثانية عشرة تقريباً ، وهذا المنحى في التركيز على المعالم البارزة ، لايعني إهمال الجوانب الأخرى ، بل هو يعطى كلا حقَّه وقدره من العناية في التربية الإسلامية ، كما سيتضح فيما بعد .

أما في النمو الخلقي . فقد وجدنا من مجموع النصوص والشواهد والتطبيقات التربوية الإسلامية منحى آخر قد يختلف عن النمو النفسي . ولهذا الجانب ارتباط كبير بنمو القدرة العقلية ونظرة الإسلام إليها ، وقد قارنا مايطرحه الإسلام في هذا بما ذهب إليه كل من «بياجيه» و«كولبرج» في النمو الخلقي .

وننبه هنا إلى أننا لم نعرض لأنواع النمو الأخرى كالنمو العضوى ، واللغوى ، فلم نجد حتى الآن ما يستدعي الحديث عنها من الوجهة الإسلامية ، كما أننا لم نتعرض لمرحلة البلوغ لأن هناك كتاباً خاصاً بها ، سبق وأن صدر مستقلاً بعنوان «المراهقون» أُفرد لها لأهميتها .

النمو النفسي

١ ـ مرحلة الرضاعة

وهي من الولادة إلى نهـاية السنة الثـانية وسـميت بذلك لأنهـا تتميز به حيث ترضع الوالـدات أولادهن سنتين وقـد يـقل عن ذلك وفق مـصلـحـة الطفـل وحـالة الوالدين قال تعالى :

﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾[١].

وقال تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ [٢] .

وفي هذا إشـارة إلى مـدة الرضـاع الكامل وإلـى أقل مدة الحـمل[٣] ،هي سـتة أشهر ، وفي الآية الأولى إرشاد للأمهات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين ، إذ أنه كمـال الرضاعـة والأمر الطبيعي فـيهـا ، بل إن الخبـر في قوله تعـالى ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** ﴾ هو خبر بمعنى الأمر تنزيلاً له منزلة المتقرر المسلم الذى لايحتاج إلى أمر[٤] .

وعند إرادة فصال الطـفل وفطامه عن الرضاعة قبل الحـولين ـ عند الخلاف بين الزوجين ـ لابد من الإتفـاق بين الوالدين في ذلك والتشـاور والإجمـاع على مافيه مصلحة الطفل قال تعالى: ﴿ **فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** ﴾ ويؤخذ من هذا أن انفراد أحد الوالدين بقرار الفطام دون الآخر لايكفى ،

---

(١) البقرة : ٢٣٣ .

(٢) الأحقاف : ١٥ .

(٣) انظر الشوكاني ، فتح القدير : ١٨/٥.

(٤) انظر عبد الرحمن السعدي ، تفسير الكريم المنان : ٢٩٢/١ .

ولايجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر ، وفي هذا احتياط للطفل ، وإلزام بالنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده ؛ حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما ، وأرشدهما إلى مايصلحهما ويصلحه [١] . وفي هذا أيضاً إشارة إلى حق الطفل في هذه الفترة الحرجة المؤثرة ـ حتى عند انفصال الزوجين ـ والسنتان الأوليان من عمر الطفل هما الفترة المثلى للنمو الصحى والنفسى للطفل[٢] ومن ألزم الحاجات في هذه الفترة الحاجة إلى الرضاعة التى تستلزم الغذاء والحنان والالتصاق والقرب من الأم ، وقد أشار الله لهذا الأمر في سياق بيان بعض أحكام الطلاق والفراق والخلاف بين الأزواج لضمان حق الطفل وكفالة حاجته والتنويه بشأنه فلا يُنْسى في زحمة الشجار والخلاف .

والأم المثالية هي تلك التي تُمكّن طفلها منها ؛ وتستأنس بإرضاعه ؛ وتحن إلى ذلك وتجزع من إنفصاله عنها كما هو حال أم موسى مع ابنها عليهما السلام قال تعالى:

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ [٣] .

ولما فتقدت أم موسى ولدها ، شعرت بفراغ من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى[٤] ، وامتلأت حزنا وقلقاً حتى ردَّه الله إليها وارتضع ثديها وأبى سواها ، وهو من كرامة موسى على الله[٥] قال تعالى :

﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها

---

(١) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١/٥٠١ ، ٥٠٤ .

(٢) انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ١/٣٧١ .

(٣) القصص : ٧ .

(٤ ،٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٥/٢٦٧ .

لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون ، وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ولاتحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ (١) .

وهذا الإتجاه في التربية يتجاوب تماماً مع حق الأم على الولد(٢) في المنهج الإسلامي النفسي والتربوي ؛ فقد فرض الله عليها العناية بولدها بهذه الدقة والتفصيل ، وركب فيها من طباع الحنان والرحمة والحب لطفلها مايسهل عليها ذلك ، ثم فرض على الولد البرّ بها والرأفة والخفض والإحسان قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي ﴾ (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك » (٤) .

وتتميز هذه المرحلة بالضعف والحاجة الماسة للوالدين وخصوصاً الأم وهذا الضعف يتضح في جوانب عديدة منها :

---

(١) القصص : ١٠ ـ ١٣ .

(٢) انظر الشوكاني ، فتح القدير : ١٨/٥ .

(٣) الأحقاف : ١٥

(٤) أخرجه البخاري ومسلم ، انظر النووي ، رياض الصالحين ص ١٦٠ رقم (٣٢١) .

الضعف الجسمي والعضوي :

الطفل الرضيع جديد على بيئة الكبار المشتملة على أنواع المأكولات والمشروبات والتجهيزات والمستعملات . وهو أضعف من أن يتناول كل شيء وأضعف من أن يستعمل كل شيء ؛ فالتمثيل الغذائي عنده محدود ، ولايملك القدرة على تناول الأغذية واختيارها ، بل إنه لايملك في بداية المرحلة بعض الآلات المهمة لتناول المأكولات كالأسنان . وهذه المرحلة من أهم مراحل تكوين الطفل الجسمي ، وبسبب من هذا الضعف الفطرى الطبيعى عُنِيَ المنهج الإسلامى برضاعته وبيان أحكامها والإرشاد إليها ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ـ لضمان تغذية كاملة ومحببة وميسرة وملائمة لهذا الضعف والحاجة ، وأن تكون هذه الرضاعة من لبن الأم ، والدراسات الحديثة تثبت أهمية الحليب من الأم وآثاره التي لاغنى للطفل عنها [١]. وقد رفع بعض المهتمين صيحاتهم ونداءاتهم بخطورة الإعتماد على الرضاعة الصناعية ، وحذروا من الآثار السيئة الناتجة عنها [٢].

والطفل ضعيف العظام والعضلات ، هش المفاصل ، محدود القدرة على التكيف وليس لديه قدرة على الإنتباه والتركيز المتكامل أو شبه المتكامل ؛ لذلك فهو يسرع في محل التأني ، ويبطىء في محل السرعة ، ويصطدم بالأبواب والجدران والأعتاب وقطع الأثاث ويسقط من فوقها ويسحب الأشياء ويرفعها بسرعة وبدون حساب .

ولهذا نبه المنهج الإسلامي إلى وجوب العناية بالطفل وتقدير هذا الضعف بحماية الطفل ، وتداركه ، بل ومواساته عند الإصابة .

---

(١) انظر رسمية خليل ، الإرشاد النفسي في مرحلة الحضانة ، من ٦٠ ـ ٦٣ .

(٢) من هؤلاء (مايك ملر) في بحثه بعنوان (قاتل الطفل) الذي نشر ١٩٧٤م وأعيد طبعه عدداً من المرات في عدد من اللغات .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه . فقال النبى ﷺ « **أميطى عنه الأذى** » فتقذرته . فجعل يمص عنه الدم ويمجه عن وجهه . ثم قال : « لوكان أسامه جارية لحليته وكسوته حتى أُنَفِّقَه » (١) .

ولعل كون أسامه غلاماً من الموالى ، وكونه ليس ابنًا لرسول الله ﷺ يعطى مثالاً لأبعد المستويات في العناية ؛ إذ أن هذه العناية النبوية إنما تمت بهذا الطفل الذى قد لايعنى به أحد ــ وفق معايير الناس ــ فهو ليس ابنا له، وهو ابن مولى ، وهو أسود ، فكيف يجب أن تكون العناية إذاً من الوالدين بأبناءهم . وهذا المثال يشير إلى منتهى العناية بضعف الطفل الجسمي والحرص على تقديم العون له عند الحاجة .

وقد وضع البخارى رحمه الله باباً في عيادة الصبيان(٢) أشار فيه إلى عيادة الرسول للأطفال ولو كانوا صغارًا ، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : «أرسلت ابنة النبى ﷺ إليه: أن ابناً لى قبض فأتِنَا . فأرسل يقرىء السلام ويقول : إن الله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب . فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها . فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ورجال ، فرفع الصبي في حجر النبي ﷺ ونفسه تتقعقع ففاضت عينا النبى ﷺ ، فقال سعد: يارسول الله ما هذا ؟ قال : هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده ولايرحم الله من عباده إلا الرحماء » (٣).

فمعاملة الصبى هنا تتناسب مع ضعفه لصغره وعدم تحمله ، وضعفه لمرضه ومعاناته ، والصبى لم يمتْ ــ كما حقق ذلك ابن حجر رحمه الله (٤)ــ بل كان في حال شدة ومعاناة أشرف بها على الموت .ويتضح من النص بعض صفات من يربي

---

(١) سنن ابن ماجة ٣٦٣/١ (تحقيق الأعظمي) .

(٢) انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٢٣/١٠ .

(٣) انظر الموضع السابق من المرجع نفسه وانظر أيضاً ١٨٠/٣ من الكتاب نفسه .

(٤) انظر المرجع السابق ١٨٦/٣ .

الطفل وخصوصاً في سنواته المبكرة ، من الرحمة والمبادرة للمواساة ، والرقة ، ويظهر ذلك من بكاء الرسول ﷺ ، ولين معاملته ، ويظهر ـ أيضاً ـ من وضع الرسول للصبي في حجره .

الضعف النفسي الاجتماعي :

فالطفل الرضيع سريع الاستجابة البكائية ، ينهزم لأى عائق ولو كان بسيطاً ويبكى ، وهو شديد الجزع من المفارقة ، مفارقة الأم أو الأب أو الأخ والأخت أو غيرهم ، وهو شديد التعلق والإقبال والإلتصاق بمن يحب ويألف ، وخصوصاً الأم، يضاف إلى ذلك كونه عالة على غيره ، لا يساعد نفسه في أغلب الأحيان، فضبط الحركة والجلوس والإخراج أمر شبه معدوم في مرحلة الرضاعة وبسبب هذا الضعف الفطري المعتاد تعامل المنهج الإسلامى مع هذا الطابع بمنتهى الدقة والموائمة بين واقع الطفل وطريقة تربيته .

فعن أبى قتادة الأنصاري رضى الله عنه قال :« خرج علينا رسول الله ﷺ وأمامة بنت أبى العاص على عاتقه فصلى ، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها [1] » وفي رواية [2] « فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها » .

فالطفل هش النفس ، يخشى من مفارقة الكبيروتركه له ، ولايدرك حال الكبير وظرفه مهما كان ، فعومل بقدر إدراكه ومن خلال مشاعره وعواطفه فمن « شفقة النبي ﷺ ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض ، وكأنها كانت لتعلقها به لاتصبر في الأرض ، فتجزع من مفارقته، فيحتاج أن يحملها إذا قام . واستنبط بعضهم عظم قدر رحمة الولد ؛ لأنه

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/٤٤٠ .

(٢) انظر المرجع السابق : ١/٧٠٣ .

تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع ، والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدم الثاني » [١] .

وعن عائشة رضى الله عنها « أن النبى ﷺ وضع صبياً في حجره يحنكه ، فبال عليه ، فدعا بماء فأتبعه » [٢] .

وفي هذا الحديث تقدير لحال الطفل من الحاجة إلى الرفق به ، وتقريبه ، والصبر عليه ، وعدم مؤاخذته على مايبدر منه [٣] لعدم قدرته على الضبط العضوى والنفسى . وفي هذا ـ أيضاً ـ تأكيد على الأم أن ترفق برضيعها وأن تضمه إليها وتعطيه مايحتاج من الرحمة والحنان فهى المعنية بهذا بالدرجة الأولى ، كما مر في الآيات التى عن أم موسى عليها السلام ، وفي الآيات التي عن الرضاعة وأحكامها . والحنان غذاء ضرورى للوليد ، ولاينبع على الوجه الأكمل ويعطى آثاره القصوى إلا من الأم ، « وقد أجريت تجارب على سلوك الوليد في مركزين منفصلين ففى المركز الأول، كانت كل أم تعنى بوليدها ، بينما كان المركز الثاني يقوم برعاية موالديه موظفون مرهقون بالعمل ، وبعد سنتين ، وجد أن نسبة نمو مواليد المركز الأول استمرت ، على مستوى مرتفع ، بينما تضاءلت نسبة تطور المواليد في المركز الثاني ، رغم أن وجبات الطعام كانت واحدة للمركزين ، وفي مواعيد متشابهة ، وظروف مناخية وصحية واحدة . ثم تتابع التجربة مراحلها ، إذ فصلت مواليد المركز الأول عن أمهاتهم ، فأصبحوا لايميلون إلى الطعام بشهية ، وتظهر عليهم سمات الكآبة والتعاسة ، وازدادت نسبة البكاء والإرتعاش ، واضطراب النوم وتقطعه ، فلما أعيدوا ثانية إلى أمهاتهم ، عادت إليهم الحيوية السابقة ، واستعاد

(١) ابن حجر ، فتح الباري : ٤٤٣/١٠ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٤٤٨/١٠ .

(٣) المرجع السابق .

النمو الطبيعي مستواه المرتفع » [١] .

ولذلك فإن من حكمة الشرع أن جعل الحضانة تكون لأم الأم بعد الأم في حال وفاتها أو ابتعادها ـ لسبب من الأسباب ـ ، فالأقرب . كالأخت الشقيقة ثم الخالة وهكذا[٢] لأن الأقرب أولى أن يعوض الطفل ذلك الحنان المفقود رغم صعوبته .

الضعف اللغوى :

فالطفل الرضيع لايملك وسيلة التخاطب المعتادة وهي اللغة كما في المراحل اللاحقة من النمو ولايشرع في اكتسابها إلا في نهاية السنة الثانية ؛ فهو كالأبكم الفاقد لآلة الكلام ، ويعبر عن حاجاته وأحواله وآلامه بالبكاء والجزع ، وبملامح الوجه ، وبالصوت والحركة والإشارة ؛ ويفهمه الكبار بواسطة هذه الإنفعالات أو الحركات ؛ إذ أن استعداده لاستخدام الرموز اللغوية لم يستو بعد . والبكاء هو أهم وسائل الإتصال المعبرة لدى الرضيع يعبر به عن جوعه أو عطشه وعن معاناته وألمه وعن تأذيه ومظلمته . ومن الطبيعى أن يراعي المربى هذا الضعف وأن يتعامل مع الطفل بحجمه الحقيقى ، بل لابد من الاستجابة المناسبة والمراعية للقدرة التعبيرية عند الطفل .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة » .

وفي رواية عن أنس أيضاً قال رسول الله ﷺ : **« إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به »** [٣] .

---

(١) انظر عبد الحميد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ . وهناك تجارب أخرى عديدة تثبت النتائج نفسها .

(٢) انظر محمد بن الحسين ، جامع أحكام الصغار : ١٤٩/١ .

(٣) الروايتان أخرجهما مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨٧/٤ .

وفي هذا الفعل من الرسول ﷺ مراعاة للطفل وللأم ، فقد يكون الطفل جائعاً أو مريضاً أو متضايقاً فيبكي تعبيراً عن ألمه ومعاناته فيتحرك دافع الأمومة فتشغل عن العبادة ، وفي تخفيف الصلاة تلبية لحاجة الطفل ولحاجة الأم ، فأما حاجات الطفل فهى حاجات عضوية ونفسية يعبر عنها بالبكاء ، وأما حاجات الأم فتتمثل في وجدها وشفقتها واشتغال قلبها بولدها ، وقد راعى المنهج الإسلامي الجانبين معاً لأصالتهما ولآثارهما المهمة في بقية الجوانب . ولاشك أن كلا من الرضيع والأم مرتبط بالآخر أيما ارتباط ، ويفهم كل منهما الآخر ، رغم أنه لا لغة منطوقة بينهما ، ويؤيد هذا ماذهب إليه بعض الباحثين مثل(فالون) و(جيزل) من أن البكاء أو استجابات الطفل الصوتية ذات دلالات غذائية بحتة ، مرتبطة بحاجات الطفل وأحاسيسه الداخلية ، ويعبر بها عن عدم اكتماله ، وعن حاجته إلى من يرضعه ، ويشعره بإحساس الاكتمال الذي يطلبه ؛ ولأن الأم هي التى تتولى ذلك بالنسبة للطفل ، فإنها تعتبر أقوى شخصية عنده ، فهو لايأبه بغيرها [١] .

وفي أحاديث الرسول ﷺ المشار إليها آنفًا تنبيه للأم لتهتم لطفلها ـ وخصوصاً الصغير ـ عندما تسمعه يبكي ، فإذا كان الرسول ﷺ يتجاوب مع هذا البكاء وهو في الصلاة ، فيخلي سبيل أمه مبكراً ، فإنما ذلك للعناية بحاله ودفع أسباب انزعاجه، «فالبكاء سبيل لمعرفة ما يؤذي الطفل ، وهو صمام الأمان لحل مايواجه الحضين من مشكلات بسيطة أو معقدة ، والبكاء صيحة من الداخل ، وهي مثل نداء الراعي الصادق طلباً لإنقاذه من الثعلب الذى يحوم حول غنمه » [٢] . ويقال مثل ذلك عن التعبيرات الأخرى التى تصدر من الطفل وتدل على انفعالاته كالأنين وتعبيرات الوجه الملفتة ، لكن البكاء يعد أكثر التعبيرات استعمالاً وصدقاً عن حال الطفل .

---

(١) انظر صالح الشمّاع ، ارتقاء اللغة عند الطفل ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) انظر رسمية خليل ، الإرشاد النفسي في مرحلة الحضانة ، ص ٦٧ .

٢ ـ مرحلة الحضانة

وتقع بين سن الثالثة والسادسة[١] ويكون الطفل ملتصقاً بأمه لاينفك من أسرها، وبحكم الشرع يكون لها الحق في حضانته ـ كالمرحلة السابقة ، في حال انفصال الزوجين ، أو وفاة الأب ، لما يتميز به طبعها من الرقة والعطف .

ولابد من تقبل الطفل واستقباله وإمداده بالرحمة والحنان ، وهو جانب من الجوانب التي ربى عليها المنهج الإسلامي الطفل المسلم ،واعتبرها مطلباً لايستغني عنه ، تؤسس في نفسه الرقة والرحمة ، وتبنى في شخصيته الخير والمحبة . وقد نصّ الرسول ﷺ على حاجة الطفل هنا إلى الرحمة والعطف والتقريب، فقدكان يقرب الحسن ويقبله ، وكذلك كان يفعل مع ابنه إبراهيم ، ومع غيرهما من الأطفال ويعطيهم من الحنان والشفقة مايحتاجون ، ويحذر من عدم توفير ذلك لهم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا . فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال « **من لا يرحم لا يُرحم** »[٢] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء أعرابى إلى النبي ﷺ فقال : أتقبّلون صبيانكم فما نقبلهم ! فقال النبى ﷺ : « **أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة** »[٣] ، فالرسول ﷺ هنا يؤصّل كيفية معاملة الطفل في هذا الجانب، وفي هذا السن ؛ حيث يجب أن يُقبّل وأن يشعر بذلك ، وأن يكون من دوافع ذلك

(١) انظر في تحديد سن هذه المرحلة د. يوسف القاضي و د. مقداد يالجن ، علم النفس التربوي في الإسلام ص ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ، وانظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/٤٤٠ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر المرجع السابق : ١٠/٤٤٠ .

الرحمة والشفقة . وهذا الأسلوب في التعامل يؤدي هو أيضاً إلى غرس الرحمة في قلوب الأطفال وتعويدهم عليها ، فقد قال رسول ﷺ « من لايرحم لا يُرحم » .

فهي عملية تربوية تبادلية ، وقد ترجم الرسول ﷺ ذلك عملياً فقد قبّل الحسن حباً وتلطفاً ورحمة كما ورد في الحديث الآنف الذكر ، وفي حديث آخر عن أنس رضى الله عنه قال : أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبّله وشمّه »[1] .

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه . قال : « صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأول ، ثم خرج إلى أهله ، وخرجت معه ، فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً ، قال : وأما أنا فمسح خدي ، قال : فوجدت ليده برداً أوريحاً كأنما أخرجها من جُؤْنة عطر»[2] فهو هنا ﷺ يمسح على الأطفال ، ويشعرهم بالقرب واللطف ، وانظر إلى هذا التناسب والترابط والتجاوب العجيب ، فالطفل يصلي ثم يجد الرسول ﷺ ـ وهو من هو في مقامه وقدره ومحبة الناس له ـ فيمسح على خده ، ويقربه ، إنها مكافأة مباشرة ، بطريقة جذابة .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال :

« كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن بن علي على الفخذ الآخر ثم يضمهما، ثم يقول : [**اللهم ارحمهما فإني أرحمهما** » [3] وهنا ، اسلوب عملي لكيفيات إمداد الطفل بالحنان والرحمة والعاطفة، من الوضع على الفخذ ، والضم، والدعاء ، وفيه المساواة بين الأطفال الحاضرين ، ولو تفاوتت أعمارهم ؛ فإن أسامة بن زيد كان أكبر من الحسن بسنوات . وكل هذا يشير إلى

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/٤٤٠ .

(٢) أخرجه مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ١٥/٨٥ ، وصلاة الأولى يعني الظهر ، وجؤنة العطار هي السفط أو السلة التي فيها متاع العطار .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/٤٤٨ .

أن التأثير على الطفل ، وتربيته يتطلب إقامة علاقة حميمة به تشعره بالمحبة وتدعوه لتبادلها مع الآخرين ، وتزرع فيه الثقة ؛ ولذلك كان يدعو الرسول ﷺ الحسن والحسين بريحانتيه ، من الريحان وهو من أحسن المشمومات ، أي هما نصيبي من الريحان الدنيوي ؛ فقد قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه سمعت النبي ﷺ ، يقول : « **هما ريحانتاي من الدنيا** » [١] وفيه إشارة إلى أن الأطفال محل للشم ، والتقريب كالرياحين [٢] . وكان أسامة بن زيد يُدعى بحب رسول الله لمحبة الرسول ﷺ له ، وتقربه إليه ، وقد تأثر هؤلاء وغيرهم من شباب الصحابة وأطفالهم بحب رسول الله لهم ورحمته لهم فأحبوه ، وفدوه بأنفسهم ، وقلّدوه بأفعالهم ، لمّاأعطاهم من الحب والعطف والرحمة كخطوة أولى ، وأساس أول ، لابد من بنائه لضمان التأثير اللاحق .

إن هذا الحنان ، وهذا الدفء العاطفي ، اللذين تفيضهما التربية الإسلامية على الطفل ، وتغمرهما به منذ نعومة أظفاره هو ما أيدته الدراسات الحديثة في علم النفس في الغرب ، حيث أثبتت هذه الدراسات والأبحاث أن الحب والحنان يجلب الاستقرار النفسى لدى الطفل ، ويجنبه الاضطرابات النفسية المختلفة في طفولته ومراهقته وبعد بلوغه ، بل ويجعل منه بالغاً واثقاً بنفسه ، له قدرة على تبادل العاطفة مع الآخرين أخذاً ورداً [٣] . إن تأكيد النهج النفسي في الإسلام على عامل الحب والحنان والرحمة بالطفل ، وتأييد علماء النفس المحدثون لذلك يجعل من المهم استيفاء الدراسات التفصيلية لأسس هذا الموضوع وتطبيقاته ؛ للاستفادة منها في المجالات المختلفة تربوياً وإعلامياً وصحياً إذ أنه لايزال موضوعاً بِكراً ، وهناك أسئلة

---

(١) أخرجه البخاري ، المرجع السابق : ١٠/٤٤٠ .

(٢) المرجع السابق : ١٠/٤٤١

(٣) انظر مالك بدري ، أسس الصحة النفسية للطفل المسلم « دراسة في أسلمة علم النفس » ص ٣٠ ، ٣١ .

كبيرة لم تحسم بعد مثل كيف نفرق بين الحنان والتدليل ؟ وكيف نتصرف تجاه الطفل الغيور؟ وكيف نجمع بين التأديب والرحمة ؟ وهكذا .

ومن أبرز المطالب التى عني بها المنهج الإسلامي في تنمية نفسية الطفل وبناء شخصيته في هذه المرحلة التقبُّل والتلعيب ، إضافة إلى الرحمة والحنان ، فعن أم خالد بنت سعيد قالت :

أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر ، قال رسول الله ﷺ :سنه سنه . يعنى حَسَنَه (وهي بالحبشية) قالت:فذهبت ألعب بخاتم النبو فزبرني[1] أبي . **قال رسول الله ﷺ : دعها »**[2] . فقد لاعبها رسول الله ﷺ ومازحها وشجَّعها عندما مدح قميصها ، وتركها تلعب بخاتم النبوة ، ولم يمنعه مالهذا الخاتم من ميزة وقيمة أن يدعها تلعب به ، بل إنه نهى أباها عن زجرها ، ومنعها من اللعب ، وهذا لاريب منتهى العناية بنفسية الطفل ، وما تتطلبه كل مرحلة من مراحل النمو بحسبها . وفي حديث آخر عن أنس رضى الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وكان لى أخ يقال له أبو عمير ـ قال أحسبه فطيما ـ وكان إذا جاء قال : يا أبو عمير ما فعل النغير ؟ نغر كان يلعب به »[3] وفي رواية أن الرسول ﷺ كان « إذا جاء لأم سليم[4] يمازحه»، وفي رواية أخرى « يضاحكه » ، وفي رواية « يهازله » وفي رواية « فجاء يوماً وقد مات نغيره الذى كان يلعب به ، فوجده ،حزينا ، فسأل عنه فقال: ما شأن أبى عمير حزينا ؟ فجعل يمسح رأسه ويقول : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟، وفي رواية « فزارنا

---

(١) زبرني يعني نهرني أو زجرني .

(٢) الحديث أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر : فتح الباري : ٤٣٩/١٠ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر المرجع السابق : ٥٩٨/١٠ .

(٤) وهي أم ذلك الصبي الفطيم .

رسـول الله ﷺ ذات يوم فـقال : ياأم سـليم مـاشـأنى أرى أبا عمـير ابنك خـاثر النفس » [١] أى ثقيل النفس غيرنشيط .

والنغير طير صغير أحمر المنقار له صوت ، كـان يلعب به ويتسلى ، وكان الرسول ﷺ يسـأله ويمـازحـه عـن هذا الطيـر . وهذا يـدل على أن المـمـازحـة ، وخصـوصاً مع الصغـار أمر مطلوب ؛ فـقد مازحـه رسول الله ﷺ ، ودعاه بكنيته وبالتصغير للملاطفة ، وهو يشير إلى تواضـع الكبير للصغار ، ومعاشرتهم على قدر عقولهم [٢] ويشيـر الحديث إلى أن ذلك الطفل كـان فطيمـاً ، أى في مرحلة مـابعد السنتين وهي مرحلة الحضانة كما أشرنا .

ولما تتطلبه هذه المرحلة من الرحمـة والشفقة أكثر من غيـرها ، كان إيقاع الأمر الملزم إنما يتم بعـدها ، كـمـا ورد ذلك ببـداية الأمر بـالصلاة في قـول الرسـول ﷺ **«مروا أولادكم بالصلاة لسبع »** ، وكان الضرب عليها في سـن العاشرة وهذا يشير إلى التدرج في الشـدة والإلزام ، وفق هشاشة الطفل وصلابته ، ووفـق مقدرته على التحمل ، ووفق النمو النفسي الذى يبدأ رقيقاً ليناً ، وينتهى شديداً قوياً . فالطفل في البداية محدود المدارك ، سريع الإنفعال ، غزير العاطفة ، ويتدرج في ضبط عواطفه وتوجيـه انفعالاته إلى حال يمكن مـعها محـاسبته وإلزامـه ، وتلك هي طريقة المنهج الإسلامى في النمو ومتطلباته . والمنهج الإسلامي ينبه إلى خطورة معاكسة التكوين الطبـيعـي والإتجاه الإنفـعـالي النامي بالفطرة لدى الطفل والذي ينـبغي أن يسـتـثمـر بتـأصيل الحنان والمحبة وغـرسهمـا في نفس الطفل مـادام قابلاً لذلك ،ولن يسـتطيع المربي غرس ذلك بعـد تجاوز مـرحلة الحضانة وبدايات التـمييـز إن كانت نشـأته قد تميزت بالقسوة والشدة ، وأحيطت بالإهمال أو الحرمان.

---

(١) انظر هذه الروايات في ابن حجر : فتح الباري ٥٩٩/١٠ .

(٢) انظر المرجع السابق : ٦٠١/١٠ .

ومما سبق نستطيع أن نحدد المعالم النفسية والتربوية في هذه المرحلة بالآتى :

١ ـ الطفل غزير العاطفة ، ضعيف التحمل ، يعتمد على الغير ، ويضع ثقته فيهم ، يحتاج إلى الرحمة والعطف ، ولذلك ألحقت حضانته بأمه لما تحمل من صفات الحنان واللين أكثر من الأب . وحُثَّ الوالدان وغيرهم علي الرحمة بالطفل وبذل الحنان له .

٢ ـ الطفل يرحم غيره في المستقبل بقدر مانعطيه من الرحمة في طفولته ، فكلما أحاط الوالدان الولد بالحنان والشفقة في تعاملهم ، والعناية بحاجاتهم ، ومخاطبتهم على قدر عقولهم ، وتكليفهم بقدر طاقتهم ، كلما نمت في الطفل سمات اللين والرحمة والتعاون ؛ فهي عملية نفسية تبادلية .

٣ ـ ضَرَبَ المنهج الإسلامي أمثلة عملية عديدة لكيفيات تقبل الطفل والرحمة به ، منها : التقبيل ، والضم ، والوضع على الفخذ وفي الحجر ، والتبسم ، والدعاء، والتفقد والمدح ، والتكنية ، والمسح ، والملاعبة ، وغير ذلك .

٤ ـ الطفل غير قابل للجدية الكاملة ، مدركاته التكليفية محدودة ، يحتاج إلى اللعب والمزاح والحركة . ويجب على والديه إشباع هذه الحاجة لديه بالطريقة المناسبة ، وقد يقضي الطفل شطراً كبيراً من وقته في اللعب ولايمل من ذلك لإحساسه بهذه الحاجة . وهي حاجة تصقل نفس الطفل ، وتُحسِّن علاقته بوالديه ، وتقربهما إليه إذا اعتنيا بها ، كما أنها تزيل عن نفسه الضيق وتشجعه على الأنشطة الأخرى إذا استثمرت استثماراً موجهاً .

٥ ـ المشاركة الوجدانية للطفل بتقدير معاناته ، ومخاطبته على قدر عقله وعدم تكليفه مالا يطيق ، وعدم زجره ، أو معاقبته فيما يقع فيه بحكم سجيته ، وقصور إدراكه . أي أن المربي يحاول أن يفهم مواقف الطفل وتصرفاته وأقواله

وأحواله ، من خلال وجهة نظره هو لا من خلال معايير الكبار وشروطهم ، لأن الطفل محدود الإدراك ، محدود التجربة ، فمن العبث النظر إلى واقع الطفل من علو . وهكذا كان الرسول ﷺ مع الصغار ، يرحمهم ويقربهم وربما حملهم في الصلاة ، وربما تجوّز في صلاته من أجلهم وهو يريد أن يطيل فيها ، وكان يمكّنهم من اللعب ، ويمزح معهم ويخاطبهم بقدر مستواهم ، ولايكلفهم إلا بقدر مايطيقون ، ولايحاسبهم إلا بقدر مايفهمون .

٦ ـ تتناسب هذه المعاملة اللينة ، والمهادنة ، ومحاسبته على قدر عقله مع مايعيشه الطفل من فردية (تمركز حول الذات) بحكم مستوى نموه المعرفي ـ كما يرى بياجيه وتلاميذه[1] ـ فإن الطفل في هذه المرحلة لايدرك وجهات نظر الآخرين، ولايستطيع الجمع بين وجهات النظر إلى مايراه هو . وتكون اللغة المسيطرة عليه أكثرها بضمير المتكلم ، كما أنه لايستطيع أن يكيف صياغته للكلام وفق حاجة المستمع ، ولايستطيع أن يدرك أن وصف الأشياء والأماكن يمكن أن يختلف باختلاف الموقع منها . وقد ترتب على هذا ظواهر سلوكية ونفسية عديدة منها : كثرة العناد في هذه المرحلة ، والمبالغة في تملك الأشياء وحيازتها ، وإن لم تكن تخصه ، والإخفاق في الاتفاق مع أقرانه عند حدوث المشاجرة والاختلاف .

وأمام هذه الظواهر التي تشير إلى ضعف الطفل وقصر نظره ، يكون من أنجح السبل في التعامل مع هذه الخاصية ، التأني في تأديبه وتعليمه ، والرفق في إقناعه وتصويبه ، وانتظار تجاوزه لهذا القصور والمحدودية عند تعذر قبوله واستيعابه تماماً كما تعامل معه الأسلوب التربوي الإسلامي في هذا الجانب ، وسيأتي بيان التعامل مع الجوانب الخلقية عند تناول النمو الخلقي .

---

(١) انظر John, Flavell , The Developmental Psychology of Jean Piaget ,P156 , 157 .

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

٣ ـ مرحلة التمييز

التمـيز في اللغة ، من مـازه يميزه أي عزله وفرزه ، ومـيَّزه فامتـاز و تميّز الشيء فضَّل بعضه على بعض[١] . ومنه يتبين أن التـمييز يحـمل معنى فضل الشيء بعـضه عن بعض ، وفرز أجزائه ومفرداته . وعلى هذا فاكتساب الطفل القدرة على التمييز، تجعله يفرز الأشياء بعضها عن بعض ، ويعزلها مفضلاً بعضها على بعض [٢] .

وهي مرحلة من النـاحية الاصطلاحـية ، ووفق المبادئ الشـرعية تبـدأ قرب سن السـابعة ، وتمثل نقلة عـقلية وانفـعالية تؤهل الفرد لمـارسة تكاليـف جديدة بصـفة منتظمة ولاتخلو من أعمال قيادية .

والتحـديد العمري المشار إليـه منصوص عليه في حـديث سبرة بن معبد رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « **علمـوا الصبي الـصلاة ابن سبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشرة** » [٣] وفي روايـة : « **مروا أولادكم بالصـلاة وهم أبناء سـبع سـنين ، واضـربوهـم عليـهـا وهم أبناء عـشـر سنين ، وفـرقـوا بـينهم في المضاجع** » [٤] .

وفي قوله ﷺ علّموا إشـارة إلى القدرة على التـعلُّم المشتمـل على الاستيـعاب والفهم ، خصوصـاً وأن الصلاة ذات صبغة عملية ، وليست تعليـمات مجردة ، بل التوجـيه هنا يُقرن بالتطبيق ، مما يمكّـن الطفل من فهم الصلاة وتنفيـذها ، وقد أيدت هذا نتائج دراسات «بياجيه» على هذه المرحلة ، ويسميها (مرحلة العمليات العيانية)

---

(١) انظر الفيروزبادي ، القاموس المحيط .

(٢) انظر عبد العزيز السعيد ، أحكام الصبي المميز في الشريعة الإسلامية ص ١١.

(٣) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٢/٤٤٥ رقم (٤٠٥) .

(٤) هذه الرواية أخرجها أبو داود ، انظر سنن أبي داود : ١/٣٣٤ رقم (٤٩٥) .

وتعني أن الطفل يستطيع انجاز عمليات منطقية في الأشياء التي تقع في محيط خبرته المباشرة في حياته اليومية [١] .

وقوله ﷺ « مروا » إشارة إلى حمله على الصلاة وتعويده عليها ؛ حيث أن لديه استعداداً لتثبيت سلوكه بدرجة عالية . والأمر ، والتعليم ، و الضرب ، والتفريق في المضاجع ، كلها طرق تأديبية وتعويدية على سبيل التمرين على الطاعة، واعتقاد العبادة ؛ ليبلغ حد الوجوب فيسهل عليه ـ كما قال بعض العلماء[٢] ـ وهذا سيأتي الحديث عنه في مراحل النمو الخلقي .

وتحديد المرحلة ورد أيضاً بطريقة أخرى ، وذلك بالإشارة إلى بعض السلوكيات التمييزية التي تظهر في هذا السن ، والتي تنبئ عن انتقال نمائي لدى الطفل ، فقد ورد عن الرسول ﷺ إشارة إلى بعض الخصائص المعرفية لطفل هذه المرحلة ، ومن ذلك أن يعرف يمينه من شماله [٣]، وهذا التمييز بين اليد أو الرجل أو الشق اليمين والشمال صعب وشاق على الطفل قبل سبع سنين، ولاتكون إجابته في هذا ثابتة ؛ فهو يتردد ويرتبك ، وقد يقلّد من يقع في مقابله بأن يتصوره في مكانه هو ، فيحدد اليمين والشمال بناء على ذلك فيخطئ ، وهذا مايسميه «بياجيه » في مرحلة ما قبل العمليات بالتمركز حول الذات ؛ حيث يسقط موقعه على الآخرين ، ويحكم من خلال ذلك خصوصاً وأنه يحب التقليد . أما في سن السابعة فيشرع الطفل في العمليات التمييزية ، في الإطار البيئي والعملي من حوله ، أي يبدأ بإتقان عمليات عقلية على أساس من المادة التي بين يديه ، أو من العمل الذي يراه أو يقوم به . ومن ذلك قدرته على فهم تعاليم الصلاة المرتبطة بتطبيقاتها .

---

(١) انظر محمد عماد الدين اسماعيل ، الطفل من الحمل إلى الرشد ، الجزء الثاني ، ص ٣٣ .

(٢) انظر سنن أبي داود : ١/٣٣٤ ، عند شرح الحديث .

(٣) انظر المرجع السابق ، ص ٣٣٥ رقم الحديث (٤٩٧) ، وقد ضعف الألباني الحديث في الجامع الصغير .

ولما يمكن أن يكون لديه من قدرة على الضبط والعدّ والحساب والاستحضار ، فضلاً عن الحفظ والتذكر ، رأى بعض الأئمة أنه يمكن أن يؤم المصلين إذا لم يكن ثمة أفضل منه من الكبار ، وممن ذهب إلى ذلك الحسن وإسحاق بن راهوية والشافعي ، وقال : يؤم الصبي غير المحتلم إذا عقل الصلاة . وقد استندوا في ذلك على حديث عمرو بن سلمة ، وقد ذكر أنه كان غلاماً حافظاً فحفظ قرآناً كثيراً ، وقد وفد أبوه إلى رسول الله ﷺ في نفر من قومه ، فعلمهم الصلاة ، فقال : «يؤمكم أقرؤكم» ، قال عمرو بن سلمة : وكنت أقرأهم لما كنت أحفظ فقدموني ، وأنا ابن سبع سنين أو ثمان سنين (١) .

ورغم أن مسألة قيادته للمصلين وتقدمه فيهم خلافية بين العلماء ، لكنها تشير إلى المدى الذي يصل إليه المنهج الإسلامي في التعرّف على قدرات الفرد في المراحل المختلفة ، وإلى المدى الذي يستثمر فيه تلك القدرات والإمكانات وينمّيهَا ويسخّرها لخدمة الفرد والمجتمع . كما أن هذا الحديث يؤكد على أن سن السابعة ، يمثل نقلة نوعية للفرد من الناحية العقلية والسلوكية ، يترتب عليها آثار وعواقب في مناحي عديدة مثل المجال العبادي ، ومنه صلاته وإمامته للمصلين وحجه وزكاته وصومه ، والمجال الاعتقادي مثل إيمانه وإسلامه ، والمجال المالي مثل بيعه وشرائه وأخذه الأجرة على عمله ، والمهم هو أن تكون هذه الأعمال موافقة للشرع فيعتد بها وتقبل منه (٢) .

---

(١) أخرجه أبو داود أنظر سنن أبي داود : ٣٩٣/١ ، ٣٩٤ رقم الحديث (٥٨٥) وكره بعض الأئمة الصلاة خلف الغلام قبل البلوغ ومنهم مالك وعطاء والثوري ، وأما الإمام أحمد فلا يراه ، والله أعلم ، أنظر ابن قدامة ، المغني : ٢٢٨/٢ ، ٢٢٩ .

(٢) انظر عبد العزيز فهد السعيد ، أحكام الصبي المميز في الشريعة الإسلامية رسالة دكتوراه غير منشورة ، المعهد العالي للقضاء الرياض ص ٢١٤ .

وفي مرحلة التمييز يكون الطفل قد تجاوز مرحلة الاعتماد الكبير على الأسرة ، والاتكاء البارز في حاجاته ومتطلباته على مجتمعه المحصور في البيت من الوالدين والإخوة ونحوهم ، كما أنه يكون قد مضى قدماً في نضجه ، وخصوصاً من الناحية النفسية من حيث الصبر والتحمل والثبات ، ومن الناحية العقلية ، من حيث معرفة الضار من النافع والخطأ من الصواب في محيط بيئته .

ولهذا السبب يعوِّل المنهج الإسلامي على هذه المرحلة تعويلاً كبيراً في تهيئة الفرد ، ورفع كفاءته واستثمارها بأقصى مايمكن ؛ لتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة ، في محيط التصور الإسلامي لغايات الإنسان ، ووظيفته ، وموقعه في مجتمعه .

فهي مرحلة تجمع بين أمرين مهمين أولهما : درجة من النضج كافية للتدريب والتعليم وإكساب المهارات والمعارف ، وثانيهما : مرونة وصفاء وخلو ذهن يهيء للاستقبال والتأثر ، ومع اعتبار أهمية معقولة للمرحلتين الأوليين : الرضاعة والحضانة ، تبقى هذه المرحلة على درجة أكبر أهمية للأسباب المشار إليها ، بخلاف مايذهب إليه التحليليون وخاصة فرويد ، من التعويل على فترة الست سنوات الأولى من عمر الطفل ، وجعلها مخزن التجربة الفاصلة في حياة الفرد إلى أن يموت، ولايمكن أن ينفك من آثارها سلباً أو إيجاباً .

و(العامل البيئي) أو الضبط الاجتماعي غير المباشر ، و (العامل الغائي) أو الضبط بالأهداف ، بحسب فهم الطفل ـ وبصورة متدرجة ـ يمثلان عاملين حاسمين في نظرة المنهج الإسلامي إلى الطفل في هذه المرحلة وتعامله معه .

كما أن الصفة التطوعية لإنفاذ الأعمال وإنجازها في كثير من الأحيان مهمة للطفل وللأسرة ؛ إذ لايعتبر الطفل مكلفاً مسؤولاً في هذه المرحلة ، ولاتشعر الأسرة بالحرج والضيق عند التقصير والوقوع في الأخطاء مادامت معتنية بالتربية

بشكل عام ، فهذه المرحلة مرحلة بناء على التراخي وبطرق مختلفة مباشرة وغيرمباشرة .

لقد تناول النفسيون والتربويون مرحلة الطفولة المتأخرة وما نسميه هنا مرحلة التمييز بتفصيلات واسعة في كتب علم النفس التربوي ، وعلم نفس النمو ، والتربية في المرحلة الابتدائية ، ومنهم من تناولها إلى جانب ذلك من ناحية إسلامية، مثل الأستاذ محمد قطب ، والأستاذان محمد عودة ومحمد رفقي عيسى ، والأستاذ عبدالله علوان ، والأستاذ محمد نور سويد ، والأستاذ محمد العبد الوهاب وغيرهم ، وفي تلك الكتابات فوائد جمة ، تهدي المربي إلى معالم الطريق السليم في تربية هذه الفئة من المتعلمين . ولذلك فإن الباحث هنا لايريد أن يكرر ماتحدث به الآخرون في هذا الباب ، وإنما يركز على مايراه مهماً ، يجب لفت النظر إليه ، أو جديداً في الطرح ، يزيد المتخصص فهماً لهذه المرحلة ، ويمنح المربي جلاءاً في تعامله مع ابن هذه المرحلة .

وبالاطلاع على ماورد في القرآن أو في السنة أو في السيرة عن الطفل في سن التمييز ، وعلى ما كتبه العلماء التربويون السابقون ، وعلى ماكتبه المحدثون ، يمكن الوصول إلى أن هناك ثلاثة عوامل مهمة ، ذات علاقة بارزة في بيان طبيعة هذه المرحلة ، وكيفية التأثير فيها .

١ ـ العامل الذاتي ، ويتعلق باستعدادت الطفل المميز .

٢ ـ العامل البيئي ، ويتعلق بالوسط الاجتماعي الواقع فيه الطفل المميِّز .

٣ ـ العامل الغائي ويتعلق بالأهداف العامة والخاصة الذي ينشأ من خلاله ذلك الطفل .

ولاشك أن العوامل الثلاثة موجودة ومؤثرة على كل المراحل التي يمر بها

الإنسان ، ولكن للطفل المميز بروز مضاعف فيها ، وخصوصاً العاملان الثاني والثالث ؛ فهو شبه جديد لاخبرة عنده ، ولا عادات متأصلة فيه ، ولاقناعات متعمقة لديه ، ولاقدرة عقلية على المقاومة .. إلخ ، بخلاف ماقبل تلك المرحلة ؛ فالطفل بعد لم يخرج إلى المجتمع ، ولم تستتب لديه القدرة على اكتساب العادات والمهارات ، وتخزينه للخبرات محدود ، وحفظه أيضاً في المقتبل ، وبخلاف مابعد هذه المرحلة (المراهقة) فالمقاومة العقلية والحاجة للاقتناع ، والبحث عن الهوية يسيطر عليه .

والانتباه لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة ، والعناية بها له أثر بالغ في تربية الطفل المميز ، وفي الاستفادة من طاقاته ، وصقل مواهبه ، وإكسابه المهارات المناسبة ، والخبرات الكافية ، وقد تجمعت هذه العوامل واستوت في العملية التربوية على يدي رسول الله ﷺ في المدينة ، حيث كان هناك وعي دقيق بخصائص هذه الفئة (العامل الذاتي) من أبناء هذه المرحلة ، وحدود استيعابها واكتسابها في الجوانب العقلية والنفسية والجسمية ، وقد ربيت هذه الخصائص ونُميت ووجهت من خلال الوسط الاجتماعي والمادي (العامل البيئي) الذي صنعه الرسول ﷺ وصحابته ، وكان في هذا الوسط حد كاف ، من الانضباط والنمذجة في المجالات المختلفة الإيمانية والعبادية والعلمية والسلوكية والاجتماعية ، وكان وسطاً قريباً من الفطرة والطبعية لاتكلف فيه ولا مجاملة ، كما أنه كان متوازناً في التعامل مع الخصائص المختلفة للأفراد . ثم وضع الرسول ﷺ هذه الفئة بخصائصها المميزة ، وهذا الوسط الذي يحضنها وينميها في إطار الأهداف التغييرية العامة للتربية الإسلامية (العامل الغائي) حيث الأولوية لأمور الدعوة والمجاهدة والجهاد ، والسعي الحثيث للبناء الصحيح المتكامل ، للفرد والمجتمع والدولة والمقصود الأعظم رضا الله والحصول على جنته واتقاء سخطه وعذابه . وكان الأطفال المميزون يحسون أنهم في عملية

بناء وتغيير مستمرين في أنفسهم وفيما حولهم ، وأمثلتهم كثيرة جداً منهم : العبادلة : ابن عمر ؛ وابن عباس ؛ وابن عمرو ؛ وابن الزبير ؛ وابن مسعود ، وعلي ابن أبي طالب ، وأنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، وأسامة بن زيد ، وسمرة بن جندب ، وعمرو بن سلمة ، وعمر بن أبي سلمة ، والحسن والحسين وغيرهم ، رضي الله عنهم أجمعين . وسنتناول فيما يأتي هذه العوامل الثلاثة بالإيضاح .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

أ ـ العامل الذاتي « الاستعدادات »

ويتناول الباحث مايراه مهماً من تلك الاستعدادات وهي : ـ

١ ـ القدرة على التمييز والمحاكمة العقلية من خلال الواقع .

٢ ـ القدرة على الحفظ .

٣ ـ القدرة على التقليد واكتساب العادات .

٤ ـ القدرة على الحركية واللعب واكتساب المهارات .

١ـ القدرة على التمييز[1] والمحاكمة من خلال الواقع :

قد بينا معنى هذه القدرة عند التعرض للجانب اللغوي للكلمة ، وهذه القدرة هي التي على أساسها سميت هذه المرحلة بمرحلة التمييز ، وبنى عليها الفقهاء والعلماء كثير من الأحكام المتعلقة بالطفل المميّز ، ويقول أحد هؤلاء : إن التمييز قدرة عقلية تظهر في سلوك الطفل ، أو هي قوة في الدماغ يستنبط بها المعاني ومنه يقال : لاتمييز له .

ويصف الفقهاء الطفل بأنه مميز ، إذا كان يستطيع التفريق بين المتضادات كالضار والنافع ، والبيع والشراء ، وأشاروا إلى الجانب العملي في هذا ، فقالوا : يعرف أن البيع يؤدي إلى فقد المباع عن البائع ويأخذ بدله مالاً ، ويعرف أن الشراء يجلب شيئاً مقابل دفع المشتري مالاً . والتفريق بين المتشابهات مثل التفريق بين الدابة والحمار ، ولايخلط بين الحيوانات المتشابهة مثل البغل والحصان والحمار ،

---

(١) قد بحث هذا الموضوع د. محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب في رسالته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام ، الرياض وهي لم تنشر ، ولم أقف على مثل هذا البحث في بابه ، فقد فصله واستشهد له وكان بارعاً . انظر ص ٣٤٠ ومابعدها .

وقد أثبتت الأبحاث التي تمت على الأطفال في هذا السن قدرتهم على هذا التفريق الذي أشار إليه بعض الفقهاء .

والملفت هنا هو ربط الفقهاء هذه القدرة بالجانب العملي ، والأمثلة المادية لها ، وكأنهم يؤكدون على أهمية توفر هذه القدرة ، حتى ولو لم تكن في المجردات أو المعاني المطلقة ، أو كأنهم يلمحون إلى أن التمييز في هذه المرحلة يكون محدوداً في الإطار المادي ، أو أنه من خلال العمليات المادية والواقعية والتعاملية ، وهذا ما توصل إليه (بياجيه) في دراساته على مايسميه مرحلة « العمليات العيانية » وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً ـ وهي تقابل مرحلة التمييز وعنده[١] أن الطفل في هذه المرحلة يكون قادراً على التفكير المنطقي ، لكن في الأشياء التي في خبرة الطفل المباشرة في حياته اليومية ، وهذه القدرة الجديدة لدى الطفل تمكنه من أن ينتقل من التركيز على صفة واحدة فيما بين يديه ، أو فيما يتفحصه ، إلى التنسيق بين عدة صفات وأبعاد للأشياء وهذا أيضاً يوسع إدراكه الاجتماعي[٢] للأدوار ، وأنها قد تتعدد ويتعدد الأشخاص وقد تتعدد للشخص الواحد ، وقد يتمكن من القيام بهذه الأدوار مع فهمها ، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الفقهاء من مخاطبة هذه الفئة العمرية بالإسلام ، وعرضه عليهم ، وقبوله منهم ، كما فعل الرسول ﷺ مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومع الغلام اليهودي عندما أراد أن يموت ، وقد أسلم [٣] ، وعرضه الإسلام على ابن صياد [٤] وكان صغيراً . وتوجيه الرسول ﷺ لهذه الفئة إلى الأدوار الاجتماعية ، والدعوية ، والجهادية بل والقيادية أحياناً .

ويدخل في القدرة على التمييز إدراك الفوارق بين الألوان والأحجام

---

(١) انظر محمد عماد الدين اسماعيل ، الطفل من الحمل إلى الرشد الجزء الثاني ص ٣٣، ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ .

(٣) انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٣/٢١٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٨ .

والأوزان ، وإدراك التناظر والتماثل والتشابه ، وإدراك الاتجاهات : الشرق والغرب والشمال والجنوب لكن في آخر المرحلة ، وكذلك التمييز بين المفاهيم الزمنية ، لكنه يبدأ في وسط المرحلة ويتضح ويستقر في آخرها ، ومن المفاهيم الزمنية : السنة والشهر والأسبوع ، والليل والنهار ، وأسماء أوقات اليوم والليلة ، وكذلك مفاهيم : العقد والقرن وفصول السنة . ولا شك أن الوسط الاجتماعي وبرامجه ، والتكاليف الشرعية المرتبطة بذلك تساعد على وضوح تلك المفاهيم ، واستقرارها لدى الطفل المميز ، فالصلوات محددة بأوقات ، والصيام والحج كذلك ، والقرآن والسنة وهما أول مايتلقاه الطفل في التعليم يحويان تلك المفاهيم ، ويربطان الناس بها نظرياً وعملياً .

٢ ـ القدرة على الحفظ والاستظهار :

وهي قدرة الطفل السريعة والمميزة في هذه المرحلة على حفظ النصوص ، وتخزينها ، دون حاجة للفهم ، وهو مايسميه النفسيون التذكُّر الآلي[١] ، وهذه القدرة توجد في مرحلة الحضانة ، ولكنها تزداد وتتمكن في مرحلة التمييز ، ولعل لهذا علاقة بمبدأ الاحتفاظ أو مبدأ ثبات المادة كما يسميه بعض علماء النفس[٢] ، عندما يكون الطفل قادراً على استبقاء المادة بأعدادها ومساحاتها وأحجامها إذا مرّت عليه مادامت في إطار المحسوسات وفي إطار الواقع الذي يعيشه ، والحفظ للنصوص والمواد العلمية مرتبط بتلك النصوص التي تتلى أو تقرأ أو تسمع ثم يتم اختزانها للاستعمال اللاحق . والملاحظ أن هذه الملكة أو القدرة تتناقص وتضعف بعد البلوغ ، ولاتكون بمثل القوة التي كانت عليها .

وهذا يبدي لنا أهمية استثمار هذه القدرة الخاصة في هذه المرحلة باستظهار القرآن والحديث والحكمة والشعر . ومن الملاحظ أن الأطفال المميزين يحفظون العبارات المستخدمة بينهم ، والألغاز ، والأناشيد ، وبعض الأمثال ، والحكايات ، ويستخدمونها ، بل ويحفظون مافي المقررات الدراسية من جغرافيا وتاريخ وقواعد وفقه وحديث و غيرها ، ويسردونه عن ظهر قلب ، وفي غالب الأحيان دون فهم ، ولو حاول الكبار أن يحفظوا حفظهم ما استطاعوا .

وهذا يشير إلى مَلكة للحفظ متهيئة للاستقبال والتخزين ، وهي مَلكة جاهزة ، تنتظر ما يطبع فيها ويخزن ، وإذا واكب هذه المَلكة تعويد وتدريب ، استوت على عودها وآتت ثمارها ، أما إذا أهملت فإنها تفقد آليتها وتضعف شيئاً فشيئاً ، حتى إذا كبر الطفل ووصل سن سبعة عشر أو ثمانية عشر (المراهقة) أحس

(١) انظر حامد عبد السلام زهران ، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة ، ص ٢١٥ .

(٢) انظر محمد عودة ومحمد رفقي عيسى الطفولة والصبا ، رؤية إسلامية في النمو الإنساني (١) ، ص ٢٤٩ .

بعدم الاستطاعـة على الحفـظ ، بل وفي كثـير من الأحيـان يكـره الحفـظ ويتعـب منـه .

والمنهج التربوي الإسـلامي يحث على الحفظ والاسـتظهار وضبط المحـفوظات بنصّها ونقلهـا للآخرين ، وهكذا كان حفظ القرآن ونقله ، وحـفظ حديث رسول الله ﷺ ، وسنتناول هذا الموضوع عند الحديث عن المرحلة الأولى من مراحل النمو الخلقي وفق المنهج الإسلامي .

وقد قال الرسول ﷺ : « **بلغوا عـني ولو آية فرب مبلَّغ أوعـى من سامع** » ، وكـان من عادة المسلـمين في العصـور الزاهرة المبـادرة إلى سـماع الولدان الحـديث النبوي ، وأن الصغير يكتب له حضور إلى تمام خمس سنين من عمره ، ثم بعد ذلك يسمى سماعًا [١] حيث يكون قادراً على الحفظ والتبليغ وعلى الفهم أحياناً .

فالمـربون من معلمين وآباء وأمـهات يجب أن يوجـهوا أولادهم للحـفظ بأكـبر قدر ممكن في هذه المرحلة ، بتوجيههم لمدارس تحفيظ القرآن ، ولحلقه في المساجد ، وحلق حفظ الحـديث وسماعـه ، وكـذلك حثهم على حـفظ ما حسُن من الشـعر والنثر ، ومن المهم جداً تحفيظهم سائر الأوراد والأذكـار والأدعية الثابتة عن الرسول ﷺ وربطها بأوقاتها ومناسباتها ، فقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو في هذا السن :

« علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت .. الحديث » [٢] .

وأمـا الـقـرآن فقـد عُـهـد عن الأطفـال المميـزين على عـهـد الرسـول ﷺ

---

(١) انظر محمد بن عبد الوهاب ، أهداف التربية الإسلامية للمرحلة الابتدائية ، ص ٣٤٧ .

(٢) انظر هذا الكتاب ، ص

قراءة القرآن والاهتمام به وحفظه ، وختمه ، حتى إن بعضهم يختمه كل أسبوع مثل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وفق وصية الرسول ﷺ له [١] .

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين ، وقد قرأت المحكم » [٢] .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

(١) كما أخرج ذلك البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٧١٣/٨ رقم الحديث (٥٠٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٧٠١/٨ رقم الحديث (٥٠٣٥) والمقصود بالمحكم المفصل وهي الأجزاء الأخيرة من القرآن والتي تقرأ في الصلاة عادة .

٣ ـ القدرة على التقليد واكتساب العادات :

وهي استعداد الطفل المميز للتعود على عادات معينة ، وتثبيت سلوكيات ومناح عملية في حياته اليومية ، واتخاذ طرق ثابتة في أكله وشربه ولبسه ودخوله وخروجه وجلوسه وطريقة حديثه وتعامله واقتناء حاجاته ... إلخ . فإن لديه استعداداً وقابلية للتعود الآلي ، كما أنه لازال قابلاً للبناء والتعديل في مسالكه ، لم تتمكن لديه العادات والأنماط فهو خالي الذهن ، نقي النفس ، سليم الفطرة .

والتعود الآلي موجود فيما قبل التمييز لكنه يظل سمة من سمات الطفل إلى أن يصل سن العاشرة وينضاف لهذا الاستعداد قدرة التمييز التي سبق بحثها ، ولذلك فإن من المناسب والموافق لطبع الطفل المميز ألا نكتفي بالتربية الآلية ، بل نسعى لربط السلوك بمعناه وأبعاده وآثاره في الوقت الذي ندربه عليه ، ونكرره أمامه ليثبت ويتمكن ، ومن خصائص الطفل المميز المناسبة لهذا أيضاً أنه من الناحية الانفعالية هادئ ومسالم أكثر من غيره ، ومن الناحية العقلية يستطيع أن يدرك وجهات نظر الآخرين ؛ مما يمكّن المربين من الحصول على نتائج مثمرة جداً فيما يتعلق بعملية الضبط ، وتوجيه السلوك ، والإشعار بالمسؤولية عن التصرفات المختلفة [١] .

ومن أهم السبل للتعويد والبناء إعطاء القدوة للطفل ، وعرض النماذج المناسبة بالطرق المختلفة ؛ ليكتسب منها مسالكه وعاداته في الاتجاه المرغوب ، فعن طريق التعلُّم بالملاحظة يستطيع الطفل أن يتعلم ، ليس فقط سلوكاً خلقياً محدداً كالإحسان مثلاً ، بل يمكنه أن يتخذ منظور القدوة بأكمله[٢] .فالقدوة المتمثلة بالأب أو الأم أو المعلم تُبْرز سلوكيات متعددة مترابطة ومتجاوبة ، فإذا أضيف إلى ذلك إمكانية إدراك الطفل المميز لمنطقية السلوك أو علله بطريقة مباشرة

---

(١) انظر محمد عماد الدين إسماعيل ، الطفل من الحمل إلى الرشيد ، الجزء الثاني الصبي والمراهق ص ، ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

مربوطة بالواقع [١] أو غير مباشرة لكنها ظاهرة في سلوك المربي ، كان ذلك سبباً في تقبل العادات والفضائل ورسوخها .

ولاشك أن المربي في أمس الحاجة لإكساب الطفل العديد من العادات والخصال ، وتلك هي الفترة المناسبة والأكثر قابلية ؛ فالعادات المتعلقة بالعبادات والمعاملات والآداب مثل الصلاة ومتعلقاتها وأدب الحديث والسماع والاستئذان والتعامل ونحوها إنما تزرع في هذه المرحلة . وسنتناول هذا الجانب في مواضع أخرى من هذا الكتاب إن شاء الله .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

(١) انظر المرجع السابق ص ١٢٩ ، ١٣١ ، فقد ذكر المؤلف عدداً من الأمثلة الموضحة المفيدة ، فليرجع إليها .

٤ ـ القدرة الحركية واللعب واكتساب المهارات :

المعروف ـ وفق الأبحاث والدراسات النفسية ـ أن النمو الجسمي في مرحلة التمييز يكون بطيئاً جداً مقارنة بالمرحلة التي قبلها (الرضاعة والحضانة) والتي بعدها (المراهقة) ، لكن طفل هذه المرحلة مع هذا البطء يكتسب المهارات الحركية بسرعة وتميّز ، ويرتبط باكتساب المهارات من حيث النوع ، ويحدد الميل لدى الطفل ، فبعضهم يميل للمهارات الفنية والكتابية كالخط والرسم والزخرفة وبعضهم للمهارات الميكانيكية والتركيبية في تركيب الأجهزة وإصلاحها وتشغيلها ، وآخرون للمهارات الحيوية والزراعية من العناية بالحيوان وتربيته والنبات وتغذيته وهكذا وهناك فروق فردية معتبرة في نماء الأطفال جسمياً وحركياً في هذه المرحلة، وكذلك فروق ترجع إلى الثقافات المختلفة ومدى العناية بالتغذية والصحة البيئية ، وقد أثبتت بعض الدراسات ذلك[١] . ولكن أكثر الأطفال يشتركون في الميل إلى اللعب والحركة ، من جري وقفز وتسلق و مسابقة ومطارحة ومصارعة وسباحة ورماية وركوب خيل ونحوها ، وقد عُني المنهج الإسلامي بنفسية الطفل وقدراته من هذا الجانب أيما عناية ، وأخذت التطبيقات لهذا في مجال الحركة ، والترويح ، وإتقان المهارات حيزاً كبيراً وخصوصاً في هذه المرحلة . وقد تناول هذا بتفصيل وتوثيق واف محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب[٢] عندما تحدث عن أنواع الألعاب التي لعبها أطفال مميزون على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد صحابته ، وبين أن منها ماهو عام للبنين والبنات ومنها ما هو خاص بأحدهما ، ومن تلك اللعب بالأرجوحة والرمي ، والسباحة ، واقتناء الحيوان ، والعدو وغيرها.

لكن المنهج الإسلامي لايكتفي بمجرد اللعب للترويح والتنفيس ، بل هو يوظف

---

(١) انظر محمد عماد الدين إسماعيل ، الطفل من الحمل إلى الرشد (الجزء الثاني : الصبي والمراهق) ص ٣٢ .

(٢) انظر محمد بن عبد الوهاب ، أهداف التربية الإسلامية للمرحلة الابتدائية ص ٤٧٦ ـ ٤٨٧ .

اللعب والحركة لاكتساب المهارات ، وتقوية الجسم واستكمال النمو ، والاستعداد للجهاد والمجاهدة ، وتحمل الأعباء الاجتماعية والدعوية . وينظر بعض المفكرين المسلمين كالغزالي وابن مسكويه وغيرهم إلى أن ممارسة الطفل لألعابه المحببة يبعث النشاط ويزكي النفس ، وأن اللعب وسيلة يعبر بها عن فطرته ، وصمام أمن ينفذ منه مايتراكم عليه من متاعب [1] . فالميول الحركية عند هؤلاء الأطفال حالة فطرية يعيشها الناشيء ويحس بها ، وعلى من يرعاه ويربيه أن يراعي هذا الميول وأنشطته المختلفة ، وأن يتيح للأطفال الحركة والنشاط بالقدر الكافي والمناسب .

وقد كان رسول الله ﷺ يوجه إلى ذلك ، ويفعل بعضه ، ويمازح الصغار ويلاعبهم ويدخل السرور إلى نفوسهم ، ومعروف أن الإسلام حث الأولاد والشباب على السباحة والرماية والجري وركوب الخيل بل والمصارعة .

ومن مبررات الميول الحركية وبروزها عند الأطفال عمليات النمو السريعة في الجسم وحاجته إلى التجديد والبناء ، فالطاقة فيه زاخرة ، والحيوية - بحكمة الخالق عز وجل - في أشدها ، والخلايا تزداد وتتجدد ، والأجهزة المختلفة تتعود على أداء مهماتها ، والأعضاء تحتاج للتدريب على وظائفها منفردة أو بالتعاون مع بعضها ، ومن ثم فالحركة واللعب ومهاراته المختلفة ، مثل المشي والجري والتسلق والروغان والاختفاء ، ومثل الشد والمسك والجذب والدفع والرمي والصد ، ومثل النزول والصعود ، ومثل العوم والغطس .. إلخ أنشطة مهمة لدفع الطفل قدماً للإتقان ، وللتمكن من أعماله المستقبلية عادية كانت أم خاصة .

---

(١) انظر محمد عوده و محمد رفقي عيسى ، الطفولة والصبا رؤية إسلامية في النمو الإنساني ، ص ٢٦٦ .

ب ـ العامل البيئي

يخرج الطفل المميز من الوسط المحدود القريب المتمثل بالوالدين إلى الوسط الواسع في المجتمع ، حيث يشرع في الذهاب للمدرسة ، والخروج للشارع ، والاحتكاك بالزملاء والرفقاء . وهناك يواجه معاملة مختلفة في طبيعتها وفي وظيفتها . وتتعدد النماذج التي يراها أمامه ، وتكثر الخيارات ، ويمارس حرية أكثر في هذا الاتجاه ، ويتحكم في هذه الحرية واختياراتها أنواع القدوة المتاحة من وجه ، والميل والرغبات لدى الطفل المميز من وجه آخر ، فميوله الحركية ، ولعبه يجعله يعجب بالرياضيين ، ونجوم الكرة ويقلدهم ، لأنه هو المتاح وهو النموذج المعزَّز ، ولو أتيح له رؤية الجهاد والمجاهدين وأبطال المعارك لأعجب بهم . وهكذا إذا شاع في البيئة تمجيد الفردية ، والإنجاز الفردي ، والتركيز على المكتسبات الخاصة ، مال الطفل للفردية ، وأعجب بالنماذج العصامية الفردية ، أما إذا شاع التعاون ، والإيجابية ، والمشاركة ، والإيثار ، مال للتعاون والأخوة ، وسعى لإنجاز مهمته ضمن المجموعة .

وهذا يبدي لنا أهمية القدوة والسلوكيات الاجتماعية ، أو مايسميه (Bandura) وزملاؤه بالتعلم الاجتماعي ، حيث يكتسب المتعلم السلوك بالملاحظة ، وخصوصاً بدايات السلوك ، أو وضع المتعلم في بداية الطريق ، وذلك حين يحرص المربي على إبراز النموذج ؛ وعرضه على المتعلم لاستجرار الاستجابة المبدئية ، من ذاته وبرغبته تقليداً للنموذج ، ثم يتم بعد ذلك توجيه تلك الاستجابة وتطويرها والزيادة عليها عن طريق الممارسة والتصحيح [١] . يضاف لذلك أن التعلم بالملاحظة في هذه

---

(١) انظر Hilgard and Bower , Theories of Learning , P 604 .

المرحلة تعلم بسيط ، لاتعقيد فيه ولاصعوبة ، فهناك تناسب بين التعلم الاجتماعي ومرحلة التمييز من حيث السهولة والتبسيط ، بخلاف الطرق الأخرى والمراحل النمائية الأخرى .

وفي المنهج الإسلامي عناية فائقة بالتعليم الاجتماعي، حيث يتعلم الأطفال وخصوصاً المميزون من خلال معيشتهم ورؤيتهم لسلوك الكبار ، فالأسوة الحسنة مصطلح قرآني ، وتعني أن يسلك المربي سلوكاً صحيحاً وفق هدى الكتاب والسنة ليكون مثالاً للتأثير في الناشئة من خلال أعماله ، وهيئته ، وسماته ، وطريقة تعامله وأن يخلو هذا السلوك من التناقض المربك للمتعلم . قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنو لِمَ تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾(١).

ولاينفك المربي بحال عن أن يكون قدوة للمتلقين عنه يؤثر عليهم بسلوكه وعمله ولو لم يوجههم بقوله . وقد سعى المنهج الإسلامي للتأثير الاجتماعي بالقدوة الحسنة عن طريق عدد من المبادئ منها :

١ ـ مبدأ التطابق بين القول والفعل :

فالقدوة إنما تؤثر ، وتحدث نتائجها الحسنة لأنها أفعال وصفات تعقب الأقوال والمبادئ التي ينادي بها المربي ، فهو عندما يبادر إلى الصلاة والزكاة والصيام وأنواع العبادات ، وإلى الصلة والبر والإحسان ، وإلى النظام والنظافة والتعاون ، ويبادر إلى الامتناع عن الربا والزنا والخمر والتدخين والفجور ، والمرأة المربية عندما تبادر إلى الحجاب والستر والطاعة وإلى حسن المشي والصمت وغض البصر وتجنب الغيبة والنميمة .. إلخ ، فإن المتلقين الملاحظين يحذون حذوهم ، لأنهم

(١) سورة الصف : ٢ ، ٣ .

يجدون في تلك الشخصيات سمات ثابتة ، وصفات لاحقة تتلو أقوالهم ونصائحهم . والأمر يكون أشد تأثيراً إذا كان التطبيق صعباً ومع ذلك يتم ، أو الوسط مخذّلاً ومع ذلك يُلتزم بالمبدأ ، فإن النشء يكون أكثر قناعة واتباعاً للمربين، ومن أمثلة التطبيق في الأجواء الصعبة :

* الصلاة في الخوف والحرب .
* الصلاة في السفر .
* الالتزام بالحجاب في أجواء التبرج والسفور .
* الصدقة والبذل مع ضيق ذات اليد .

ومن أعظم مايصد الناشئة ـ وخصوصاً بعد التمييز ـ عن الالتزام في مسالكهم وأخلاقهم ، مخالفة الأفعال للأقوال في سلوك المربين ، وقد أشرنا إلى مقت الله لذلك في الكتاب العزيز . وقال تعالى في آيات أخرى ذماً لليهود لاتصافهم بالتناقض :

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ۞ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ (١) .

وهو أمر ينافي الذوق السليم وينافي المعروف من فطرة الناس ، قال الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذافعلت عظيم

(١) سورة البقرة : ٤٣ .

٢ـ مبدأ عرض النموذج :

ويكون ذلك بالنفس حيث يعرض المربي التوجيه الذي يريده والنصح من خلال سلوكه وعمله ، فهو يأمرهم بالالتزام بوقت الصلاة ، ويظهره في سلوكه ، ويأمرهم بتلاوة القرآن ، ويظهر هذا في سلوكه ، وتأمر الأم أو المعلمة البنات بالحشمة والتستر ، ويظهر هذا في سلوكها .

فالمربي هنا هو النموذج الذي يقتدى به .

وقد كان رسول الله ﷺ مثالاً يحتذى ، وقدوة ، يتعلم منه ، قال تعالى : **﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾** (١) .

وكان يقول ﷺ : **« صلوا كما رأيتموني أصلي »** (٢) .

وقد كان رسول ﷺ يفعل الشيء فيتبعه الناس ، ويفعلون مثل فعله . فهو إذا أراد من الناس أن يتصدقوا بدأ فتصدق ، فتبعه الناس ، فتصدقوا ، وإذا أراد أن يبني المسجد بدأ يبني ، فتبعوه ، وبنوا معه ، وإذا أراد أن يحفر الخندق (لايقول لهم احفروا فقط) بل يحفر ، ويحفرون معه ، وربما ربط على بطنه حجرين من الجوع ، والناس يربطون حجراً واحداً ، وإذا أراد الرسول ﷺ أن يجاهد كان في المقدمة ، وهكذا في كافة النصائح والتوجيهات هو أول المنفذين ، بل هو الذي يأخذ بالقسط الأوفر في الصدقة والصلاة والصوم والجهاد والصبر والصلة .. إلخ .

ويكون عرض النموذج بالقصة ، حيث يعرض المربون والآباء والأمهات

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٢) أخرجه البخاري .

السلوك المطلوب ، والعمل المراد من خلال قصة يقصونها ، أو حدث فيه عبرة يسردونه .

ومن هذا القصص القرآني الكثير ، فهو منهل ثرّ لاينضب للمربين يمكن أن يعودوا إليه في كل حين ، ويرجعوا إلى تفسيره ، فيجدون فيه القصص التي تحتوي على نماذج مؤثرة في أبواب الثبات على الإيمان ، والإخلاص في العمل ، والصبر ، والصدق ، وعواقبهما الحميدة ، وحسن التعامل ، والجهاد .

وهناك نماذج قصصية تعرض سقوط الإنسان وهلاكه بسبب الكفر ، والفتنة بالمال والولد ، والشهوات ، والكبر ، مثل قصص فرعون وقارون وصاحب الجنتين .. إلخ .

ومن هذا القبيل القصص في السنة ، حيث كان رسول الله ﷺ يعلم أهله وأصحابه وأمته عن طريق عرض النماذج من خلال القصة المؤثرة التي تشد السامعين ، وتيقظ الغافلين ، وترهب المعاندين ، وقصص الرسول ﷺ كثيرة ، منها القصير ومنها الطويل ، منها ماهو لغرس العقيدة ، ومنها ماهو لبناء الخلق الفاضل ، ومنها ماهو للتحذير من ارتكاب المحرمات ، ومن ذلك قصة الغلام ، وقصة أصحاب الغار ، وقصة الرجل التائب .

ومن هذا استخدام القصص المطبوعة في كتب أو المسرودة في أشرطة للأطفال وللشباب ، ومنها ما يمكن أن يقصه الآباء والأمهات والمعلمون عن سابق حياتهم وعن غيرهم مما فيه عبرة وعظة .

ومما يؤسف ويحزن أن أعداء الإسلام استغلوا هذا الأسلوب ، فغزوا عقول الأطفال ومشاعرهم باستخدام النموذج الساقط في الأفلام والمسرحيات والتمثيليات ، وبالروايات المطبوعة حيث يقرأها الشباب والأطفال في حلّهم

وترحالهم ، بل إن كثيراً منهم لايتعلمون أخلاقهم ، ويختارون نماذجهم المفضلة وأسلوب حياتهم ولباسهم .. إلا عن هذا الطريق .

ويكون عرض النموذج باستخدام السيرة والترجمة ، حيث يعرض المربي النماذج التاريخية الرائعة للمسلمين ، فيسرد حياتهم ، ومواقفهم ، وجهادهم ، وتضحياتهم ، وأبرز أخلاقهم ، وخصوصاً مايلفت النظر ، ويعطي العبرة .

ومن هذه السير سير كبار الصحابة مثل : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والعشرة المبشرين بالجنة ، وغيرهم .

ومنها سير شباب الصحابة مثل : مصعب بن عمير ، والبراء بن عازب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأسامة بن زيد ، وعلي بن أبي طالب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة ، وغيرهم .

ومنها سير التابعين مثل : عمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والأئمة الأربعة ، وغير ذلك كثير .

وفي هذه السير نماذج للكفاح ، والصدق ، والصبر ، والجهاد وطلب العلم والإيثار ، والدعوة والشجاعة ، والورع .. إلخ .

٣ ـ مبدأ التكرار :

وذلك بأن يكرر المربي الأمر أو الفعل أو البرنامج الذي يريد تعليمه للأطفال ، فلا يكفي رؤيتهم له مرة واحدة ، أو مرتين أو ثلاثاً ، بل يجب أن يكون التكرار بحسب الأهمية والصعوبة للشيء المكرر ، فربما احتاج المربي للتكرار عشرات المرات حتى يحفظ عنه أو يؤخذ منه .

ومن هدي رسول الله ﷺ أنه يكرر القول أو الفعل في وقت واحد أو في أوقات متفرقة ـ وهو مايسمى بالتعليم الموزع ـ حتى يُتعلم منه ويطبق .

ومن هذا تكرار القصص في القرآن ، وتكرار الأوامر والنواهي ، حتى إن الأمر بالصلاة أو التوجيه إليها ليرد عشرات المرات .

وكما أن هذا المبدأ يؤثر في غرس الخير ، وفي بناء الشخصية المسلمة السوية ، فإنه يؤثر في غرس السوء ، وفي بناء شخصية منحرفة ضالة ، قال تعالى : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ [١] .

قال المفسرون : هو الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب .

وقال بكر بن عبد الله : إذا العبد أذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة ، ثم إذا أذنب ثانياً صار كذلك ، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل ، أو كالغربال، لايعي خيراً ، ولايثبت فيه صلاح[٢] . فالتكرار للمعصية أو للمعاصي ، يؤدي لهذا الران ، الذي يعطل القلب عن الشعور باللوم ، الإحساس بالذنب .

---

(١) سورة المطففين : ١٤ .

(٢) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٩/١٩ ، ٢٦٠ .

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

جـ ـ العامل الغائي

العمل بالأهداف ، أو الإدارة بالأهداف أحد النماذج المستعملة في التأثير والتغيير ، وفي مضاعفة الإنتاج ، ويرتكز هذا على وضوح الأهداف المراد تحقيقها مرحلية كانت أم نهائية ، وقد عمل المنهج الإسلامي في تربية الناس ـ من خلال الوسط الاجتماعي ـ على ربطهم بأهداف عامة وخاصة ، وواجههم بتلك الأهداف في أحوالهم المختلفة ، وتقلباتهم اليومية ، وأنشطتهم المتنوعة ، فما من تحرك أو نشاط إلا ويجد له الفرد غاية تتحقق به ، وفق المنهج الشامل لحياة المسلم . عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** » (١) .

ومفهوم الإيمان الواسع يستوعب أنواع عمل الفرد المختلفة من الاعتقاد والقول والعمل ، ويحوله إلى عملية تحصيل من خلالها يكتسب المتعلم أكبر قدر من الإيمان ، المؤدي للفوز والفلاح ، فللإيمان مفهوم ديناميكي نمائي ينعكس على المجتمع في حيويته ، واهتماماته ، وطبيعة تحركاته ، يقول الرسول ﷺ : « **الإيمان بضع وستون شعبة ـ وفي رواية بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله؛ وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » (٢) .

يقول مالك بن دينار : « الإيمان يبدو في القلب ضعيفاً كالبقلة ، فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة وأماط عنه الدغل ومايضعفه

---

(١) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، رياض الصالحين ، ص ٥٠ حديث رقم (٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٣/٢ .

ويوهنه ، أوشك أن ينمو ويزداد ويصير أمثال الجبال »[١] وقيل لبعض السلف : « يزداد الإيمان وينقص ؟ قال : نعم يزداد حتى يصير أمثال الجبال ، وينقص حتى يصير أمثال الهباء »[٢]. فالآباء والأمهات والمعلمون والمربون على اختلافهم تتأثر مسالكهم وحياتهم بهذا المفهوم الفاعل للإيمان ، مما ينعكس على الناشئة الذين يتربون على يديهم ، والأطفال في مرحلة التمييز ليسوا في غفلة عن السلوك المسيطر على حياة الكبار وشئونهم ، والذي تتحكم فيه غايات معينة ، وأولويات محددة ، ويتكون من كل ذلك همُ المجتمع وشغله ، وهدفه وغايته .

يضاف لذلك دافع المنافسة ، الذي يوجهه المنهج الإسلامي للأهداف العليا مرحلية كانت أم نهائية ، قال تعالى :

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾[٣] .

وقال تعالى : **﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لايشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾**[٤] .

لقد كان المجتمع المسلم الذي يحتضن هؤلاء الناشئة ، يتبارى بأفراده وطبقاته في الأعمال الصالحة والخيرات ، وفي تحقيق الأهداف السامية ، والغايات النبيلة .

---

(١) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية ، الإيمان ، ص ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) سورة الحديد : ٢١ .

(٤) سورة المؤمنون : ٥٧ - ٦١ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . فقال : **وما ذاك ؟** قالوا : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولانتصدق ، ويعتقون ولانعتق ، فقال رسول الله ﷺ : « **أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولايكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة** » .

قال الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه : فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** » (١) .

وقد حوّل المنهج الإسلامي هذا التنافس من حسد بغيض ، يقوض المجتمع ، ويؤدي إلى الطبقية والتناحر ، إلى حسد غبطة ، فيه استثمار للخصائص الشخصية، والفروق الفردية ، موروثة كانت أم مكتسبة ، فكان المجتمع وسطاً صحياً تتبارى فيه قدرات الناشئة ومواهبهم للوصول إلى تحقيق الأغراض النبيلة والدرجات العالية ، ولكي تستثمر الإمكانات والطاقات بأكبر قدر ممكن .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله**

---

(١) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٥/ ٩٢ ، ٩٣ . والدثور : جمع دثر وهو المال الكثير . والمنافسة التي تحصل بين الأفراد أو بين الفئات ، وهي هنا بين الغني الشاكر والفقير الصابر يجب أن تكون ضمن الضوابط الشرعية ، على أن في تفضيل أحدهما على الآخر خلاف مشهور بين السلف والخلف ، وهذا الحديث دليل لمن فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر والله أعلم .

حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها » (١) .

وقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب كيف أن الرسول ﷺ كان يوجه المتعلمين من الكبار والناشئة حسب خصائصهم ومميزاتهم ، ويحضّهم على استثمارها واغتنامها قبل فواتها ، أو ذبولها ، أو الانشغال عنها بغيرها. وإنما نركز هنا على أن المنهج الإسلامي عمل لذلك من خلال الوسط والبيئة الموجهة لتحقيق أهداف وغايات واضحة ومحددة ، من أهمها تحقيق مفهوم الإيمان الشامل ، والعمل للحصول على رضا الله والجنة والنجاة من غضبه والنار ، والانصهار في وسط اجتماعي كل حركته موجهة ومهدَّفة بما في ذلك الحركة العادية مادامت منضبطة منسجمة مع النظام الكلي ذي الوجهة المحددة .

عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً : قالوا : يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم قال : **« أوليس قد جعل لكم ماتصدقون به : إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة »** قالوا : يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال **أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر »** (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، أنظر النووي ، رياض الصالحين ، ص ٢٤٨ رقم (٥٧٦) . و(هلكته) أي إنفاقه . و (في الحق) أي في القربات والطاعات .

(٢) أخرجه مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٧/٩١ ، ٩٢ . وقد أشرنا إلى هذا الحديث برواية أخرى في موضع سابق عند الحديث عن عامل المنافسة ، وأثره في تنشيط السلوك ، وتحقيق الأهداف ، وإنما ذكرناه هنا إشارة إلى دخول كثير من الأعمال في التحصيل ومنها الأعمال العادية .

النمو الخلقي

يمكن أن نقسم النمو الخلقي من خلال النظر في الأدلة والشواهد في المنهج النفسي والتربوي الإسلامي إلى ثلاث مراحل رئيسة ، ثم تتفاوت درجات الأفراد من حيث التمثل الخلقي داخل كل مرحلة بحسب التحصيل السلوكي . فالمنهج الإسلامي تارة يلزم الأفراد ويأمرهم وينهاهم ويحاسبهم ، ويتعامل مع ظاهرهم ، وتارة يناقشهم ويحاور عقولهم ويستثير ملكاتهم ، ويؤصل القناعات والاتجاهات في نفوسهم ، وتارة ثالثة يخاطب أعماقهم وضمائرهم ، ويبني الرقابة الذاتية لديهم، ونفصّل هذه المراحل في الآتي :

١ ـ المرحلة الظاهرية الانقيادية :

وتقع هذه المرحلة في سن العاشرة وماقبلها حيث تستغرق فترة ماقبل المدرسة الابتدائية وجزءاً من المرحلة الابتدائية . وهذا التحديد الزمني تحديد تقريبي لوجود الفروق الفردية ولتداخل وتفاعل المراحل الخلقية مع بعضها بحيث لايمكن الفصل الحدي بين مرحلة وأخرى .

وفي هذه المرحلة ، يتجه الفرد إلى السلوك الشكلي الذي لاعمق فيه ، ويكون متأثراً بالعائدات المادية ، والهيئات ، والمظاهر ، ويكون تثبيت السلوك بطريقة تكوين العادة ، والتأديب بالثواب والعقاب ، والتلقين ، والتحفيظ ، والتأثير العاطفي المادي . ولايلتزم الفرد بالأخلاق المعلّمة إلتزاماً تاماً ، بل إنه يغفل وينسى ويتراخى وخصوصاً في غفلة الرقيب .

ومن الشواهد القولية والتطبيقية على هذه المرحلة :

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله » (١) .

وفي هذا تدريب شكلي لفظي قد لايفقه الصبي معناه وأبعاده .

٢ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » (٢) .

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قال لصبي تعال هاك أعطك ولم يعطه فهي كذبة » (٣) .

وهذا الحديث يشير إلى ما يوقعه الأسلوب التربوي الكاذب من اضطراب سلوكي ، لايدرك الطفل أبعاده ، وهذا الاضطراب يتمثل في التناقض الواقع بين القول والفعل ، مما يعوده على الكذب بشكل آلي ، ولو كان المربي ذا مقصد حسن.

٤ ـ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » (٤) .

٥ ـ عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : « علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولايقضى عليك ، وإنه لايذلُّ من واليت تباركت ربنا وتعاليت» (٥).

---

(١) أخرجه الحاكم انظر ، محمد نور سويد ص ٣٥٠ .

(٢) أخرجه أبو داود ، وقد مرّ الحديث عند الكلام عن مرحلة التمييز .

(٣) أخرجه أحمد ، انظر المسند : ٤٥٢/٢ .

(٤) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٨٣/٦ رقم (٥٠١٧) .

(٥) أخرجه أبو داود ، انظر سنن أبي داود : ١٣٣/٢ ، ١٣٤ ، رقم (١٤٢٥) ، وقد أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن .

وهناك شواهد كثيرة ـ غير ماذكرنا ـ تشير إلى أسلوب التأديب والتلقين والتعويد ، دون التعويل الكبير على الإدراك الشمولي ، والتفكير المجرد ، مما لايملكه الطفل بحكم مرحلته ، وقد لايتمثله الكبير بسبب التردد وفقد القبول أوضعفه .

وفي هذه المرحلة يقوم المربي بتدريس الأخلاق والعواطف ، قولياً بالتلقين ، وتأديبياً بحمل الطفل على الأخلاق الحميدة والاتجاهات السديدة ، وعملياً بإعطاء القدوة وضرب المثل في مجال الأخلاق والعواطف والاتجاهات . وليعلم المربي أنه لايستطيع إفهام الأخلاق والاتجاهات للصغار ، كما هي في الواقع ، وكما يفهمها الكبار لأن مداركهم دون ذلك وملكاتهم في الاستيعاب بعد لم تنضج ولم تكتمل، فهم لايدركون معاني الإخلاص والصلاح والصدق والإيثار والحلم والعدل ، وأضدادها ؛ كما يدركها الكبار ، وإن كان من الممكن تلقينهم إياها وتعويدهم عليها في سلوكهم الظاهر .

٢ ـ المرحلة الاقتناعية الانقيادية :

وهذه المرحلة تبدأ من سن الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة وما بعدها ، وهي نستغرق نهايات المدرسة الابتدائية والمرحلة المتوسطة وقد تأخذ جزءاً من المدرسة الثانوية . وهذا التحديد يقع في الغالب ولا بد من مراعاة الفروق الفردية ، والفروق في التنشئة والثقافة .

وفي هذه المرحلة يتأصل السلوك ، ويكتسب بعداً باطناً ، وجذوراً داخلية ، وتبدأ مرحلة الوعي الحقيقي بالمعاني الخلقية ، والتعليلات النفسية والاجتماعية للضوابط والأخلاق والاتجاهات ، ويبدأ الفرد بالربط بين المنحى الخلقي والعاطفي والحكمة منه ، وعند اكتمال النضج في هذه المرحلة ، يبدأ الفرد بالتخفف من ثقلة الاتجاه المادي ، والعائدات القريبة من الضبط والالتزام الخلقي ، ويشرع في التفكير بقيمة الأشياء في ذاتها ، وبآثارها البعيدة ، وعواقبها المعنوية . ويكون تثبيت السلوك وتأكيده عن طريق الحوار والمناقشة العقلية ، وعرض الأخلاق والأنظمة بمبرراتها وأبعادها . ويكون الإقتناع مقصداً أساساً في هذه المرحلة حيث تكتمل الصورة الخلقية التي بدأت في المرحلة السابقة ، فبعد أن لُقّن الطفل وعوّد على أنماط وسلوكات معينة ، يُعطى في هذه المرحلة أبعادها المعنوية وخلفياتها المنطقية والعليّة. وفي هذه المرحلة يكون التفكير ناضجاً والتجريد ممكناً مما يهيء لاستخدام الرموز والتراكيب النظامية والخلقية في تفهيم الفرد ، وتعميق التزامه بالنظام والأخلاق .

وبسبب الاقتناع ، والرضا الداخلي ، والقدرة عليهما ، تكون مسؤلية الإلتزام والانضباط داخلية ، ولاتقتصر المراقبة على الرقيب الخارجي . وأثناء هذه المرحلة ، يدرك الطفل حد البلوغ وتكتمل قواه العضوية ، ومداركه العقلية . وفي هذه المرحلة يقع التكليف الشرعي على الفرد ، ويصير مخاطباً بالأوامر والنواهي

والتوجيهات ومحاسباً عليها ، وفق النظام الخلقي والسلوكي في الإسلام .

ومن الشواهد القولية والتطبيقية على هذه المرحلة :

١ - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « **رفع القلم عن ثلاثة ، عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المعتوه حتى يبرأ** » (١) .

٢ - وقال تعالى : ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾ (٢) .

فقد عُلّق الحكم ببلوغ الحلم وهو إنزال الماء الدافق ، ويعني النضج الجنسي والذي يصاحبه النضج والاكتمال في الجوانب الأخرى .

٣ - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني » (٣) .

وفي هذه الشواهد إشارة إلى سن التكليف وتحمل المسؤولية لدى المراهق لما توفرّ فيه من القدرات والإمكانات .

٤ - وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : « أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله : أئذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه . فقال : أدنه. فدنا منه قريباً ، قال : فجلس ، قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله

---

(١) أخرجه أبو داود : سنن أبي داود ٤/٥٦٠ ، وأخرجه ابن ماجه ، وفي المستدرك على الصحيحين أيضاً ، انظر المرجع نفسه وانظر مقداد يالجن : علم النفس التربوي في الإسلام ، ص ١١٥ .

(٢) سورة النور : ٥٩ .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر : فتح الباري ٥/٣٢٧ .

فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أفتحبه لأختك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه ، وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » [١] .

وفي هذا الحديث الأسلوب الحواري الذي يستخدم الإقناع والمخاطبة بالقياس والتمثيل ، وخصوصاً في مواجهة غرائز المراهق ودوافعه الجديدة والتي تبرز في هذه المرحلة .

٥ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ ، وكنت غلاماً شاباً ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، فرأيت في النوم ، كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناسٌ قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار . قال : فلقينا ملك آخر قال لي : لم ترع .

فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال : نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل . فكان بعدُ لاينام من الليل إلا قليلاً » [٢] .

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٥٦ ، ٢٥٧ ورواه الطبراني انظر محمد نور سويد : التربية النبوية للطفل ص ٣٦٢ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٣/٩ رقم (١١٢٢) .

وتشير هذه الحادثة والتوجيه النبوي فيها إلى تطلعات الشاب ووعيه وانفعالاته المميزة في هذه المرحلة ، وإلى العناية النبوية بالتوجيه العبادي والوجداني لتلك الخصائص ، كما تشير إلى دوافع الشاب البعيدة المرتبطة بالآخرة ، واستثمار المنهج الإسلامي لها ؛ مما يسهم في بناء دافعية داخلية ، تساعد على الضبط الخلقي في هذه المرحلة .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

٣ ـ مرحلة الرقابة الذاتية :

وتقع هذه المرحلة في نهاية المرحلة السابقة ، أي في الخامسة عشرة ومابعدها ، وتوافق المرحلة الثانوية والجامعية ومابعدهما ، حيث تكون استعدادات المراهق العقلية والنفسية في حالة تكامل وقوة ووعي ؛ فإذا استثمرت هذه الاستعدادات أمكن بناء المراقبة الذاتية في شخصية الفرد من وقت مبكر .

وفي هذه المرحلة يكون الشعور بأهمية الالتزم الخلقي أكثر عمقاً ، وتكتسب المبادئ الخلقية قيمة عظيمة ، ومعنى بعيداً لدى الفرد ، ويشعر بحساسية مرهفة نحو سلوكه وتصرفاته وعلاقاته من حيث أهدافها وضوابطها وآثارها . وأثناء هذه المرحلة تكون الممارسات محفوزة بدوافع معنوية بعيدة ، تشتمل على تصور واستحضار لعظمة الخالق وإطلاعه وعلمه وقربه وحفظه، ويكون رضا الله وطاعته من الغايات الأساسية الفاعلة والمؤثرة في اتجاهات الفرد الخلقية والسلوكية .

أما الشعور بالمسؤولية فيكون ذاتياً ؛ فالمراقب الذاتي الداخلي المرتبط بالوعي بالنظام الخلقي ، هو الذي يعمل على محاسبة النفس ومراقبتها وضبطها ، فلايخطو الفرد خطوة صغيرة أو كبيرة ، ولايسلك مسلكاً بسيطاً أو عظيماً إلا بعد إذن ذلك الرقيب .

وتثبيت السلوك وتأصيله للوصول إلى هذه المرحلة يتم بأساليب متعددة أهمها : إظهار ضعف المخلوق وجهله ، وقلة حيلته ، وكثرة زلاّته ، وتعدد أعدائه ، وقرب أجله ، وقصر عمره ، وإظهار قوة الخالق ، وإحاطته الشاملة ، وسعة علمه واطلاعه ، ومعيته لخلقه ، ومحاسبته لهم . وربط المتربي بالأجواء المستهدية بهذه المعاني المتأثرة بها علماً وعملاً .

وهذه المرحلة هي أرفع المراحل وأشملها وأعمقها ويتبوأ الفرد فيها مرتبة

عالية ، ويكون مطمئناً في حياته ، وقدوة في سلوكه ، ومحكاً في اتجاهاته ، ومؤثراً بأوامره وتوجيهاته ، وعميقاً في مواقفه ونظراته .

ومن الشواهد التطبيقية على هذا المستوى :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **وما تكون في شأن وماتتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين** ﴾ (١) .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ (٢) .

٣ ـ وعن عمر بن الخطاب رض الله عنه ـ في حديث جبريل المشهور ـ أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٣) .

وقد جاء هذا الحديث في سياق تعليم الصحابة ، وتعليم الأمة لأمور كثيرة ومنها الإحسان وهو أعلى مراتب الدين .

٤ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » (٤) .

٥ ـ ويُروى أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ أوصاه لما بعثه

---

(١) سورة يونس : ٦١ .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) أخرجه مسلم ، انظر النووي ، صحيح مسلم بشرحه النووي : ١/١٥٧،١٥٨ .

(٤) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٦/١٢٢ رقم (٢٠٥٣) .

إلى اليمن فقال : « **استحي من الله كما تستحي من رجل ذا هيبة من أهلك** » [١] .
وقد امتثل معاذ رضي الله عنه ماوصاه به النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر قد بعثه على عمل ، فقدم وليس معه شيء ، فعاتبته امرأته ، فقال : كان معي ضاغط، يعني من يضيق عليّ ويمنعني من أخذ شيء ، وإنما أراد معاذ ربه عزّ وجلّ ، فظنت امرأته أن عمر بعث معه رقيباً ، فقامت تشكوه إلى الناس .

٦ ـ وفي حديث حارثة المشهور :

« أن النبي ﷺ قال له : ياحارثة كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : انظر ماتقول ، فإن لكل قول حقيقة . قال : يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني انظر أهل الجنة في الجنة كيف يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعاورون فيها . قال : ابصرت فالزم . عبد نور الله الإيمان في قلبه » [٢] .

٧ ـ ورُوي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وصى رجلاً قال له : « استحي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك لايفارقانك » [٣] .

ومن الآثار الداخلة في الجانب العملي ، وقد اقتبسناها من كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمة الله عليه :

٨ ـ سئل الجنيد رحمه الله : بما يستعان به على غضّ البصر ، قال : بعلمك أن نظر الله إليك اسبق إلى ماتنظره .

٩ ـ وكان الإمام أحمد بن حنبل ينشد :

---

(١) أخرجه البزار ، انظر ابن رجب : جامع العلوم والحكم ص ١٣٦ .
(٢) أنظر ابن رجب : جامع العلوم والحكم ص ٣١ .
(٣) المرجع السابق ص ٣١ ، ٣٢ .

إذا ماخلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلـوت ولكن قـل عليّ رقيـب

ولاتحسبن الله يغفـــل ساعـــة

ولا أن مايخفـى عليـه يغيـب

١٠ ـ وقد راود بعضهم أعرابية عن نفسها وقال لها : مايرانا إلا الكواكب . قالت : أين مكوكبها ؟

ومما يجدر ذكره ـ هنا ـ أن الأعرابية تقع في المستوى الخلقي الثالث ، وهو مستوى الرقابة الذاتية ، بينما يبدو الرجل الذي راودها يقع في المستوى الأول ، وهو المستوى الانقيادي الظاهري ، الذي يتأثر بالسلطة والرقابة الخارجية من الناس .

١١ ـ وعن مالك بن دينار ، قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة .. فانحدر بنا راع من الجبل ، فقال له عمر ممتحناً : ياراعي بعني شاة من هذه الغنم . فقال : إني مملوك . فقال عمر : قل لسيدك أكلها الذئب . فقال الراعي : فأين الله ؟ فبكي عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه . وقال له أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك في الآخرة [1] .

والشواهد لهذا المستوى كثيرة جداً وهي تدل على حرص المنهج الإسلامي على تأسيس هذه المرتبة وتوصيل الأفراد إليها ، كما أنها تشير إلى أن المسألة مسألة عمق شعوري وحساسية مرهفة لا مسألة علم وتصور فقط .

---

(١) انظر عبد الله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام : ١/١٨٦ .

ولايعني تحديدنا لهذه المرحلة بالخامسة عشرة ومابعدها أن كل الأفراد يصلون إليها ؛ فتوجد عندهم الرقابة الذاتية على سلوكهم ، والحساسية المرهفة نحو أعمالهم ، وإنما نعني أن الاستعدادات النفسية والعقلية قابلة للوصول إلى هذا المستوى ؛ إذا حظيت بالتوجيه الصحيح ، والبيئة التربوية المزودة بما يحقق ذلك ، وإلا فإن الفرد قد يصل إلى سن العشرين أو الثلاثين أو ما بعد ذلك ويبقى سلوكه مطبوعاً بالسمات الخلقية للمرحلة الثانية ، ذات الصبغة الاقتناعية المحدودة ، أو المرحلة الأولى ، ذات الصبغة الانقيادية المادية .

تقويم ومقارنة :

لقد تمّ استقصاء هذه المراحل وحدودها الزمنية وأمثلتها من النصوص والشواهد الشرعية . هذه النصوص والشواهد منها ماياشر وصف المرحلة وهذا قليل ، ومنها مايصف كيفية بناء الوجدان والأخلاق وأنواع التفاعل التربوي في التنمية الخلقية في كل مرحلة من المراحل ، وهو الأكثر ، وهذا ينبه إلى تفضيل المنهج الإسلامي التعامل مع القضايا الخلقية والسلوكية تعاملاً عملياً تطبيقياً ، لايغرق في التنظير ، ويستطيع الباحث أن يعرف المراحل الخلقية من خلال السياق التربوي ؛ فيجمع بين التطبيقات التربوية وفهم أسسها وفلسفتها .

والمنحى الذي يغلب على المدارس التي تناولت الظاهرة الخلقية في القديم والحديث ، من الفلاسفة والمناطقة والمتكلمة وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم ، هو المنحى الفلسفي ، حيث تبحث في الجانب التنظيري والتعليلي دون الاهتمام بالوجوه التطبيقية والتربوية . ولعل من أهم أسباب تفرُّد المدرسة الإسلامية بهذا المنهج هو كون النظام الخلقي في الإسلام نظاماً قائماً ومحدداً ، مصدره خالق الإنسان ، الذي له العلم الشامل المطلق وله السلطة المهيمنة ، والحكمة الكاملة ، وليس نظاماً نسبياً يختلف من بلد لبلد ، ومن مجتمع لآخر ، ومن زمن إلى زمن ،

وتحدده أهواء البشر ونظراتهم . ويركز المنهج الإسلامي على كيفيات نشر هذا النظام وتنميته في المتعلم عبر المجالات المختلفة بصورة أفقية ، وكيفيات تعميق وتأصيل هذا النظام عبر المراحل المتتابعة بصورة رأسية ، وتلك هي المجالات والمراحل التي تتفاوت فيها قدرات المربين ، وتختلف بسببه مستويات المتربين .

لقد تعرضنا في حديثنا عن النمو النفسي إلى بعض طروحات « بياجيه » في مراحل النمو المعرفي ، ومايحكم الطفل في هذه المراحل من استعدادات تتعلق بالنضج والقدرات المعرفية . وقد تناول بياجيه في دراسته عن النمو الأحكام الخلقية عند الطفل وأساليب الالتزام بها من مرحلة إلى أخرى ، وتعتبر تحليلاته واقتراحاته في مجال النمو الخلقي وجها من وجوه نظريته عن النمو ملتصقًا بالمفاهيم الأساسية المستنتجة من دراساته حول النمو المعرفي ومراحلة ، فقد خرج بمراحل في النمو الخلقي تخضع للسلّم المعرفي ، الذي يتدرج فيه الفرد للوصول إلى قدرات تجريدية مستقرة . وقد جاء كولبرج [١] بعد ذلك وطور نظرة أكثر شمولاً ودقة في النمو الخلقي وهي مبنية أساساً على مراحل النمو المعرفي التي قال بها بياجيه ، وسنتعرض فيما يأتي إلى لمحة عن كل من تلك النظرتين عن النمو الخلقي . ونقارنهما بنظرة المنهج الإسلامي .

يرى بياجيه[٢] من خلال دراسته في النمو المعرفي ، ومن خلال مدوناته عن النمو الخلقي ، أن هناك مرحلتين واضحتين للنمو الخلقي في الطفولة ، يسبقهما مرحلة مبكرة لايعي فيها الطفل شيئاً عن النظام والقواعد الخلقية ، وهي تقابل المرحلة الحسية الحركية عنده أو تزيد قليلاً . وهاتان المرحلتان الرئيستان هما :

---

(١) انظر محي الدين توق وعبد الرحمن عدس : أساسيات علم النفس التربوي ص ١٢٢ .

(٢) أنظر John H. Flavell , The Denelopmental Psychology of Jean Piaget PP 290 - 297 .

الأولى : مرحلة الأخلاق الانقيادية القسرية : وتقع قبل سن العاشرة وهي متأثرة بالمنظر والشكل ، وفي هذه المرحلة يكون الطفل مقوداً مستقبلاً ويرى أن تحديد الحق والإنصاف فيها يرجع إلى قوانين السلطة ونظمها . ويحكم على المخالفة الخلقية والنظامية من خلال مظهرها وشكلها ، لامن خلال أبعادها ومنطلقاتها . ومن خلال كمية المخالفة ، لامن خلال نية المخالف ومقاصده ؛ فالشخص الذي يكسر ١٥٠ كوباً بالمصادفة دون قصد ، يعد أكبر جرماً ـ في نظره ـ ممن يكسر كوباً واحداً عبثاً واعتداءاً . والشخص الذي يسرق جمعاً من النقود لمساعدة فقير أو جائع ، أعظم ذنباً عنده ـ ممن يسرق شريطاً أو رباطاً لنفسه دون حاجة .

الثانية : مرحلة الأخلاق التعاونية الطوعية : وتقع في العاشرة أو الحادية عشرة ومابعدها . وفيها يكون الطفل أكثر استقلالية ، ويطور فهمه في مجال دوافع السلوك وحوافزه ؛ فينظر إلى المسالك الخلقية لا على أساس من الجانب الشكلي الخارجي فقط ، بل يتجه إلى المقاصد والدو افع ، ويحكم عليها من خلال ذلك .

أما (كولبرج) [١] فلم يبتعد كثيراً عما طرحه (بياجيه) حول المراحل الرئيسة التي يمر بها الطفل في تعليلاته وأحكامه الخلقية ، وكان له إسهام جيد في تحديد معالم أكثر للنمو الخلقي ، وفي تعميم الدراسات في هذا المجال في مناطق مختلفة فقد أمضى ١٢ سنة في دراسة على ٧٥ طفلاً من الذكور ، كانوا بين ١٠ و ١٦ سنة عندما بدأ الدراسة ، كما أنه قام ببحث النمو الخلقي في بيئات متعددة ، مثل بريطانيا وكندا وتايوان والمكسيك وتركيا . ومن الطرق التي استخدمها تعريض الأطفال لمواقف صراعية ، عبر قصص وأحداث منتقاة تسرد على الطفل ليقول رأيه، ويصدر حكمه عليها مع التعليل عند الاختيار بين البدائل الممكنة في الموقف الصراعي .

---

(١) انظر Papalia and Oldes , A Child's World In Fancy Through Adoles Cence , PP 431 - 434 .

ويقسم (كولبرج) مراحل النمو الخلقي إلى ثلاث :

(أ) المستوى ماقبل الخلقي (من ٤ ـ ١٠ سنوات) :

ويكون التركيز الخلقي في هذه المرحلة على السلطة الخارجية ومايريده ويفرضه الآخرون عليه ، والطفل هنا يحتفظ بالأخلاق وينقاد لها لتجنب العقاب ، أو نيل الثواب ، وتنقسم إلى نوعين أو درجتين :

١ـ الطاعة خوفاً من العقاب :

والطفل هنا يمارس السلوك الخلقي متعاملاً مع السؤال « مالذي يمكن أن يحدث لي ؟ » فالأطفال في هذه المرحلة ينقادون للأوامر والنظم من أجل تجنب العقاب .

٢ ـ الطاعة لجلب السرور والمنفعة :

الطفل ينقاد للقواعد والنظم لما يترتب عليهما من منفعة خاصة له . ويضع في اعتباره ـ عند ممارسة دور الانقياد ـ ما الذي سيقدمه له الآخرون في المقابل .

(ب) مستوى الامتثال العرفي للمبادئ (١٠ ـ ١٣ سنة) :

ويتجه الأطفال في هذه المرحلة إلى إرضاء الآخرين ، ويريدون الثناء عليهم من أصحاب الشأن والرأي ؛ فهم لازالوا يراعون نظرات الآخرين ، وما يضعونه من معايير ، لكنهم مع ذلك بدأوا بإعطاء هذه المعايير بعداً داخلياً ، وقيمة ذاتية . ولديهم قدرة على النظر في النظم والمعايير التي تضعها السلطة ، واختيار السلوك الجيد المناسب ليتلائم مع تلك المعايير .

وتقسم هذه المرحلة إلى نوعين أو درجتين :

٣ ـ الحصول على ثقة الآخرين والعلاقة الطيبة بهم :

والطفل هنا يتساءل : هل أنا طيب ومقبول ؟ فهو يريد أن يرضي الآخرين ويتساعد معهم ، ويستطيع أن يتفهم مقاصد الآخرين ، وأن يطور فكرته عن كيفية الوصول لمكانة طيبة ومقبولة من خلال السلوك الخلقي .

٤ ـ الاستجابة لرغبة السلطة :

وفي هذه المرحلة لسان حال الطفل يقول « نحن بحاجة للقانون والنظام ، يجب أن يهتم الناس بواجباتهم » ويتضح على الطفل احترامه للسلطة ، والتزامه بالنظام الاجتماعي القائم .

(جـ) مستوى القبول الذاتي للمبادئ (١٣ فما فوق) :

وهذا هو المستوى المحدد والمطابق للصورة الخلقية النموذجية ، ويدرك الفرد هنا إمكانية تعارض معيار اجتماعي مع آخر ، ويحاول اتخاذ قرار الاختيار بينهما ، كما أن مصدر التحكم والانقياد في هذا المستوى هو داخلي ذاتي، وكذلك طبيعة التعليلات للسلوك الخلقي . ويمكن أن ترى هذه المرحلة بطريقتين متبادلتين أو متعاقبتين :

٥ ـ الاتجاه إلى مفاهيم العقد الاجتماعي ، وحقوق الفرد ، والقبول الحر للقانون .

وفي هذه المرحلة تكون طريقة التفكير منطقية ، وينظر لقيمة الأكثرية ، وحقوق المجتمع ومصلحته ، مع إدراك الفرد أن احتمال التعارض بين حاجات الإنسان ومبادئ النظام قائم ، لكن الأولى والأضمن على المدى الطويل هو الالتزام بالنظام والعرف الاجتماعي .

٦ـ التوجه الذاتي :

الفرد هنا ينطلق من ذاته وقناعاته ، وبفعل مايراه صحيحاً ، دون التعويل على القيود النظامية ، ودون التقيد بآراء الآخرين ، فهو يسلك وفقاً لمعاييره الذاتية ، ويشعر بتأنيب الضمير ، واحتقار الذات عند مخالفتها .

وعند إمعان النظر فيما تبينه هاتان النظريتان عن النمو الخلقي ، نظرية (بياجيه) ونظرية (كولبرج) ، وهما من أشهر النظريات التي عالجت مراحل النمو الخلقي ، وتطور الأحكام الخلقية عند الأطفال ، نجد أن هناك وجوه شبه كبيرة ووجوه اختلاف كبيرة بينهما وبين رؤية المنهج الإسلامي للنمو الخلقي ، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن النظام الخلقي في الإسلام نظام ثابت أصيل وليس نسبياً بيئياً ، وهذا له أثر كبير على ثبات المبادئ والقيم ، المؤثر على ثبات الفرد في النظر إليها ، والحكم من خلالها ، مع اختلاف في طريقة اكساب هذه المبادئ الثابتة للفرد عبر مراحل نموه .

وأشرنا أيضاً إلى أن معالجة قضية النمو الخلقي في المنهج الإسلامي ، لاتتم من خلال الطرح النظري الفلسفي في الغالب ، بل تتم من خلال التوجيهات التربوية والعملية ، ومن خلال التعليم ذاته . ويمكن أن نقول أنه علم نفسي تطبيقي فلسفي في آنٍ واحد ، فالمربي يجد فيه بغيته العملية والنظرية في آن .

ونجد ـ إضافة إلى ماذكرنا ـ وجوه التشابه والاختلاف الآتية :

١ ـ معدل النمو :

إن السرعة التي يتم بها الانتقال من مرحلة لأخرى تتوقف على عدد من العوامل منها :

(أ) العمر الزمني فالأطفال الأصغر سناً يميلون للخضوع لأسر المادة والشكل

والقوة ، بينما الأطفال الأكبر سناً يكونون أقرب لمستويات الاستدلال والمنطق ، أما المستويات العليا في المفاهيم والاتجاهات فتكتسب خلال الطفولة المتأخرة والمراهقة ، وهذا يفسر لنا تشابه المنهج الإسلامي بالنظريات الأخرى في النسق الزمني للمراحل والأعمار المحددة لكل مرحلة ، كذلك الأمر بالنسبة للمراحل وفق النظريات الأخرى للنمو الخلقي ؛ فالأخلاق ذات الطابع الانقيادي القسري تسبق الأخلاق ذات الطابع الطوعي التعاوني عند « بياجيه » ، والامتثال العرفي يسبق القبول الذاتي الداخلي ولايحدث العكس عند « كولبرج » .

(ب) القدرة العقلية : فمن المعلوم أن هناك علاقة وثيقة بين النمو العقلي وتدرج النمو الخلقي ، ومن الواضح أن معظم المناهج والنظريات تتفق على وجود هذه العلاقة وأهميتها .

(جـ) التربية الخلقية التي تهدف إلى استثارة النمو الخلقي وتشجيع الطفل ومساعدته على الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، ويؤكد المنهج الإسلامي على هذه المسألة ، كما تؤكد النظريات الأخرى عليه . ويعد إهمالها مما يثبط قدرة الطفل على الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، ويعزز بقائه في مرحلته لفترة أطول ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ أن اتجاه الآباء والمربين إلى محاسبة الطفل في المرحلة الخلقية الأولى ، وتركيزهم على الشكل الخارجي ، وعلى مقدار العطب والخلل الذي وقع من الطفل أو الفرد المخطئ ، دون الرجوع إلى مقاصده ودواخله يعزز ويشجع هذا الاتجاه لدى الطفل ؛ فإذا عوقب الطفل على إهراقه لدواة حبر ـ دون قصد ـ عقاباً أشد وأنكى من أخيه الذي رشق بنقطة حبر من قلمه قصداً وعدواناً ، كان ذلك سبباً في تطويل مكثه في مرحلته ، وسبباً في بطء تقبّله للمبادئ الجديدة في المرحلة القادمة . وهكذا فإن المنهج الإسلامي ـ مثلاً كما أشرنا ـ يؤكد على سلوك الصدق ولو كان غير مفهوم لدى الطفل في المراحل الأولى ، ولايؤجل تعليمه لذلك ولو كان الفهم الشامل غير متوفر .

٢ ـ تتابع المراحل :

هناك ثبات في تتابع ظهور المراحل التي يمر بها النمو الخلقي ؛ ففي المنهج الإسلامي ، المرحلة الانقيادية تسبق المرحلة الاقتناعية ، والمرحلة الاقتناعية تمهد وتسبق مرحلة الرقابة الذاتية ولايتصور ـ في العموم وحسب السلم الزمني ـ أن يحصل الاقتناع الباطني والإدراك الشمولي للأخلاق قبل التصور المادي والانقياد الشكلي لها ، ولاتحدث الرقابة الذاتية قبل القناعة الداخلية والإيمان .

٣ ـ المادة الخلقية

المنهج الإسلامي وكذلك النظريات الأخرى ، تؤكد على أن تحسين السلوك الخلقي يتم من خلال التربية الخلقية في المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ، لكن تختلف كيفيات تحقيق ذلك اختلافاً واسعاً ، وأحياناً جذرياً . فمنهج التربية الخلقية ، وفقاً لنظرية « كولبرج » ، يتألف من مجموعة من التدرجات ، تتراوح من البسيط إلى المعقد وتتضمن[1] أفكاراً صراعية أو متناقضة ، ويقوم المعلم أو المربي بمناقشة هذه التدرجات والأفكار بحرية؛ وذلك بهدف استثارة النمو الخلقي لديهم، من خلال الموقف الصراعي الذي يولد الشك ، ويتيح فرص الأخذ والرد . وهذا الاتجاه متولد من النظرة التي أشرنا إليها سابقاً وهي أن الأخلاق أمور نسبية غير ثابتة .

أما المنهج الإسلامي ، فلا يتطرق إلى مناقشة الأخلاق ذاتها ولايبني في الطالب التشكك فيها ؛ بل إنه يبني في الطالب الارتباط بأبعادها وحِكَمِها من وجه ، ويبني الثقة بها والخضوع لها من وجه آخر ، ويتم ذلك في كلِّ مرحلة بحسبها ، وكلها تؤكّد على أن مصدر هذه الأخلاق رباني ، وأنها بذلك تكتسب خصائص الثبات والعالمية والفطرية والتوازن .

---

(١) انظر محي الدين توق وعبد الرحمن عدس : أساسيات علم النفس التربوي ص ١٢٦ .

٤ ـ التحيُّز الثقافي

الأسس التي يرتكز عليها المبدأ الخلقي في المنهج الإسلامي أسس أصيلة وعالمية وليست محكومة ببيئة معينة ، أو متحيزة لفئة على فئة ، وكذلك القالب المرحلي للنمو الذي يستدخل هذا المبدأ وينصبغ به ، بينما نظرة « كولبرج » والمشتركة مع نظرة « بياجيه » في مرتكزاتها تأثرت بالبيئة الديمقراطية ، ونبعت منها ، مما أدى إلى نوع من التحيز الثقافي ، وفقد الثبات عبر الثقافات المختلفة ، ولعل أوضح أثر من آثار هذا التحيز أنها تقوم على القيم والإلتزامات الاجتماعية التي يستدخلها الفرد بنفسه ، وفي وسط ديمقراطي حر ، فالفردية والديمقراطية واضحة عليها ، وهذا هو التوجه الغربي ، وطابع الثقافة الغربية . فنظرية « كولبرج » مع جودتها ، ووجاهة بعض مقترحاتها ، إلا أنها لم تنفك من التأثر ببعض خصائص الحضارة الغربية والتحيز لها .

٥ ـ الدافعية

الإيمان بالخالق وبأسمائه وصفاته المطلقة والمؤثرة ، والحاجة النفسية إلى ذلك الإيمان ، جعل المنهج الإسلامي يبني المراحل بما يتفق مع هذا المبدأ ؛ مما أدى إلى وجود فروق جوهرية في طبيعة الدافعية وأساليب الحفز ، عبر المراحل الخلقية المختلفة بين المنهج الإسلامي والنظريات الأخرى ، بل إن في المنهج الإسلامي مرحلة ثالثة ـ كما رأينا ـ مستقلة ، يتركز فيها الدفع للإلتزام على مراقبة الخالق ، واليقين بعلمه واطلاعه ، وهي مرحلة « الإحسان » أو مرحلة « المراقبة الذاتية » .

أما النظريات الأخرى ، فلا تتعرض لهذه القضية ولا تلقي لها بالاً بل تعدها أمراً خارجاً عن النفس وحاجاتها ، ولاترى أن تبحثها في سياق دراسة النمو . وهذا أيضاً يبدي لنا نوعاً آخر من التحيز للأسس الفكرية والفلسفية التي انطلقت منها هذه النظريات .

الباب الرابع

التفاعل التربوي

وفيه :

ـ أساليب وأنواع التفاعل

ـ خصائص المربي الفعّال

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقاومة الأديان

التفاعل التربوى

مدخل :

المقصود بالتفاعل التربوي هو حدوث اقتناع وتجاوب نفسي بين طرفي العملية التربوية (المعلم والمتعلم) يؤدى لاستجابة الطرف الثانى المعرفية والسلوكية للطرف الأول وللتأثر به .

ويمثل التفاعل التربوى عنصراً مهماً في العملية التعليمية ، حيث يعكس العمق والحيوية التى تكتسبها المعلومات والخبرات المنقولة للمتعلم ، ويعكس المدى البعيد لأثر المتربى استيعاباً وتطبيقاً ، هذا إضافة إلى الإسراع في العملية التربوية . وبدون التفاعل يفقد المعلم صفته التربوية الإنسانية ويتحول إلى موظف رسمى لافرق بينه وبين من يجلس إلى طاولته للتعامل مع الأوراق والمعاملات اليومية ، ولا فرق بينه وبين المهندس الذى يتعامل ـ في موضوعاته ـ مع المباني والطرق والآليات ؛ بل إن موظف الأوراق ومهندس الطرق يتفاعلان مع موضوعاتهما بما يناسبها .

والمربون من آباء ومعلمين ودعاة وغيرهم يعانون ـ في كثير من الأحيان ـ من عدم القدرة على التأثير في أولادهم أو طلابهم أو مدعويهم ومن عدم استجابتهم ، بل إنهم ـ أحياناً ـ يعاندون ويعرضون ويحولون بين المربي والتأثير فيهم . ومن أهم الركائز لمعالجة هذه الشكوى إختبار المربي لمدى حرصه على التفاعل مع المتربى، واهتمامه لإقامة علاقة جيدة حية معه . وهذه أول خطوة جوهرية في طريق التأثير .

بعض نظريات تفسير حدوث التفاعل وقواعده

هناك عدد من النظريات التي تبين أسباب حدوث التفاعل ، والخلفيات التى تكمن وراء قيام اندماج وتجاوب بين فرد وفرد ، أو بين جماعة وجماعة ، أو بين فرد وجماعة ، مثل النظرية التبادلية (Exchange Theory) والنظرية التوقعية (Expectation Theory) ويمكن من خلال بعض هذه النظريات استخلاص بعض القواعد والمبادىء التي تقوم عليها عملية التفاعل والاندماج في التربية ، على أن المنهج التربوى الإسلامي المبني على الفقه الشامل لطبيعة النفس البشرية أصّل هذه المبادىء مبكراً وأثراها وخصوصاً في الجانب التطبيقى . ونشير هنا إلى بعض هذه المبادىء والقواعد .

قاعدة التبادل في العلاقات

إن حسن التجاوب ، وحرارة الاتصال بين طرفين والتفاعل بينهما يعتمد اعتماداً كبيراً على مفهوم « التبادل في العلاقات » فعلى قدر مايبذل كل طرف من جهده وماله ومشاعره نحو الطرف الآخر ، تقوم العلاقة وتتصاعد إلى أعلى .

وهذه القاعدة تستعمل بين الناس في حياتهم اليومية ، فليس من القليل أن تجد من يقول : وجدت من فلان كذا . أو كافأني فلان بكذا ولذلك سأجازيه بكذا . أو يقول : لقد وجدت معاملة ممتازة منه ، لقد كان رائعاً . فيثني عليه جزاء المعاملة ، وأبعد من ذلك أن يقول : إن الحديث إليه يريح النفس ويبعث السرور . فهذا منتهى التجاوب .

فقاعدة التبادل في العلاقات قائمة بين الناس . ولهذه القاعدة وجوه متعددة في المجتمع . ففي التجارة يتم البيع والشراء آلاف المرات ؛ فالبائع يعطي سلعته والمشتري يدفع نقوده ، ولايمكن أن تتصور العلاقة التجارية الناجحة والمقبولة دون هذا التبادل، وهو تبادل يقرّ به ويسلكه الطرفان . وفي التبادل المادي المؤقت كالعارية

والقرض مما ييسر حياة الناس ، لابد أن يحس المستعير والمقترض أنه مدين لمن استعار منه أو أقرضه ، وقد يتحرق ويحرص ، ويبحث عن الفرصة التي يرد فيها هذا الجميل إلى من أحسن إليه ولوكان بسيطا ، وفي المقابل فإن المقرض والمعير يفترض الخير والمعونة وردّ الجميل من المقترض أو المستعير عند الحاجة إليه وقد بينّ ذلك ووجه إليه رسول الله ﷺ .

فعن عبد الله عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :**«من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه »** (١).

وهكذا في العلاقات الاجتماعية ، والتعاون الإجتماعي ، فالزيارة ورد الزيارة ، والضيافة ورد الضيافة ، والمساعدة المادية أو المعنوية وردها بمثلها أو أحسن منها ، والسلام ورد السلام كلها ، وغيرها ، صور للأنشطة الإجتماعية القائمة في الأصل على قاعدة التبادل في العلاقات ولاتستقيم ولاتنمو وتتصاعد العلاقات ولاتؤتى ثمارها إذا لم يحصل فيها التبادل والتجاوب ، والشرع يطالب بهذا التبادل ويؤكده .

قال تعالى : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾(٢) .

ويترتب على هذه القاعدة - إذا سارت وفق الشرع ـ الألفة والتقارب والتعاون ، ويترتب عليها الاحترام والتقدير والمحبة المتبادلة كما قال رسول الله ﷺ ـ بلفظ الجمع ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه :

---

(١) أخرجه أبو داود ، أنظر أبوداود ، سنن أبو داود : ٢/ ٣١٠ رقم ، (١٦٧٢) .

(٢) سورة النساء : ٨٦ .

« تهادوا تحابوا » [١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ، ولاتحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة » [٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ أيضاً ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » [٣] .

ولاينفك عن ذلك علاقة المربين بالمتربين مثل علاقة الآباء بالأبناء ، فبقدر مايقدم الآباء للأبناء من عناية ورعاية ونفقة ويبذلون من رحمة وشفقة ، وبقدر مايحيطون به أبناءهم من نصرة ومعونة وحماية ، بقدر مايعيد هؤلاء الأبناء ـ حالاً أو مآلاً ـ هذا العطاء والبذل براً وطاعة ومعروفاً وخفضاً للجناح . فالأم أو الأب الذى يعنى ببيته وأولاده ، ويحسن اختيار أسمائهم ، ويحسن اختيار الأشياء لهم ، وينفق عليهم بعناية وترتيب ، ويبذل من وقته وجهده في تعليمهم وتربيتهم ، ويزودهم بما يحتاجون من حنان ورحمة ومحبة ، ويحيطهم بالأنس واليسر ولين المعاملة لايخيب الله أمله ، ولايذهب جهده هباءً ، بل ينعكس كل ذلك على سلوك الأبناء تجاه الآباء .

قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت عليَّ وعلى وَالِدَيَّ ﴾ [٤] .

---

(١) الألبانى ، صحيح الجامع الصغير : ٣/ ٥٦ رقم الحديث ٣٠٠١ ، وقال : حسن .

(٢) أخرجه الترمذي ، أنظر المباركفورى ، تحفة الأحوذى : ٦/ ٢٣٠ ، ومعنى حر الصدر : غشه ووساوسه وحقده، شق: نصيف أو بعض ، فرسن : عظم قليل اللحم .

(٣) أخرجه مسلم ، أنظر النووي ، رياض الصالحين ص ٣٢٤ رقم الحديث (٨٥٢) .

(٤) سورة الأحقاف : ١٥ .

وكان رسول الله ﷺ : يؤكد على ذلك ، ويظهر في تعامله تلك العلاقة التبادلية في أبسط الأعمال فضلاً عن أهمها .

عن عائشة رضى الله عنها : قالت : مارأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهديا ودلاً برسول الله ﷺ من فاطمة رضى الله عنها ، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها » (١).

والعكس بالعكس ، فالشدة والقسوة والجفاء ، وعدم النفقة أو تقتيرها أو المنّ بها ، وعدم العناية بالتربية والتعليم ، والسخرية والاستهزاء بالإبن أو البنت ، والإهمال والنبذ والطرد ، والغفلة والبعد ـ اللذان يفصلان الوالد عن الوسط التربوي الذي يعيش فيه الإبن ـ كل ذلك يؤدى إلى الجفاء والشدة وعدم الإهتمام ويورث النبذ والبعد والقسوة على الآباء من قبل الأبناء . وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ لمن ينتبه إليه عندما قال : من لايَرحم لايُرحم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله ﷺ الحسن ابن على وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ماقبلت منهم أحداً . فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « **من لايَرحم لا يُرحم** » (٢) .

وهكذا فلابد أن يحسب المربون أن مايبذلونه ويتعاملون به مع أبنائهم أو تلاميذهم يظهر ولو بعد حين في صفاتهم وخصائصهم وطريقة تعاملهم معهم . فالأم الساخرة المستهزئة ماالذي تتوقعه من أولادها سوى ماقدمته سلفاً لهم ، والأب المقطب العابس ، والشديد القاسي ، والمهمل النابذ لأولاده ماالذي يتوقعه منهم إلا

---

(١) أخرجه أبو داود ،، سنن أبى داود : ٥/ ٣٩١ رقم الحديث [٥٢١٧] ، وأخرجه الترمذي أيضاً .

(٢) أخرجه البخاري ، أنظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠ / ٤٤٠ .

ماافترفته يداه ، وسعت إليه رجلاه . والمعلم بارد الأحاسيس جاف المشاعر رسمي المعاملة ساخر اللسان العنجهي الغافل أو المتغافل ماذا يريد أن يكون عليه طلابه في معاملتهم وفي مسالكهم وفي مشاعرهم سوى الرفض والكره والاشمئزاز .

والله سبحانه عندما وجه عباده فأطاعوه ، ورزقهم فشكروه ، ورحمهم بمنهجه ووحيه فانقادوا له أعطاهم وأنعم عليهم وأكرمهم بسبب طاعتهم .

وقال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ﴾ (٢).

وعندما عصاه بعض عباده ، وكفروا نعمته ، وخالفوا أمره ، وحاربوه وتنكبوا طريق الحق الميسّر المستقيم كان جزاؤهم العذاب والجحيم والعسر في الدنيا والآخرة . قال تعالى في سورة النبأ :

﴿ إن جهنم كانت مرصادا * للطاغين مأبا * لابثين فيها أحقابا * لايذوقون فيها برداً ولاشرابا * إلاحميماً وغساقا * جزاء وفاقا ﴾ .

(١) سورة الرحمن : ٦٠ .

(٢) سورة الإنسان : ٢٢ .

قاعدة « الحقوق والواجبات » :

وهذه القاعدة تحكم العلاقات بين الناس فالحقوق لفرد معين في مجال معين هي واجبات الشريك الآخر « المقابل » والعكس كذلك ، فحقوق الإبن أو البنت ـ مثلاً ـ هي واجبات الأب ، وحقوق الأب هي واجبات الإبن أو البنت ، وحقوق التلميذ هي واجبات المعلم كما أن حقوق المعلم هي واجبات التلميذ وهكذا ...

والرضا بين الطرفين المعنيين أمر ضروري لحدوث التداخل والتفاعل بينهما على وجه مقبول ،ورضا أحد الطرفين وإقباله يعتمد على رضا الطرف الآخر وإقباله وذلك وفق قيام كل منهما بواجباته تجاه الآخر .

وإذا مارس الفرد سلوكه بالطريقة التي تتفق مع مايتوقعه الآخرون منه (أي بقيامه بواجباته تجاههم) فإن الآخرين يحمدون له ذلك ويقومون بأداء مايستحقه أو مايتوقعه هو منهم .

والعكس بالعكس فهو عندما يسلك بخلاف مايتوقعه الآخرون منه ، يقطع على الآخرين الطريق لتحقيق المتوقع منهم فيغضبون منه ويحجبون الثقة والمحمدة عنه .

ولابد أن يعيَ المربون هذه القاعدة ، وآثارها النفسية والتربوية على المتربين فالأب ـ مثلا ـ عليه واجبات كثيرة تجاه أولاده ، وله عليهم ـ أيضاً ـ حقوق ، ومن هذ الواجبات :

١ـ تعليمهم أمر دينهم بالطريقة الصحيحة .
٢ ـ النفقة عليهم دون منٍّ أو أذى .
٣ ـ حسن اختيار أسمائهم .
٤ ـ إحاطتهم بالرحمة والشفقة والعطف .

٥ ـ تقريبهم ومحبتهم .

٦ـ إشباع حاجاتهم المختلفة بالمقدار المناسب (مثل حاجتهم إلى الأمن ، والاحترام ، واللعب ، والمعرفة ، ....الخ) .

ولاريب أن قيام الآباء بهذه الواجبات وفق التوجيهات الشرعية ، ووفق الحاجات الفطرية لهؤلاء الأبناء ، سيؤثر على مسالك الأبناء تجاههم وسيورث المحبة والاحترام والطاعة وسيؤدي إلى البر بهم والبحث عن رضاهم .

وماحدث من عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع الرجل الذي اشتكى ولده يبين أهمية قاعدة « الحقوق والواجبات » في التربية كما في القصة التالية :

« جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنّبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى . قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (أي القرآن) . قال الولد : ياأمير المؤمنين، إن أبى لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جَعَلاً (أى خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : جئت تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يعقّك ، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك » [1] .

وقيام المعلم ـ أيضاً ـ بواجباته تجاه طلابه من تعليمهم ، والتأكد من فهمهم للمادة بالطرق المناسبة ، وتفقد أحوالهم وتشجيعهم بالسبل المختلفة ، ومعالجة الحالات الخاصة فردياً ، ومخاطبتهم على قدر عقولهم مع تقديرهم ... إلخ ، كل ذلك يؤثر على مسالك الطلاب تجاه المعلم محبة أو كرهاً ، طاعةً أو عنادا ، احتراماً أو احتقارا ، صلة أو قطيعة .

---

(١) انظر عبد الله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ١/ ١٣٤ ، ١٣٥ .

قاعدة « رأي المربي في المتربي له أثر على شخصيته » :

وهذه القاعدة تقول « إن فكرة الفرد عن نفسه هي انعكاس مباشر لفكرة الآخرين عنه ، وأن الفرد يبنى كثيراً من علاقاته على أساس من الرأي السائد فيه » .

فالإبن أو البنت يتأثران بأقوال وآراء الأبوين فيهما ، ويبنيان الآراء عن أنفسهما وفقاً لما يقوله الآخرون عنهما ، فإذا كان الإبن محلاً لثقة أبويه ، ومذكوراً أو معروفاً عندهما بالقدرة والنشاط والمبادرة ، وموكولاً إليه من المهمات والأعمال مايتطابق مع الرأى فيه ، وإذا كان يلقى من التشجيع والتأييد ومن التوجيه والتكليف مايمثل إتجاها ورأياً يتناسب مع قدراته وإمكاناته ، فإنه يسعى لتأصيل ذلك في ذاته ، وجعله صفة من صفاته وسمة من سمات شخصيته ما أمكن . وكذلك الصفات السلبية تتأصل من خلال مسالك وآراء الوالدين وغيرهما فيه .

والتلميذ ــ أيضاً ــ يتأثر بأقوال وآراء أساتذته فيه ، ويكوّن فكرته عن نفسه من خلال ذلك ، وتتأثر طبيعة العلاقة ومستواها بين المعلم وطلابه بما يقوله عنهم ، وبما يتخذه من قرارات وتصرفات ومواقف تجاههم حيث تمثل هذه الأشياء مؤشراً على فكرة الأستاذ عنهم ، فهم ــ إلى حد كبير ــ يُقْدمون ويحجمون ، وينشطون ويجبنون ، ويجتهدون ويكسلون ، ويجرؤن ويسكتون ، وفق مايعلمونه من رأي الأستاذ فيهم ، ووفق مايقوم به من معاملة مبنية على ذلك .

ويوضح هذه القاعدة أمثلة كثيرة منها :

ــ أن الأبوين إذا شجعا الإبن على الخدمة وتقديم المرطبات والقهوة والشاى ونحوها ، وأتاحا له الفرصة لممارسة ذلك بدنياً ونفسياً واجتماعياً فإنه يكون فكرة جيدة عن نفسه في هذا الباب ، وتتأصل بعض الصفات المتعلقة به ، كالجرأة والمبادرة ، فضلاً عن القدرة العضلية والبدنية .

ـ وإذا عوَّداه وحفزاه لفظياً ومعنوياً على استقبال الضيوف ، والبشاشة بهم ، والسلام عليهم ، والسؤال عن أحوالهم ، وتلبية بعض مطالبهم فإنه أيضاً يُكوِّن فكرة جيدة عن نفسه في الجانب الاجتماعي والتعاوني .

ـ وإذا كلف الأستاذ الطالب بمراقبة بعض الأعمال ، أو إدارة مجموعة من الطلاب ، أو متابعة قضية معينة أدبية أو إجتماعية في الصحافة وتزويد الأستاذ بما يجتمع لديه ؛ فإنه يُكوِّن فكرة عملية عن ذاته ، وعن قدراته الإدارية والثقافية .

ـ وعندما يخص المدرس الطلاب بأسمائهم عند السؤال ويختار السؤال بعناية، قصداً إلى إعطاء الطالب شعوراً وانطباعاً معيناً عن شخصه وقدرته ؛ فإن هذا ينعكس وبسرعة على سلوك الطالب وهمته ومشاركته .

ـ وإذا كلف الأب إبنه بالإنفاق أو المهمات المالية ، بحيث يشترى الأشياء ويختارها ، ويفاوض في شأنها ، أو يبيع الأشياء ويتصرف فيها ، وشجّعه على مثل هذه الأنشطة المهمة والأساسية في الأسرة ؛ فإنه يُكوِّن فكرة جيدة عن نفسه ، من حيث الأمانة والثقة والصدق والإخلاص ، والإقدام والموازنة والتحري ... الخ

ـ والأم إذا وجّهت البنت ووثقت بها لتقوم بأعمال المطبخ والطهي والترتيب واختيار الطعام ، والطبق المناسب ، وأوحت لها بقدرتها على ذلك وتمكنها منه ؛ فإنها تُكوِّن فكرة عن نفسها في باب المبادرة والتعاون والمسؤولية فضلاً عن المران البدني والعضلي .

ـ وهكذا في نشاط الخياطة ، وترتيب المنزل ، واستقبال الضيوف ، واختيار أثاث البيت ،وترتيب زيارات الأسرة ، وفي نشاط القراءة والكتابة والأشرطة .

ـ ومن الأمور المهمة إستثارة همة الشباب في الجوانب العبادية ، وإشعارهم بطرق إيحائية وغير مباشرة ، مالهم وماعليهم في هذا الباب . وكان هذا هو فعل

الرسول ﷺ في تربيته لصحابته رضى الله عنهم ، وخصوصاً صغارهم .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله ﷺ ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناسٌ قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار قال : فلقينا ملك آخر فقال لي : لم ترع .

فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال : **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل** . فكان بعد لاينام من الليل إلا قليلاً »[1] .

وكل هذه الأمثلة والنماذج يمكن أن تعكس فتعطي نتيجة عكسية ؛ حيث تُبنى فكرة الفرد عن نفسه على عدم الثقة والشك في نفسه والتردد ، والجبن ، والاتكالية، والازدواجية في الشخصية ... ، هذا في الصفات المتعلقة بشخصية المتربي بصفة عامة ، أما فيما يتعلق بحالهم من حيث العلاقة بالمربي ، فقد ينشأون على العصيان والرفض والمقت للأبوين وللمعلمين ظاهراً و باطناً ، أو على الاتكالية، والاعتماد على الآخرين ، وأحياناً على الكراهية والسلبية وعدم الثقة ، وهذه الصفات من أهم مايقوّض العلاقة بين المربي والمتربي .

---

(١) أخرجه البخارى ، انظر ابن حجر فتح الباري : ٣/ ٩ الحديث رقم (١١٢٢) .

أساليب وأنواع التفاعل

يمكن أن نقسم الأساليب والإجراءات التي تمهد أو تحدث التفاعل والإندماج بين المربي والمتربي إلى مجالين هما : مجال المشاعر والمفاهيم ، ومجال السلوك والأعمال .

أولاً : مجال المشاعر والمفاهيم

وهي أنواع وأساليب التفاعل المتعلقة بمشاعر الإنسان وتوجهاته الداخلية ، وبرصيده من الوعي والمعرفة حول مبادىء التفاعل وقواعده ويشمل هذا المجال الأعمال الآتية :

١ ـ التوجه والسعي للحصول على محبة الله ورضاه :

فإن محبة الله للعبد ورضاه عنه يورثان محبة الناس له ورضاهم عنه ، وقد ورد ذلك نصاً في خبر المصطفى ﷺ .

عن عائشة رضى الله عنها قالت ؛ قال رسول الله ﷺ ؛ « **من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس** » (١) .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أنه قد رُوى مرفوعاً مالفظه :

«وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا أقبل الله عزّ وجل بقلوب عباده ، وجعل قلوبهم تفد إليه بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع » (٢) .

وكذلك محبة الملأ الأعلى للعبد تنتج محبة العباد له ، ورغبتهم فيه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٧/ ٩٧.

(٢) ابن القيم ، روضة المحبين ص ٤١٩ .

وإقبالهم عليه .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه . فيحبه جبريل ،فينادى جبريل في أهل السماء : إن الله يحبُّ فلاناً فأحبوه . فيحبه أهل السماء ،ثم يوضع له القبول في أهل الأرض** » (١) .

والطريق للحصول على محبة الله ورضاه ـ المورثين لمحبة الخلق ـ يكون بالتقرب إليه وطاعته ،وبمقدار تقرب الإنسان وطاعته لله تكون محبة الله له ، وتمكينه له بين خلقه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : « **من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب . وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته** » (٢) .

وفي أحيان كثيرة تكون محبة الناس للعبد ، وتقبلهم له شاهد على محبة الله ورضاه عنه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال النبي ﷺ : **وجبت** . ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا ، فقال : **وجبت** . فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : وما وجبت ؟ قال :**هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له**

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/ ٤٧٦ رقم (٦٦٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري١١/ ٣٤٨، ٣٤٩.

الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض » [١] .

وهذا أمر طبيعي بالنسبة للمؤمنين وعلاماتهم المميزة . فإن بين الأمرين تجاوب كبير ؛ فالمؤمن لين العريكة ، صافي السريرة سليم اللسان والقلب ، يحب للناس مايحب لنفسه من الخير والفضل ، وهو عندما يكون كذلك إنما يتقرب إلى الله ، بل إن هذه المسالك هي ضرب من العبادة .

فما على الإنسان إلا أن يتقرب إلى الله ويطيعه بأنواع الطاعات المفروضة والمستحبة ؛ فسيجد لذلك أثراً واضحاً في إتجاه الناس إليه ، وقربهم منه ومحبتهم له ، وهذا مرتكز أساس للتفاعل والاندماج في العملية التربوية .

٢ ـ الإخلاص والصدق في العلاقة بالناس :

فالإنسان الذي يريد أن يبني علاقة مؤثرة ومثمرة مع الآخرين لابد أن يخلص في هذه العلاقة . والإخلاص عمل قلبي ينبعث من قلب الإنسان ومشاعره تجاه الآخرين ، حيث يحس بأهمية العلاقة وعمقها ، ويصدق في إقامتها من داخله أولاً ومن ثم ينعكس هذا الإخلاص والصدق على أقواله وأعماله عند الاحتكاك بالآخرين ، فيبادلونه الشعور ذاته ويتفاعلون معه . فإذا كان المربي غير صادق ، أو كان إخلاصه للآخرين مشوب بدخن ، رأيت الناس ينفرون منه ، ولايثقون به وذلك من علامات ضعف التفاعل أو فقده في العملية التربوية .

ومن نواتج الإخلاص المؤثرة في التفاعل التربوي تطابق أقوال المربي مع أفعاله ؛ فإن المربي المخلص هو من يلحق الأفعال بالأقوال ، ويحذر من أن يكون كثير القول والأمر قليل العمل والاستجابة ، قال تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٢ / ٢٧٠ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون ﴾ (١) .

والناس أشد مايكونون تفاعلاً مع العلماء العاملين ، وأبعد مايكونون تفاعلاً مع العلماء الكاذبين (الدعاءيين) .

ومن نواتج الإخلاص أيضاً المبادرة بالأعمال ، والسبق في الطاعات لأن الإخلاص طاقة داخلية متفجرة تأبى إلا أن تحرك صاحبها وتجعله في المقدمة . والناس يتفاعلون مع من يسبقهم إلى الميدان ومع من يأخذ بزمام المبادرة ، وقد كان رسول الله ﷺ كذلك ، فقد كان يوجه الناس إلى الصلاة وهو السابق فيها فرضاً ونفلاً ، ويأمرهم بالصدقة وهو أولهم في البذل والعطاء ، ويأمرهم بالجهاد ويكون في المقدمة ، ويأمرهم بخلقي الزهد والتواضع وهو ذو الحظ الأوفر فيهما وهكذا .. ، ولهذا قرُبَ منه أصحابه رضى الله عنهم ، وتفاعلوا معه أشد مايكون ، وأحبوه حباً شديداً لايزاحمه فيه أحد ، ويصعب وصفه .

٣ ـ الوعي بالقواعد التربوية التي تنشيء التفاعل :

إن استيعاب المربي الذي يريد أن يقيم علاقة جيدة بالآخرين للقواعد والمبادىء المنشئة للتفاعل أمر مهم . وفي كل عمل تربوى أو اجتماعي ، بل وفي كل عمل علمي جاد يحتاج المرء إلى زاد فكري وقاعدة من المعلومات المتعلقة به ، وللتفاعل التربوي نظريات وقواعد وأساليب ، لابد أن يلم بها من كان حريصاً على قيام تربية متفاعلة ومؤثرة . وقد أشرنا وسنشير ـ إن شاء الله ـ إلى هذه القواعد . ونضرب بعض الأمثلة على هذه القواعد بإيجاز .

---

(١) سورة الصف : ٢ ، ٣ .

من ذلك إدراك المربي للمبادىء الآتية :

أ ـ التيسير مقابل التعسير .

ب ـ الرحمة والشفقة مقابل القسوة والشدة .

جـ ـ التأني مقابل العجلة.

د ـ التواضع والتبسّط مقابل التكبر والتكلف .

ثانياً : مجال العمل والسلوك

وهي أساليب التفاعل المتعلقة بالسلوكيات التي يمكن أن يمارسها الفرد لإحداث الإندماج والتفاعل مع الآخرين . وهذه السلوكيات التفاعلية كثيرة جداً ومتداخلة ، بل إنها في بعض الأحيان متماسكة بحيث لاينفك بعضها عن بعض ، إلا أننا سنتناول كل سلوك منفرداً ليسهل توضيح وتحديد هذا المجال ، ولكي يكون المربي على علم جيد بجزئيات سلوكه ـ مهما صغرت ـ وأثرها في عملية التفاعل والإندماج مع المتربي . وفيما يلي بيان هذه الأنواع السلوكية :

١ ـ السلوك اللغوي:

ويتعلق بلغة الفرد وطريقة تخاطبه مع الآخرين ، وأساليبه في السؤال والجواب والحوار ، ونوع الكلمات المستخدمة . فالفرد كلما كان سليط اللسان ، أو كثير الكلام ، أو متكلفاً متفيهقاً ، أو فظاً غليظا ، أو متصعباً متنطعا ، أو مستخدماً للكلمات النابية والألفاظ القاسية كلما تدنى أو فقد تفاعله مع الآخرين .

قال تعالى : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن النبى ﷺ سباباً ولافحّاشاً ولالعاناً ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : « **ماله تربت جبينه** » (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلّل بلسانه كما تتخلل البقرة** » (٣) .

وعن جابر بن عبد الله رضي عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليّ ، وأبعدكم منى يوم القيامة ، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » (٤).

وكلما كان المرء لين الحديث بعيداً عن المراء ، غير جارح في حديثه وخطابه ينتقي الكلمات اللطيفة والأجوبة الرفيقة كلما كان متفاعلاً محبوباً مقبولاً لدى الآخرين .

عن جابر رضي الله قال :« **ما سئل النبيُّ ﷺ عن شيء قطّ فقال : لا** » (٥) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « خدمت النبىّ ﷺ عشر سنين ، فما

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/ ٤٦٧ رقم الحديث ٦٠٣١ .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي ، انظر النووي ، رياض الصالحين ص ٥٥١ رقم (١٧٤٦) .

(٤) أخرجه أبو داود والترمذي ، انظر النووي ، رياض الصالحين ص ٥٥١ رقم (١٧٤٧) ، ومعنى المتشدق المتطاول على الناس بكلامه . ويتكلم بملء فيه تفاصحاً ، والمتفيهق : أصله من الفهق وهو الإمتلاء وهو الذى يملأ فمه تكبراً وإرتفاعاً .

(٥) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠ / ٤٧٠ رقم الحديث (٦٠٣٤)

قال لى أفٍ ولا: لم صنعتَ ؟ ولا: ألا صنعت ؟ » (١).

٢ ـ سلوك السيما والهيئة :

ويتعلق بهيئة الفرد وملامح وجهه ، والطابع المميز لقسماته ، والسيما التي تغلب عليه عند ملاقاة الآخرين ، والفرد إما أن يعرف بأريحيته وطلاقة وجهه وانبساط أساريره فيكسب الناس ويملك مشاعرهم ، وإما أن يكون مقطب الجبين عابس الوجه أو صلباً جامداً غير متفاعل في هيئته فيعرض عنه الناس ويجتنبوه ، أو يتعاملوا معه تعاملاً رسمياً وفق الحاجة ، أما التعامل التربوي المؤثر فلابد فيه من مراعاة سلوك الهيئة والسيما واعتبار ملامح الإنسان وقسمات وجهه عنصراً مهماً في التفاعل ، ورسالة لاغنى عنها للإذن بالاندماج أو عدمه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق** » (٢) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تبسمك في وجه أخيك صدقة** » (٣) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طَلْق، وأن تُفرغ من دلوك في إناء أخيك** » (٤) . وقد عاتب الله نبيه عندما تلهى عن عبد الله بن أم مكتوم وأعرض عنه ،وكان قد جاء ليتعلم من الرسول ﷺ أمر دينه . وما كان لهذه

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر حجر ، فتح البارى ١٠/ ٤٧١ رقم الحديث (٦٠٣٨) .

(٢) أخرجه البزار بسند حسن ، انظر ابن حجر ، فتح البارى : ١٠٩/ ٤٧٤ .

(٣) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفورى ، تحفة الأحوذي : ٦/ ٨٩ رقم الحديث (٢٠٢٢) .

(٤) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفورى ، تحفة الأحوذي : ٦/ ١٠٦ رقم الحديث (٢٠٣٧) .

الحادثة أن تمر دون تنبيه ملفت واضح ـ في فواتح سورة عبس ـ يستفيد منه الرسول ﷺ والمربون من بعده .

قال تعالى : ﴿ **عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألايزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة** ﴾ .

٣ ـ السلوك التعاملي العادي :

ويتعلق بطريقة الفرد المعتادة في التعامل ، وأسلوبه المتبع عند الاحتكاك بالآخرين من حيث الأمر والنهي ، والتوجيه والتكليف ، والنصح والتعليم ، ومن حيث مدى مراعاة اختلاف الأحوال والقدرات والإمكانات .

فالفرد إذا اعتاد أن يكون سهلاً ميسراً ورفيقاً شفيقاً ، وإذا لمح فيه الناس الميل إلى اليسر والسماحة وكان دائماً يختار الطريق الأرفق والبديل الأحسن ولوعلى حساب نفسه ، أحبه الناس وتقربوا إليه وتفاعلوا معه وشاركوه مشاعره بل ربما صار العدو ولياً حميماً بسبب هدا التعامل .

قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾ [1] .

وكان رسول الله ﷺ كذلك ، فقد اعتاد التيسير والسماحة وكان رفيقاً شفيقاً سهلاً ليناً حسن التعامل ،يرأف بالناس ويبتغي التيسير عليهم ، ويختار الأرفق بهم .

---

(١) سورة فصلت : ٣٣/ ٣٤.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ، مالم يكن إثماً . فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم بها لله » [١] .

وكان رسول الله ﷺ يدعو لاتخاذ هذا الأسلوب والاعتياد عليه في دعوة الناس وتربيتهم ومعالجة قضاياهم وفي توجيههم والتعامل معهم .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبى ﷺ :

« يسروا ولاتعسروا ، وسكنوا ولاتنفروا » [٢] .

وعن أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ، لما بعثهما الرسول ﷺ قال لهما : « يسّرا ولاتعسّرا ، وبشّرا ولاتنفّرا ، وتطاوعا » [٣] .

٤ ـ السلوك العلاجي

وهو السلوك الذي تواجه به المشكلات المستجدة والمواقف المفاجئة ، ويتعلق بطبيعة معالجة المربي لما يحدثه الناس من أمور غير متوقعة ، ولما يتخذونه من مواقف أو يقومون به من أعمال تثير الغيظ وتوغر الصدر أو تحمل على التشفي وإيقاع العقاب ، ويدخل في هذا مايقع فيه المبتدئون والصغار والجهال من مخالفة للعرف أو تساهل بالنظام أو عدم اكتراث بمقامات الناس .

والفرد كلما كان قادراً على مواجهة هذه المواقف والتعامل معها تعاملاً مناسباً من الناحيتين النفسية والموضوعية كلما نجح في إقامة العلاقة وبناء الصداقة وتأليف الناس وكسبهم ومن ثم التأثير فيهم ، ومن ذلك القدرة على تقدير ظروفهم

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠ / ٥٤١ رقم الحديث (٦١٢٦) .

(٢) أخرجه البخاري ، انظرابن حجر ، فتح الباري : ١٠/ ٥٤١ رقم الحديث (٦١٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/ ٥٤١ رقم الحديث (٦١٢٤) .

وإنزالهم منازلهم ، ومخاطبتهم على قدر عقولهم ، واعتبار مستوياتهم العمرية والثقافية والنفسية ، فليس المتربي الجديد كالقديم ، ولا المبتدىء كالمتمكن ، ولا الصغير كالكبير ، ولا الهادىء كالغضوب والجاهل كالعالم وهكذا .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد ، فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « **دعوه .(لاتزرموه) وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء ـ أو سجلاً من ماء ـ فإنما بعثتم ميسيرين ولم تبعثوا معسرين** » (١) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : « أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله : ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه !! فقال : ادنه . فدنا منه قريباً قال : فجلس ، قال :أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أفتحبه لأختك؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال ولاالناس يحبونه لأخواتهم . قال: أفتحبه لعمتك ؟ قال : لاوالله جعلني الله فدءاك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » (٢) .

٥ ـ السلوك التعاوني

ويتعلق بطريقة المربي في التعامل مع احتياجات الآخرين المادية والصحية والنفسية والاجتماعية ، وبمدى إيجابيته في مجالات البذل والصلة والتفقد ، وبمدى

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/ ٥٤١ ، ٥٤٢ رقم الحديث (٦١٢٨) ،قوله : لاتزرموه من الإزرام ، أي لاتقطعو عليه بوله ، وهذه الكلمة من رواية أخرى لأنس بن مالك رضى الله عنه أنظر ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/٤٦٣رقم (٦٠٢٥).

(٢) أخرجه أحمد ، أنظر المسند ٥/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ورواه الطبراني ، أنظر محمد نور سويد التربية النبوية =

مبادرته وكفاءته في أنشطة التكافل الاجتماعي ، فالفرد كلما كان عطوفاً متعاوناً ، بذولا لماله وجاهه ووقته وجهده ، كلما مالت إليه قلوب الناس ، وأقبلت عليه وأحبته .

والمجال التعاوني يعد من أهم وأوضح المجالات السلوكية المرتبطة بدعوة الناس وتربيتهم ، والمؤثرة في تقبلهم وتفاعلهم مع المربى ، كثيرة هي الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والنماذج ، والسير ، التي تبيِّن هذا وتحث عليه . كما أن رجال التربية وعلم النفس والاجتماع أشاروا كثيراً إلى دور السلوك التكافلي في التربية ، بل إن هناك مدارس في علم النفس والتربية ترى أن التربية لايمكن أن تصلح إلابمراعاة الحاجات الإنسانية وإشباعها مبكراً أو جنباً إلى جنب أثناء التربية [1] ، فلا يمكن أن نُعلم الإنسان قبل أن نَسدّ جوعه وعطشه ، ولا أن نربيه دون أن نزيح العوائق النفسية والمادية التي تواجهه من عوز ومرض وخوف وجور ، ولا أن نُعدِّل فكره ومشاعره وسلوكه دون أن نشعره بالنصرة والتأييد والإحترام عند حاجته لذلك .

ومن السلوكيات التعاونية التي عُني بها المنهج الإسلامي : الصدقة ، والهدية ، والمكافأة ، والقرض الحسن ، والشفاعة ، والزيارة ، وعيادة المريض ومواساة المصاب، ونصرة المظلوم ، وقِرى الضيف ، وإجابة الدعوة ، والإيثار ، والسعي في حاجات الآخرين ، وحسن الجوار، والنصيحة والمشورة ، والدعاء في ظهر الغيب وغير ذلك من أنواع البر والإحسان .

= للطفل ص ٣٦٢ . وقد سبق ذكر هذا الحديث في باب النمو .

(١) لتفصيل أكثر حول المدرسة الإنسانية ، وحول السلم الهرمي الذي اقترحه عالم النفس الأمريكي (ماسلو) عن الحاجات الإنسانية يمكن الرجوع إلى كتاب The Third Force : The Psychology of Abraham Maslow وقد ورد ذكر هذه النظرية في باب الدوافع من هذا الكتاب .

وتعامل المربي مع المتربي على أساس من هذه السلوكيات التعاونية له أثر إيجابي بالغ في إحداث تفاعل المتربي وانسجامه خلال المسيرة الدعوية والتربوية . أما شواهد وأدلة الأنشطة التعاونية في الإسلام فكثيرة جداً ، يعقد لها العلماء فصولاً كبيرة في كتبهم تحت عنوان : الآداب ، أو الأخلاق ، أو البر والصلة ، أو الفضائل ، .. إلخ . ومن يريد التوسع في هذا يجده في مظانه المذكورة من كتب الحديث وشروحها ، وكتب الفضائل والسير[1] .

٦ ـ السلوك التكميلي (الترفيه والدعابة والمزاح)

ويتعلق بكماليات السلوك وملطفاته ، حيث يُتخذ من أساليب الترفيه ، وأنواع الترويح ما يُخَففُ به ثقل التربية وجفافها وقسوة البيئة العلمية والعملية وجديتها . من ذلك الدعابة ، والممازحة بين الحين والحين ، والملاطفة والتورية في الحديث على سبيل الإلغاز ، والمعاتبة ، والتعليق دون جرح للمشاعر ، والملاعبة بما لايذهب الهيبة ولايغلب على المربي .

ولابد من مراعاة الناس في هذا ومدى حاجتهم إليه ؛ فالحاجة إليه عند الحديث إلى الصغار أكثر من الكبار ، وإلى العامة أكثر من الخاصة ، وإلى المبتدئين أكثر من المتمكنين ، والكلّ يحتاج ذلك بقدر .

وقد كان رسول الله ﷺ نموذجاً في سلوكه في هذا الجانب كما كان في غيره . وإليك بعض الأمثلة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قالوا : يارسول الله إنك تداعبنا ؟ قال :

---

(١) من ذلك فتح الباري (كتاب الأدب) وتحفة الأحوذي (أبواب البر والصلة) وكتاب (زاد المعاد) لابن القيم ، ويوجد الكثير من الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع في كتاب رياض الصالحين للنووي رحمه الله .

إني لا أقول إلا حقاً » [١] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه « أن النبى ﷺ قال له : **ياذا الأذنين** » قال أبو أسامة ـ من رواة الحديث ـ إنما يعنى به أن يمازحه [٢] .

وعن أنس رضى الله عنه : أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ قال : **إني حاملك على ولد ناقة** . فقال : يارسول الله ماأصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ : **وهل تلد الإبل إلا النوق ؟ »** .

وعن محمود بن الربيع رضى الله عنه قال : إني لأعقل مجةً مجها رسول الله ﷺ في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو » [٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدخل على أم سليم ولها ابن من أبى طلحة يُكنَّى أبا عمير وكان يمازحه فدخل عليه فرآه حزيناً ، فقال : مالي أرى أبا عمير حزيناً . فقيل مات نغره الذي كان يلعب به . قال :فجعل يقول : **أبا عمير مافعل النغير »** [٤] .

مكتبة المهتدين لأسئلة المقارنة الأديان

(١) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٦/ ١٢٧ رقم الحديث (٢٠٥٨) .

(٢) أخرجه الترمذي، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ١٢٧/٦ رقم الحديث (٢٠٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١/ ٢٠٧ رقم الحديث (٧٧) .

(٤) أخرجه أحمد ، انظر المسند: ١٨٨/٣.

خصائص المربي الفعّال

للمربي الناجح خصائص عديدة وسمات متنوعة ، تسهم إسهاماً مباشراً في إحداث التفاعل والانسجام بينه وبين الآخرين ، من هذه الخصائص ماهو مكتسب ، ومنها ماهو فطري تقوم البيئة التربوية بصقله واستثماره ، وربما استطاع بعض المربين التطبع بطبائع معينة ـ ليست لديه من قبل ـ إبتغاء إحداث التفاعل التربوى . وهو أمر جيد إذا كان المربي يفتقد الخصائص الفطرية المهمة للتفاعل أو بعضها ، كأن يتعود على التأني إذا كان عجولاً ، أو على التحلّم إذا كان غضوباً ، أو على البذل إذا كان قتوراً .

وقد أشرنا ـ فيما سبق ـ إلى سلوكيات عديدة ، تمثل أجزاء مهمة في السلوك التفاعلي ، كالسلوك اللغوي ، وسلوك السيما والهيئة ، والسلوك العادي ، والسلوك العلاجي ، وتتضمن هذه الأنواع من السلوك بعض الخصائص والسمات المهمة للمربي المتفاعل ، وسنبين ـ فيما يأتي ـ بتفصيل أكثر الخصائص والسمات التي يحتاج إليها المربي ليبني علاقة تربوية متفاعلة ومثمرة . ويمكن أن تصنف هذه الخصائص في زمر أربع هي :

١ ـ زمرة الخصائص المعرفية .

٢ ـ زمرة الخصائص الأسلوبية .

٣ ـ زمرة الخصائص الوجدانية .

٤ ـ زمرة الخصائص الاتصالية .

الخصائص المعرفية

وتشمل ثلاث خصائص هي : خلفية المربي المهنية ، واتساع ثقافته وتنوعها ، والمعرفة الواسعة بالطرف المقابل (المتربي) .

الخلفية المهنية :

هناك ارتباط إيجابى بين الرصيد المهني للمربي وفعاليته الدعوية والتربوية ، فالمربي المؤهل مهنياً في مجال الدعوة أوالتربية تأهيلاً جيداً يغدو أكثر فعالية من المربي الجديد الذي لايملك خبرة وتجربة ، ولايملك المعلومات التربوية المناسبة . والرصيد المهني يشتمل على معرفة المربي بمهارات الاتصال ومعرفة طبيعة التعليم وأساليبه ... الخ ، ولايستوى المربى المعد والمزود بالخبرات والمعلومات ، والمربي الذي يرتجل أعماله .

ولذلك عُني القرآن بتزويد الدعاة والمربين بالتوجيهات والخبرات التربوية ، وببيان طبيعة الدعوة ، وطبائع المدعوين، وكيفيات التعامل معهم ، وتحديد الغايات وأنواع الأعمال والبرامج للوصول إليها ، كل ذلك لإكساب المربين الخبرة والدراية في مجال الاتصال والدعوة ، والفقه فيهما .

وكذلك الرسول ﷺ كان يدرب أصحابه ، ويزودهم بالخبرات والتوجيهات اللازمة ، والمعلومات ، ويصحح أخطاءهم ، كل ذلك بطريقة علمية توجيهية ، وبمواقف عملية تطبيقية ؛ حتى تخرّج من مدرسته علماء ذوي خبرة تربوية نادرة ، أتقنوا التفاعل والاتصال ونجحوا في كسب الأفراد والجماعات ، وإدخالهم في الإسلام ، وتعليمهم إياه ، فأحبهم الناس وأقبلوا عليهم.

ونوضح ذلك بأخذ أحد النماذج من جيل الصحابة ، لنتعرف على الخلفية

والدربة اللتين تزود بهما من المربي الأول من الرسول ﷺ ، هذا النموذج هو معاذ ابن جبل ، فقد وجهه الرسول ﷺ توجيهات عديدة ، وأوصاه بوصايا جليلة،حتى تضلع بالعلم والحكمة ، وبعثه للدعوة والتعليم ، وصار يعلم الناس ويرعى شئونهم، وإليك أمثلة من خلفيته التي تلقاها من الرسول ﷺ ، ومن مواقفه وأحواله، نقلنا أكثرها من مسند معاذ ابن جبل رضي الله عنه ، من كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

عن معاذ بن جبل أنه قال : يارسول الله أوصني . قال رسول الله صلى عليه وسلم : **إتق الله حيثما كنت** . قال زدني قال : **اتبع السيئة الحسنة تمحها** . قال: زدني . قال : **خالق الناس بخلق حسن** [١].

وعنه أيضا أن النبي ﷺ أخذ بيده يوماً ثم قال : **يا معاذ إني لأحبك** . فقال له معاذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك . قال : **أوصيك يا معاذ لاتدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** [٢] .

وعنه أيضا رضى الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان ، قال : **أن تحب لله، وتبغض لله ، وتعمل لسانك في ذكر الله . قال : وماذا يا رسول الله ؟ قال : وأن تحب للناس ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك** [٣] .

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ خرج بالناس قبل غزوه تبوك .... فبينما معاذ على أثر رسول الله ﷺ ... ناداه ، فقال : يا معاذ ، قال : لبيك يا نبيَّ الله . قال : أدن دونك . فدنا منه حتى لصقت راحلتهما إحداهما بالأخرى فقال رسول الله ﷺ : ماكنت أحسب الناس منا كمكانهم من البعد . فقال معاذ : يا نبيَّ الله نعس

---

(١) أخرجه أحمد ، المسند : ٥/ ٢٣٦ ، وأخرجه الترمذي ، والحديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه أحمد ، المسند : ٥/٢٤٥.

(٣) أخرجه أحمد ، المسند : ٥/٢٤٧.

الناس ، فتفرقت بهم ركابهم ترتع وتسير . فقال رسول الله ﷺ : وأنا كنت ناعساً. فلمّا رأى بشرى رسول الله ﷺ إليه وخلوته له قال : يارسول الله ائذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني . فقال نبي الله ﷺ : سلني عم شئت . قال : يا نبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة ، لا أسألك عن شيء غيرها . قال نبي الله ﷺ : بخ بخ بخ لقد سألت بعظيم ، لقد سألت بعظيم ـ ثلاثاً ـ وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير . فلم يحدثه بشيء إلا قاله له ثلاث مرات ، يعنى أعاده عليه ثلاث مرات حرصاً لكي يتقنه عنه ، فقال نبي الله ﷺ : تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتقيم الصلاة ، وتعبد الله وحده لاتشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك . فقال : يا نبيَّ الله أعد لي . فأعادها ثلاث مرات ثم قال نبي الله ﷺ : إن شئت حدثتك يامعاذ برأس هذا الأمر، وقوام هذا الأمر ، وذروة السنام . فقال معاذ: بلى بأبي وأمي أنت يانبي الله فحدثني . فقال نبي الله ﷺ : إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له ،وأن محمدا عبده ورسوله ، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله ، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويشهدوا أن لاإله إلاالله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلابحقها ، وحسابهم على الله عز وجل . وقال رسول الله ﷺ : **والذي نفس محمد بيده ماشحب وجه ولا اغبرت قدم في عمل تبتغي فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله ، ولاثقل ميزان عبد كدابة تنفق له في سبيل الله أويحمل عليها في سبيل الله** (١) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : **يا معاذ أن يهدي الله على يديك رجلاً من أهل الشرك خيرٌ لك أن يكون لك حمر النعم** (٢).

---

(١) أخرجه أحمد ،المسند ٥ / ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) أخرجه أحمد ، المسند ٥/ ٢٣٨ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : **إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب** (١) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن فقال : **كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟** قال : أقضى بما في كتاب الله . قال : **فإن لم يكن في كتاب الله** . قال : فبسنة رسول الله ﷺ . قال : فإن لم تكن في سنة رسول الله ﷺ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . قال : فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ (٢) .

وعن أبي إدريس الخولاني قال : دخلت مسجد دمشق الشام فإذا أنا بفتىً براّق الثنايا ، وإذا الناس حوله ، إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه ، فقيل هذا معاذ بن جبل ، فلما كان الغد هجّرت فوجدته قد سبقني بالهجير، وقال إسحق : بالتهجير ، ووجدته يصلي، فانتظرته حتى إذا قضى صلاته جئته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، فقلت له : والله إني لأحبك في الله عز وجل. فقال : آلله ، فقلت : آلله . فقال : آلله . فقلت : آلله . فاخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه ، وقال: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **قال الله عز وجل : وجبت محبتي للمتحابين فيّ . والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتباذلين فِيّ** (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٣/ ٤١٨ رقم الحديث (١٤٩٦) .

(٢) أخرجه أحمد ، المسند : ٥/ ٢٣٠ .

(٣) أخرجه أحمد ، المسند : ٥/ ٢٣٣ .

إتساع الثقافة وتنوعها :

بأن يتصف المربى بالمعرفة بالمسائل التى تقع خارج إطار تخصصه ، وبالاطلاع الواسع في المجالات الشرعية والاجتماعية والأدبية والسياسية ، وبالحرص على متابعة الأحوال والأحداث وخصوصاً في مجتمعه القريب .

وقد دلت بعض الدراسات التي تمت لمعرفة العوامل المؤثرة في فعالية المربي وجاذبيته أن المعلمين الأكثر فعالية يملكون إهتمامات قوية وواسعة في المسائل الاجتماعية والأدبية ونحوها [1].

ولقد كان المربون الأول يملكون هذه الخاصية ، فهم متبحرون في كافة العلوم، فالفقيه لم يكن ذا ثقافة فقهية فقط بل كان متضلعاً في اللغة والأدب والسيرة والتاريخ ، والمؤرخ كان مطلعاً على الفقه واللغة والجغرافيا والمذاهب ، بل إن اللغوي كان ذا شأن في المسائل الفقهية والتاريخية والأدبية . كانوا مطلعين على كل ذلك فضلاً عن إتقان الأساسيات كحفظ القرآن والتزود من التفسير والحديث ، ومع أحوال المجتمع وأحداثه ، ومستجداته السياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها .

وقد افتقد المربون هذه الخاصية في هذا العصر ـ إلا ماشاء الله ـ وصاروا يتخصصون في مجالات ضيقة محدودة لايخرجون عنها إلانادرا ، وأثّر هذا على طبيعة العلاقة بالمتربي ، حيث صارت علاقة وظيفية روتينية جامدة ، وصار من المستغرب جداً أن يخرج المربى أو المعلم عن نطاق مادته أو تخصصه ، وتجد التلاميذ يستبشرون ويفرحون عندما يجدون أن المعلم ـ وإن كان معلم نحو أو فقه أو تاريخ ـ يتطرق للقضايا الاجتماعية والسياسية والأدبية الساخنة وغير الساخنة ، تتطلع إليه نفوسهم ، وتشرئب إليه أعناقهم ،وتهوي إليه أفئدتهم ، وقد يبنون معه

(١) انظر عبدالمجيد نشواتى ، علم النفس التربوي ص ٢٣٤، ٢٣٥.

علاقة حميمة ، ويقتبسون منه خصالاً حميدة ؛ بسبب من طول باعه في العلوم ، ومناقشته للأحوال والأحداث .

وإذاً فالتربية الفعالة لاترتبط فقط بتفوق المربي في ميدان تخصصه ومهنته ، بل ترتبط أيضاً باتساع إهتماماته ومعلوماته ، وبمتابعاته المستمرة والواسعة لشئون الناس والمجتمع والأمة . وكلما كان حظّه في هذا أوسع كان إلى الإتصال بالناس أقرب وإلى التأثير فيهم أبلغ .

المعرفة الواسعة بالطرف المقابل :

كان رسول الله ﷺ يعتمد اعتماداً كبيراً على هذه الخاصية في الإتصال بالمدعوين والمتربين ، والتقرب إليهم والتأثير فيهم . فهو يعرف أسمائهم ، وبعض خصائصهم ، وأسماء قبائلهم ، وتاريخ تلك القبائل وأسماء بلدانهم ، وخصائص تلك البلدان ، ويعرف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وهذا فيما يتعلق بالأبعدين والمستجدين ، أما أصحابه ممن حوله ، والمقربين منه ، فيعرف كل شيء عنهم تقريباً ، حاجتهم واستكفاءهم ، مرضهم وصحتهم ، سفرهم وإقامتهم ، ويعرف مستوياتهم الإيمانية والعلمية والعقلية والنفسية ، ويعرف قدراتهم وحظوظهم في المجالات التربوية والقيادية والمالية والحكمية والدعوية ، ويتحدث مع كل بما يناسبه ، ويكلف كلا منهم وفق خصائصه وقدراته ؛ بل ويلقب بعضهم بما يتلاءم مع أبرزصفة فيه ، فقد لقب أبا بكر بالصديق لقوة إيمانه وتصديقه ، وعمر بالفاروق لقوته في الحق، وخالدا بسيف الله المسلول لشجاعته وإقدامه وهكذا . وشواهد هذه الخاصية في الرسول ﷺ وأهميتها الدعوية والتربوية كثيرة جداً ، ونشير ـ هنا ـ إلى حديث مختصر جامع بيّن فيه الرسول ﷺ خصائص مميزة لمجموعة من صحابته رضي الله عنهم :

عن أنس بن مالك ؛ أن رسول الله ﷺ قال :

« أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي بن أبي طالب ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، ألا وإن لكل أمةٍ أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (١) .

ولاشك أن الفرد كلما كان أعرف بالطرف المقابل كان إليه أقرب ، وببره وصلته أحرى ، وكذلك الطرف المقابل يبادله الشعور ذاته ويكون متقبلاً متأقلما ، بينما جهل الآخرين أو تجاهلهم يبعث الوحشة والنفرة فيهم .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت النبى ﷺ يقول : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وماتناكر منها اختلف » (٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم ،فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر » (٣).

(١) أخرجه ابن ماجه ، انظر صحيح ابن ماجه بتحقيق الألباني : ١/٣١حديث رقم (١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٦ / ٤٢٦ رقم الحديث (٣٣٣٦) .

(٣) أخرجه الترمذي ،انظر التبريزي ، مشكاه المصابيح : ٣/١٣٨٠ رقم الحديث (٤٩٣٤) .

٢ ـ الخصائص الأسلوبية

وتشمل مهارة المربي في استخدام الأساليب غير المباشرة في التربية والتعليم ، وقدرته على استخدام المقدمات والمداخل والأساليب التمهيدية عند نقل المعلومات والخبرات إلى المتربي .

الأساليب غير المباشرة:

فالأسلوب التأثيري غير المباشر ، مثل تقبل شعور المتعلم ، وإلقاء الأسئلة ، والإستبشار عند حدوث التجاوب من المتربي ، وإظهار المدح له ، كل ذلك له أثر في زيادة مشاركة المتربي وفي تحسن عاداته وفي إيجابيته التعلمية [١] .

كذلك إتاحة المربى الفرصة للمتربي ليشارك بطرح آرائه ووجهات نظرة ، وليقوم بالأبحاث المقالية التي يكتب عليها المعلم تقويماً تفصيلياً ، وملاحظات تشرح إيجابيات وسلبيات تلك الأبحاث ، كل ذلك يعد أسلوباً مفيداً في إيجاد الانسجام والتفاعل ، وفي بناء علاقة قوية خارج الإطار الرسمي التقليدى . [٢]

والمربي ـ عموماً ـ إذا اتسم بالحصافة والنباهة اللتين تهديانه إلى إيصال التوجيه والخبرة للمتربى بطريقة عفوية نابعة من ذات البيئة التربوية وظروفها ، وبأسلوب غير مباشر ولامملول ، فإنه يستطيع بناء علاقة أوثق ، وتفاعل تربوي أعمق . أما إذا كان مباشراً في النصح والتوجيه والتعليم ؛ فإنه يفتقد التفاعل بقدر هذه المباشرة .

---

(١) وقد أثبتت بعض الدراسات هذا الترابط ، انظر فلندرز في كتاب(مساعدة المعلمين لتغيير سلوكياتهم) وأنظر فكرى حسن ريان ،التدريس ص ٤٤٩ ـ ٤٥٢ .

(٢) تشير دراسات عديدة إلى جدوى هذاالأسلوب مثل الدراسة التي قام بها : (SNOW) انظر Correlate of Faculity - Srudent Inter action Socioligy of Eduacation 46 : 489 - 498, (1973) .

ومما يلفت النظر أن رسول الله ﷺ كان يكثر من استخدام التربية غير المباشرة ، فهو أحياناً يقوم بالتوجيه والتعليم مستثمراً أحداثاً معينة لكن دون تخصيص ، وبأسلوب « مابال أقوام » إشارة إلى أناس وقعوا في أخطاء وله عليهم ملاحظات ،فينبه إلى مايريد دون جرح لمشاعر أحد ، وليستفيد الناس عامة عن طريق التعليم بالحدث ، وأحياناً بالمدح مع لفت الإنتباه وبأسلوب « نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل » ، وأحياناً بالتنويه بالرجل بما فيه ، وفي هذا جذب وكسب ، وتأنيس وتدريس ، وذلك مثل قوله لأشج عبد القيس ـ وكان سيد قومه ـ : « **إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة** ».

المداخل والأساليب التمهيدية :

يجب إعداد المتعلم ذهنياً للأفكار الجديدة والأنشطة التعليمية المستحدثة ، وقد يتم ذلك ببعث الرغبة في التعلم ،أو بشرح الغرض من النشاط التربوي المعين ، ولابد للمعلم الفعّال من معرفة الوضع الذهنى للمتربي ،فإذا كان في ذهن المتعلم غرض ينوي تحقيقه ، فإن أي تدخل يعوق هذا الغرض لن يحظى منه بغير الرفض ، إلا أن يكون النشاط التربوي من نوع يخدم غرض المتعلم ، أو مما يهتم به المتعلم [١] .

وإذا كان المربى ناجحاً في جلب ذهن المتعلم ، ومجيداً في استخدام الأساليب التمهيدية ، كان أقرب إلى ذهنية المتربى وأحب إلى نفسه ، وأكثر تقبلاً وانسجاماً .

ومن المداخل المهمة أن نلفت انتباه المتعلم إلى الموضوع عن طريق القصة أو الحادثة المناسبة ، وعن طريق الأسئلة المستثيرة للذهن مما له إرتباط بالنشاط التربوي المقصود ، وعن طريق استخدام المعلومات السابقة لدى المتعلم وخصوصاً السارة والمحببة لديه .

---

(١) انظر : فكري حسن ريان ، التدريس ص ٨٩ ، ٩٠ .

أما دخول المربي في الموضوع المطروح والخبرة التربوية الجديدة ، دون مقدمات ومهيئات فإنه يثير مقت التلميذ ، ويؤدي إلى إنصرافه وسلبيته ، ويغلق على المربي باب التفاعل والانسجام من بداية العملية التعليمية ، وهو سلوك يثبط همة المتربى ،ويجعل استيعابه وإقباله محدودين .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

٣ ـ الخصائص الوجدانية

وتشمل خمس خصائص هي : الإخلاص ـ وقد تم التعريف به فيما سبق ـ والعدل ، والأمانة والجود والرحمة .

العـــدل :

فالمربى في كثير من الأحيان يمارس التربية في جو جماعي ، وقد يتعامل مع أفراد في مستوى واحد ، أو بيت واحد ، أو مجال واحد ؛ فيكون سلوكه مع الأفراد تحت مجهر المتربين وأمام عيونهم يزنونه وزناً ، ويعدّون توجهاته على اختلافها عدّاً فإذا ميز بين فرد وفرد ، أو بين أخ وأخيه ، أو بين زميل وزمليه ، دون مبرر واضح ووجيه سقط في سلم التفاعل درجة أو درجات ، وفقد الانسجام مع المتربين بحسب التوسع في الجوْر .

ومعلوم أن عدم العدل مبني أو مرتبط بالهوى ، أو الكراهية للطرف المجور عليه، وتلبس المربي بالهوى أو الكراهية ، وفقده للموضوعية يقوض قدرته على التفاعل في البيئة التربوية . ويعتبر العدل هو الحد الأدنى الذي يطلبه المتربي في التعامل مع حقوقه ،فالمربي المتفاعل إذا لم يكن محسناً متفضلا ، فلا أقل من أن يكون عادلاً منصفاً في نظراته وشروحاته وامتحاناته ودرجاته وأعطياته .

قال تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ [1] .

فالعدل واجب ومشروع ، وهو الحد الأدنى الذي يتم به صفاء النفوس

---

(١) سورة النحل : ٩٠.

وإحقاق الحق ، والإحسان فوق ذلك ، وهو مندوب مطلوب [١] وبه يحدث ما هو أعظم أثراً في النفوس والقلوب . وقد نبه الرسول ﷺ إلى أهمية العدل ،وأمر به عندما قال : « **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** » [٢]

والأب الذي يجور فيفضل بعض أولاده على الآخر يفقد عنصراً مهما من عناصر التفاعل التربوي ، ويكون حواجز نفسية ومنطقية ، تحول بينه وبين إيقاع الأثر التربوي المناسب ، وكذلك المعلم مع طلابه ، والشيخ مع تلاميذه .

الأمانة :

بأن يكون المربي صادقاً وأميناً في تعامله مع تلاميذه ، وأن يبني الثقة في نفوسهم ، وسمة الأمانة أو الموثوقية ضرورية لبناء العلاقات ، ولإحداث التفاعل المطلوب ، وذلك لأسباب عديدة .

منها : أن سلوكيات التفاعل تشمل تبادل الأسرار ، والاطلاع على أحوال المتربي الشخصية والاجتماعية والنفسية مما لايتاح إلا لصفوة من المقربين ، وليحقق المربي ذلك المستوى من العلاقة لابد أن يكون موثوقاً وأميناً وأن يظهر ذلك في سلوكه وتعامله .

أما إذا كان المربي متقلباً لايوثق به ، ناقلاً للأخبار ، لايحفظ سراً ولايرعى عهداً ، فإنه لايمكن أن يُستأمن ، ولا أن يُفضى إليه بالدقائق ، ولا أن يُطلع على القضايا الخطرة والخاصة ، ومن ثمّ فإنه لايمكن أن يكون متفاعلاً مندمجاً حق الاندماج مع المتربي ، بل ربما كان أقرب إلى السطحية ، والكذب في معاملته ، وإلى تعدد الوجوه في مسالكه ، بحيث لايعتمد عليه ، ولاتؤمن بوائقه ، وقد نبه

---

(١) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٢١٨.

(٢) اخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٥/ ٢٥٠ رقم الحديث (٢٥٨٧) .

الرسول ﷺ إلى خطورة هذا النوع من الناس .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« ما ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً » (١) .

ومنها : أن إبداء المشورة والنصح للمتربي يعتمد اعتماداً كبيراً على أمانة المتربى وصدقه ، وعلى مدى الثقة به ، ولهذا أكد الرسول ﷺ على ذلك .

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« المستشار مؤتمن » (٢) .

والمشورة والنصح وتبادل الآراء ، تُعدُّ سلوكيات تفاعلية ، تدل على مدى الاندماج والانسجام بين المعلم وطلابه ، والأب وأبنائه ، والداعية وجماهيره . والعكس بالعكس ، فكون المربي غير ثقة يؤدي إلى منع المتربي من الاستشارة ، وطلب النصيحة ، وهذا من أهم علامات فقد التفاعل والإندماج في الوسط التربوي .

وقد اشتهر رسول الله ﷺ بخلق الأمانة من قبل بعثته ، فكان يُدْعى الأمين ، وكأنه لأهمية هذا الخلق في الدعوة والتربية عُرف به مبكراً ؛ ليكون أساساً وممهداً للدخول مع الناس والتأثير فيهم . وقد أحب الناس الرسول ﷺ لذلك ، وأقبلوا عليه ، وتأثروا به ، وبهذه الصفة والصفات الأخرى ملك قلوب الناس ، وصار مرجعاً لاستشاراتهم، ومستودعاً لأسرارهم وأماناتهم .

---

(١) أخرجه أحمد ، المسند : ٢/٣٦٥ .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، انظر الألباني ، صحيح سنن ابن ماجة : ٢/ ٣٠٩ رقم الحديث (٣٠٢٠) .

وقال عنه الألباني : صحيح .

الجـود :

حيث يبـذل المربي من وقتـه وماله وجـاهه ماينال به قـيمة وحظوة عنـد المتربي وبخاصـة إذا عُلِمَ أن المتربـي في موقـع اسـتقبال وتلقـي ، والمربي في محل سلطة وقوة . والكريم الجواد يملك النفوس ، ويأسر القلوب بمعروفـه وسماحته ومواساته . والمواقف الاجتماعية والتربوية تتضمن حـالات عجز وتظلم وعوز ، تحتاج معها إلى المعـونة والنصـرة والشفـاعـة ، فـإذا كان المربي أو الـداعيـة ذا بـذل وعطاء ، وكـرم وسخاء ، تفاعل معه الناس ، وسعوا إليه ، واستعانوا به .

وقد كان رسول الله ﷺ جوادا، بل كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، كما ورد في صحيح البخارى [١].

ولهذا كـان أصـحابه يسـتعينون به ، ويلجأون إليـه ، ويعرضون مـشكلاتهم عليـه ، وكان يتعـرف على أحوالهم وحـاجاتهم ، يكـرم الوافد ، ويقرى الـضيف ، ويعين الضعـيف ، وينصر المظلوم ، ويشفع عند الحـاجة ، وربما تبرع بخاصـة ماله ، وكسـوته ، وطعامه وآثر بهـا غيره ، وتأثر تلامـذته من الصحابة رضـوان الله عليهم بذلك أيما تأثر ، حـتى قامت بينهم أشـد الروابط ، وأعظم الوشـائج ،وحققـوا أعلى المستويات في التفاعل والإندماج .

قال تعـالى : « ﴿ للفقراء المهـاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبـتغون فضـلاً من الله ورضواناً وينصـرون الله ورسوله أولئك هم الصـادقـون * والذين تبـوءوا الدار والإيمان من قـبلهم يحـبـون من هاجـر إليـهم ولايجـدون في صـدورهم حـاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خـصاصـة ومن يـوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [٢].

---

(١) انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١/٤٠ رقم الحديث (٦) .

(٢) سورة الحشر : ٨ ، ٩ .

ونضرب لذلك مثالاً عملياً من سيرة الرسول ﷺ مع مدعويه ، وسير الصحابة بعضهم مع بعض ، ذلك المثال جزء من قصة وفد عبد القيس ، عندما قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة ، وفيه يتضح مدى ارتباط الإستجابة للتعلم بالإكرام والمواساة .

عن شهاب بن عباد أنه سمع وفد عبد القيس وهم يقولون :

قدمنا على رسول الله ﷺ ، فاشتد فرحهم بنا ، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا ، فقعدنا ، فرحب بنا النبي ﷺ ودعا لنا ، ثم نظر إلينا فقال : من سيدكم وزعيمكم ؟ فأشرنا بأجمعنا إلى المنذر بن عائذ ، فقال النبي ﷺ : أهذا الأشج ! وكان هذا أول يوم وضع عليه هذا الاسم بضربة لوجهه بحافر حمار ، قلنا : نعم يارسول الله . فتخلف بعد القوم فعقل رواحلهم وضم متاعهم ،ثم أخرج عيبته فألقى عنه ثياب السفر ولبس من صالح ثيابه ، ثم أقبل إلى النبي ﷺ وقد بسط النبى ﷺ رجله واتكأ ، فلما دنا منه الأشج أوسع القوم له ، وقالوا : هاهنا ياأشج . فقال النبى ﷺ ، واستوى قاعداً وقبض رجله : ههنا يا أشج . فقعد عن يمين النبي ﷺ ، فرحب به وألطفه ، وسأله عن بلاده ، وسمى له قرية الصفا والمشقر وغير ذلك من قرى هجر ، فقال : بأبي وأمي يا رسول الله لأنت أعلم بأسماء قرانا منا . فقال : إني قد وطئت بلادكم وفسح لي فيها . قال ثم أقبل على الأنصار فقال : يامعشر الأنصار أكرموا إخوانكم فإنهم أشباهكم في الإسلام ، أشبه شيئاًبكم أشعاراً وأبشاراً ، أسلموا طائعين غير مكرهين ولاموتورين ، إذْ أبى قوم أن يسلموا حتى قُتلوا . قال : فلما أن أصبحوا قال : كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم ، وضيافتهم إياكم ؟ ، قالوا : خير إخوان ، ألانوا فراشنا ، وأطابوا مطعمنا ، وباتوا وأصبحوا يعلمونا كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا ﷺ . فأعجب النبى ﷺ، وفرح بها ، ثم أقبل علينا رجلا رجلا ، فعرضنا عليه ما تعلمنا ، وعلّمنا فناً من علم

التحيات وأم الكتاب والسورة والسورتين والسنن (١) .

وينبهنا هذا النص إلى العديد من قواعد التفاعل الدعوي وآثارها التربوية ، ومنها :

١ ـ ربط قضايا التعلم بالمعايشة ، حيث نجد الإختلاط ، والمبيت ، والخدمة ، والمتابعة للوفد من قبل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم .

٢ ـ أجاب الوفد الرسول ﷺ عندما سألهم : كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم ؟ بأن قرنوا بين القرى والإكرام الذي كانوا فيه وبين التعلم الذي حصلوا عليه، حيث قالوا : خير إخوان ، ألانوا فراشنا ، وأطابوا مطعمنا ، وباتوا وأصبحوا يعلمونا كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا ﷺ . وهذا يشير إلى تأثير مايبذله المربي ويجود به على التعلُّم والتجاوب فيه .

٣ـ أهمية معرفة المربي بتلاميذه ، وأسمائهم ، وأحوالهم ، وبلدانهم وصفاتهم ، وأهمية إشعارهم بأن المربي يتابع شئونهم ويعلم أمورهم ، ولهذا تأثير ملحوظ على تفاعل المتعلمين مع معلمهم ، والمدعوين مع دعاتهم ، وقد أشرنا إلى هذه الصفة في الخصائص المعرفية .

٤ ـ استخدام المربي للثناء والمدح بما هو حق ، تشجيعاً للنفوس ، وتأليفاً للقلوب ، فقد قال الرسول ﷺ في التعريف بالوفد الضيف وفي الأنصار المضيفين : يامعشر الأنصار أكرموا إخوانكم ، فإنهم إشباهكم في الإسلام ، أشبه شيئاً بكم أشعاراً وأبشاراً ،أسلموا طائعين غير مكرهين ولاموتورين ، إذ أبى قوم أن يسلموا حتى قتلوا وقال للأشج في تكملة الحديث : إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٣٢/٣ رقم (١٥٥٩٧) .

الرحمة :

ونعني بها عطف المربي ، ولينه ، وشفقته على الناس وإحساسه بمعاناتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم وتقديره لذلك عند التوجيه والتكليف وعند التعامل والمحاسبة ، بحيث يستطيع أن ينظر إلى المتربى من خلال قدراته وطاقاته ، فلا يحمِّله مالا يطيق ، ولايخاطبه بما لايفهم ، ولايعامله بما يفوق مرحلته العمرية ، ولايحاسبه على مالا يكون في وسعه .

وقد تسمى هذه الخصلة « المشاركة الوجدانية » إشارة إلى أن المعلم يحاول أن يضع نفسه مكان المتعلم ، ليتصور حالته ومستواه ويعايش مشكلته ، فيتعامل معه بما يناسب . ومن منهج الإسلام أن يدرب أبناءه على « المشاركة الوجدانية » فمن حكمة فريضة الصوم في المنهج التربوي الإسلامى أن يعيش المسلم حالة الجوع والعطش والإجهاد ؛ فيتذكر الفقير والمحتاج ، ويتصور حالته ،فيرحمه ويواسيه . ومن حكمة فريضة الحج التجرُّد والبساطة ، حيث تنزل حال الغني إلى حال مساوية أو شبه مساوية لحال الفقير والمعوز في الهيئة والملبس والمكان والحركة ؛ وبهذا يتذكر ويتصور حال إخوانه المسلمين فيواسيهم ويسعى في حاجاتهم .

والرحمة من الخصال الوثيقة الصلة بالتفاعل التربوي لما فيها من المشاركة الوجدانية ، والإحساس بالطرف الآخر ، وتقدير حاله ، وقد نوّه الله تعالى بهذه الخاصية في الرسول ﷺ حيث جعله من أنفس المؤمنين ، يرحمهم ، ويَعلم حالهم ، ويعيش طبعهم ، ويقدر مشاعرهم . قال تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ (١) .

وورد في القرآن ـ في موضع آخر ـ تفصيل آخر لهذه الخاصية ومقابلها ، وما لهما من أثر بالغ في حال الناس إعراضاً وإقبالاً ، رداً واقتداءً ، كرها وحباً .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ (١).

فقد بيّن الله تعالى أنه قد جبل نبيه على الرحمة واللين والشفقة ، فتأثر به الناس ، وأقبلوا عليه وأحبوه وانقادوا له ، ولو كان قاسياً غليظاً ، لتفرّق الناس عنه وأعرضوا ، ولما استطاع أن يغيّر في حياتهم ، وتوجهاتهم ومسالكهم .

وتتضح هذه الخاصية في الرسول ﷺ وتتأكد عند التعامل مع الصغار ، والجهّال ، والمبتدئين ، والأيتام ، والنساء ، والشيوخ ، ونحوهم ، وذلك لزيادة حاجتهم إلى الرحمة والشفقة تقديراً لحالهم ـ وقد أوضحنا جانباً من ذلك فيما سبق ـ ومن أمثلة ذلك رحمة الرسول ﷺ بالصبيان ، فقد كان يعطف عليهم ويداعبهم ، وربما تجوّز في الصلاة ـ وهو يريد الإطالة ـ مراعاة لحالهم وحال أمهاتهم ، ومن التوجيهات المباشرة والعملية مارواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : « أبصر الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل الحسن أو الحسين ، فقال :

إن لي من الولد عشر ة ماقبلت أحداً منهم . فقال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم لا يرحم » (٢).

ولخصلة الرحمة صلة وثيقة بسلوكيات البر والصلة ، بل إن الرحم (بمعنى القرابة) قد تكون مشتقة من الرحمة ، وكلما رحم المرء الناس ، كلما قويت صلته بهم ، وصار بينه وبينهم ما يشبه اللحمة والقرابة ، وصار له من القبول والمحبة عندهم بقدر رحمته وشفقته .

---

(١) سورة آل عمران ، ١٥٩ .

(٢) أخرجه الترمذي ، أنظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٦/ ٢٨ وقال : حديث حسن صحيح .

عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : **« الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء . الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله »** (١) .

وعندما يكون الفرد قاسي القلب ، مسلوب الشفقة على الخلق ، تفسد حاله ، ولايستقيم له أمر ، بل يكون شقياً .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : **« لا تنزع الرحمة إلا من شقي »** (٢).

وبهذا يتبين مالخاصية الرحمة من أهمية كبرى في إحداث التفاعل التربوى ، فهي أساس لابد منه لبناء العلاقات مع الآخرين ، وإعطاء الانطباع الصادق عن المربي ؛ من حيث حرصه ومتابعته وعنايته بشأن المتربي، ومن ثمَّ إحداث الأثر التربوى المناسب .

(١) أخرجه الترمذي ، وقال حسن صحيح ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ٦/ ٥١ ، وأخرجه أبو داود ، وأحمد أيضاً ، وأصل كلمة الشجنة تعنى عروق الشجر المشتبكة .

(٢) أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي ٦ / ٥٠ ،وأخرجه أحمد وابن ماجه في صحيحه .

٤ ـ الخصائص الاتصالية

وتشمل ثلاث خصال هي : المرونة ، والتوازن في الإتصال ، والقرب .

المرونـة:

وهي قدرة المربي على تقدير الموقف ، والموضوع ، والتعامل معه في أقصى حد ممكن من الإستطاعة ، حسب مايتطلبه الحال أو الشخص ، وبما يؤدى إلى تحقيق الأهداف ،وذلك ضمن الضوابط الشرعية .

والمعروف أن الشرع ميسّر وواسع ويسعى لتحقيق راحة الإنسان وسعادته ومصلحته ، قال الله تعالى : ﴿ **ونيسرك لليسرى** ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر** ﴾ (٢) .

وقدكان رسول الله ﷺ مَرِناً ، إلى أقصى حد ممكن وخصوصاً في مواقفه التربوية ، والتي يتعامل فيها مع طبقات الناس المتعددة وأحوالهم المتغيرة ، ومشكلاتهم المتجددة ،وكانت الدعوة وستظل بحاجة إلى خصلة المرونة في الدعاة والمربين ؛ لكى يكسبوا الناس ويؤثروا فيهم . وقد أشرنا ـ فيما سبق ـ عند الحديث عن السلوك التعاملي إلى عدد من الشواهد والأحاديث ، التى لها علاقة بخصلة المرونة مما يغني عن إعادته .

إن الجمود في طريقة المربي، والإصرار على المطلوبات أو الواجبات بصورة دائمة أو غالبة ، يعطى انطباعاً سلبياً عنه ، وقد يورث الكراهية التي تحول بينه وبين التأثير في المتعلمين تأثيراً صادقاً وعميقاً ، كما أنه يؤدي إلى النفور منه والإعراض

---

(١) سورة الأعلى : ٨ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٥ .

عن إدخاله في القضايا التفصيلية والخاصة ، مما لايحظى به إلا نفر قليل من المربين . ومعلوم أن بناء شخصية المتعلم تتطلب معرفة واسعة بأحواله ،واطلاعاً دقيقاً على جوانب شخصيته وسلوكه ، ولن يحصل هذا للمربى إلا بآلية فعالة يملكها المربى ، منها تلك المرونة المنضبطة بضوابط الشرع والمحاطة ببعد النظر مع التخطيط في ترتيب الأولويات .

وقد كان الرسول ﷺ ـ بنظرته الشرعية التربوية ـ يستقبل أنواع الوفودعلى اختلاف طباعهم وبلادهم ،والأفراد على اختلاف مستوياتهم ومواهبهم ، ويتعامل مع الصغار والكهول والكبار ، ومع النساء والرجال ، وفي الميادين المختلفة من تعلّم ، ودعوة ،وعبادة ، وجهاد وغير ذلك ، فكان يؤثر فيهم بخلق السماحة والمرونة والرعاية أكثر من قالب المخاطبة المباشرة ،والتوجيه ، والنصح .

التوازن الاتصالي :

والمقصود بذلك أن يكون هناك عناية بحسن الخطاب والحوار مع المتعلم ، وحسن الإنصات والاستماع له ؛ فإن العملية التربوية عملية إعلامية إيجابية وليست سلبية ، كما هو حال التعامل مع وسائل الاتصال كالتلفزيون والراديو ونحوهما ، من الوسائل التي تبث من طرف واحد ،دون أن تعطي فرصة لانطباعات المتعلم وآرائه أو تنصت له .

إن الاتصال الإيجابي يعد خاصية مهمة للمربي ، وميزة له لابد من رعايتها واستثمارها بتوازن ، وليس المقصود بالتوازن أن تقسم العملية شطرين ، بأن تجعل الإلقاء ٥٠٪ والإنصات ٥٠٪ ، وإنما المقصود الموازنة بين الأمر بحسب الظرف والموضوع وطبيعة المتعلم ، وأن يحس المربى أنه في مواجهة مستجيب له مشاعره وأفكاره ومسالكه . وأنه لايمكن في أغلب الأحوال ـ توصيل الرسالة إليه على تمامها إلا بطريقة حرة « ديمقراطية» ؛ ومن هنا كان لابد من وضوح الخطاب إليه ،

والعناية بالاستماع لما لديه .

وقد كان هذا واضحاً في طريقة الرسول ﷺ عندما يتصل بالناس أو عندما يتصلون به ، فهو حسن الاستماع والتجاوب مع المتلقي ، مثل ماكان حسن الخطاب والإبانة له ، ونستدل على ذلك ببعض الشواهد من أقواله وأفعاله :

فمن أوضح الأدلة لاستماع الرسول ﷺ ،واستقباله وتجاوبه مع المتعلمين ، حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد ، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ،ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ ـ والنبي ﷺ متكىءبين ظهرانيهم ـ فقلنا:هذا الرجل الأبيض المتكىء . فقال له الرجل : ابن عبد المطلب .فقال له النبي ﷺ : قد أجبتك . فقال الرجل للنبى ﷺ : إنى سائلك فمشدِّد عليك في المسألة ، فلا تجد علي في نفسك . فقال : سل عما بدا لك . فقال : اسألك بربك ورب من قبلك ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلى الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبى ﷺ : اللهم نعم . فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنارسول من ورائى من قومى ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر » (١) .

وقد أشرنا فيما سبق (٢) إلى حديث وابصة بن معبد عندما اخترق الصفوف

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١ /١٧٩ رقم (٦٣) ومعنى أجبتك أي سمعتك ، وقوله : فلا تجد علي: أي لا تغضب عليّ .

(٢) في باب الدوافع .

وجاء يسأل الرسول ﷺ ، وكذلك حديث [١] الفتى الذي جاء يستأذنه ﷺ في الزنى ، فاستقبله الرسول ﷺ وحاوره بهدوء ومنطق . وهناك أحاديث كثيرة جداً تُبين تقبل الرسول ﷺ للأسئلة والإعتراضات والاقتراحات والتعليقات من المتعلمين، وكان يستمع إليهم بقدر ما يوجههم ويرشدهم ويعلمهم ، بل إن الاستماع أحياناً هو سبيل التعليم ،كما في حديث ضمام بن ثعلبة ، على أن المتعلمين عند الرسول ﷺ تختلف طبقاتهم وسابقتهم ومستوياتهم. ومن ثم تختلف أساليب أسئلتهم واعتراضاتهم ، وكان الرسول ﷺ يسع كل ذلك ، ويعطى كل ذى حق حقه .

وفي المقابل كان الرسول ﷺ حسن الحديث، واضح الخطاب ، جليّ العبارة ، يوجز في محل الإيجاز ، ويؤكد ويكرر عند الحاجة للتكرار ،ويطنب إذا اقتضى الحال الإطناب .

عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي ﷺ كان يُحدِّث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه » [٢].

وعنها أيضاً رضي الله عنها قالت : « ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام يُبيّنه ، فَصْلٌ ، يحفظه من جلس إليه » [٣] .

وفي رواية أخرى « إنما كان حديث رسول الله ﷺ فصلاً فهماً تفهمه القلوب » [٤].

وعن أنس رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه كان إذا تكلم لكلمة أعادها ثلاثاً

---

(١) عند تناول السلوك العلاجي في هذا الباب .

(٢) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٦/٦٥٥ ، رقم (٣٥٦٧) .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال حسن صحيح ، انظر المباركفورى ، تحفة الأحوذي : ١٠ / ١٢٣ رقم (٣٧١٩) ، (السرد) هو متابعة الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض ، و(فصل)صفة ثانية لكلام ، أى بيّن ظاهر ، يكون بين أجزائه فصل .

(٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً » (١) .

فهذه الأحاديث تشير إلى عناية الرسول ﷺ بفهم السامع ، واستيعابه ، وحفظه وتجاوبه ، وعدم العجلة عليه ، أو إيقاعه في اللبس والاضطراب .بل الأولى التأني والوضوح المؤديان إلى تحقق الهدف المراد ، بخلاف السرد والتتابع اللذان قد يفوتان على المستمع الفائدة كلها أو بعضها وربما زهد في بضاعة المربي وأعرض عنه .

وانظر إلى الحديث الآتي ففيه تقبل من الرسول ﷺ لسؤال عمر رضى الله عنه واعتراضه ، وفيه إجابة موجزة بينة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله ، نعمل في شيء نأتنِفُه ، أم في شيء قد فُرغ منه ؟ قال : بل في شيء قد فُرغ منه ،قال عمر : ففيم العمل ؟ قال : يا عمر ، لا يُدْرك ذاك إلا بالعمل . قال: إذا نجتهدٌ يارسول الله » (٢).

القرب :

وهي أن يُظهر المربى استعداده لاستقبال المتعلمين والجلوس معهم ، وأن يشعرهم بتوفر الوقت والمكان لديه لمعالجة قضاياهم ، وحل مشكلاتهم، وأن يعتني بسلوكيات القرب ومؤشراته ، مما يلحظه المتعلمون عند الاحتكاك به .

والمراد بالقرب ـ هنا ـ القرب المادي ، وليس القرب المعنوي ؛ فهذا قد تمت مناقشته في أنواع السلوك التفاعلي ، وفي بعض الخصائص السابقة . والقرب المادي

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ١ / ٢٢٧ .رقم (٩٩٥ ، وقد ذكر شراح الحديث أن التكرار ليس دائماً وإنما أحياناً عند الاقتضاء .

(٢) أخرجه ابن حبان ، انظر صحيح ابن حبان ص ٢٧٠ رقم (١٠٨) وقله « نأتنفه » أى أنعمله ابتداء من غيرأن يسبق به قضاء تقدير .

يتمثل في إظهار أوقات الاستقبال وتحديدها ، كالساعات المكتبية والساعات المنزلية، والأيام والأوقات المتوفرة للخروج مع المتعلمين في نشاطاتهم ورحلاتهم وزياراتهم ، وتيسير سبل الاتصال به ، كالاتصال الشخصى والكتابى والهاتفي ، ومدى الاستعداد لتذليل وسيلة النقل كالسيارة ونحوها عند الحاجة .

والخلاصة : أن كل ما يُظهر المربي من استعداد ليكون قريباً من تلاميذه ، لتربيتهم والعناية بحاجاتهم ، وحل مشكلاتهم فهو من خاصية القرب .

وهذه الخاصية تشتمل على درجتين من القرب ، قرب مطلق ،وهو أن يكون وقت المربي متوفراً للمتربى في كل حين وفي كل مكان وبكل الوسائل ، وقرب مقيَّد ؛ بأن يكون للمربي أوقات محددة وكافية للعناية بالمتعلمين وتوجيههم ، وتكون هذه الأوقات معروفة لديهم من حيث الزمن والمكان والوسيلة .

وقدكان كثير من العلماء ، وطلاب العلم ،والمربين في القديم والحديث يبذلون أنفسهم ، ويُظهرون الاستعداد وقتاً ومكاناً لاستقبال المتعلمين والعناية بهم .

وكان الرائد في هذا رسول الله ﷺ . فقد بُعث معلماً ، يتوفر لطلابه في معظم أحيانه ،فهم يجدونه في المسجد ، فإن لم يكن ففي السوق أو الطريق ، فإن لم يكن ذهبوا إلى بيته ،وكان ﷺ يستقبلهم ، ويعلمهم ، ويجيب على أسئلتهم ، ولم يكن من عادته حجب الناس عنه أو ردهم بل كان يستقبلهم ، ويبتسم لهم دائماً .

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : « ماحجبنى النبي ﷺ منذ أسلمت ، ولا رانى إلا ابتسم في وجهى » [1] .

وعن عبد الله بن الحارث قال « ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٧ / ١٦٤ ، رقم (٣٨٢٢) .

الله ﷺ » [١] .

وكان ﷺ يستقبل أنواع الناس على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم ، يستقبل الأعرابي والمتعلم ، والمرأة والرجل ،والطفل والشاب ، والكهل والشيخ والعجوز والسيد والمولى والجارية ، وكلٌ يحسُّ بحظوة عنده ومكانة كأنها ليست لغيره ، وهي للجميع ، وربما أطال من جلس عنده ، فاستحيا منه الرسول ﷺ ولم يشعر بذلك ، وربما أطال من استوقفه في الطريق أو في المسجد ،فلم يعنفه أو ينصرف عنه . وقصصه في هذا كثيرة جداً ،لايسع المقام لذكرها .

وكان لهذه الخاصية أثراً بارزاً في تفاعل الناس مع الرسول ﷺ ، وإقبالهم عليه، وتقبلهم منه ورغبتهم في العلم والعمل الذي يوجههم إليه عن قناعة ومحبة ، وكان التلاميذ مندمجين بشخصيته ﷺ أيما اندماج، دونما تبذُّل أو تكلف ، مما جعل الناتج التربوي أصيلاً وعميقاً من جهة ، وواسعاً ومنتشراً من جهة أخرى.

وقد تناول الباحثون في مجال علم النفس ، وفي مجال العلاقات الاجتماعية ، هذه الخاصية بالدراسة ، وافترضوا أن لها علاقة ما ،بمدى إقبال المتعلم أو المتلقى على الأستاذ ؛ ليأخذ منه ،أو يسأله ، أو يقيم علاقة شخصية به ، تتجاوز الاستفادة الوظيفية في المجال الأكاديمى إلى الإستشارة الشخصية والاجتماعية . وكان من بين الافتراضات التى توقعها بعض الباحثين [٢] ـ وكانت صحيحة ـ أن قرب المربى وإظهاره لهذا القرب بتوفير الساعات المكتبية يمكن أن يكون متغيراً مهماً يقع بين عزيمة المسترشد على الذهاب للمربى واستشارته وبين حدوث الاسترشاد فعلا . ومن ثم يكون ظهور المربى قريباً منهم مكاناً ووقتاً وشخصاً (availabity) عاملاً مهما

---

(١) أخرجه الترمذي ، انظر المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ١٠ / ١٢٥ ، رقم (٣٧٢١) .

(٢) انظر Barrett, D , Stuolent - Teacher Personal Interaction In Public High School .

في التفاعل والتأثير والإقبال ، وهذا أيضاً ما أيدته بعض الأبحاث الأخرى ، فقد وجد (ولسن و ودز) [١] أن هناك علاقة مؤثرة بين توفر الأستاذ أو المربي في ساعات معينة ،وظهوره بمظهر المستعد لاستقبال المتعلمين ، وقضاء وقت معهم وبين إقبال هؤلاء المتعلمين عليه ،واستعانتهم به ، وعرض مشكلاتهم عليه .

وعلى هذا الأساس كانت الأبحاث النفسية التربوية توصي كثيراً بتوفير الوقت ، وتنظيمه ، وتحديده للمسترشدين ، وأن يواكب هذا استعداد شخصي ونفسي من المربي ، أو المرشد لاستقبالهم ، والتعامل معهم ،مهما صعبت الظروف وتنوعت .

(١) انظر - Wilson , R., Woods, L . and Gaff , J. ASocial - Psychologial Accessibility and Faculty Student Interaction Beyond The Classroom . S Sociolgy of Education , 47 : 74 - 92 (1974).

الباب الخامس

الشخصية

- تعريفها وطبيعتها في المنظور النفسي
- الشخصية في المنظور الإسلامي
- الروح
- سمات الشخصية الإسلامية

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقالات الأديان

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الشخصية

تعريفها وطبيعتها في المنظور النفسي

تعريف الشخصية :

لفظ « الشخصية » من المصطلحات التي تعددت واختلفت فيه التعريفات ، وقد ذكر إلبورت ـ مثلاً ـ قرابة ٥٠ تعريفاً للشخصية[١] . ويشير المصطلح إلى خاصية التميز لدى الإنسان ، أي مايميزه عن الآخرين ، أو ما يجعله منفرداً ضمن المجموع المشترك في صفات كثيرة . وربما يتضح الأمر لو جعلنا الشخصية مرادفة لضمير المتكلم « أنا » بما يحمله « أنا » من ميول وعزوف ، وإيجابيات وسلبيات ، وقوة وضعف ، عندما تقارن الشخص بالناس .

ولفظ الشخصية لفظ مستخدم على ألسنة الناس فيقولون شخصية قوية أو ضعيفة ، وثابتة أو متذبذبة أو مهزوزة ، وشخصية إيجابية أو جامدة .

ويقول سيد غنيم[٢] إن تعريف الشخصية شيء افتراضي نسبي فليس هناك تعريف صحيح ، وبقية التعريفات خطأ ، وأشار إلى الاتجاهات في تعريف الشخصية ، فمنها ماينظر إلى الشخصية « كمثير » أي من حيث قدرة الفرد على إحداث التأثير في الآخرين ، فيعرف الشخصية بأنها « مجموع مايحدثه الفرد من تأثير في المجتمع » أو هي « تأثيرك في الآخرين » ، ويستند هذا الإتجاه إلى أنه من خلال الأحكام التي يصدرها الآخرون عنك يمكن أن تعرف شخصيتك . ومنها ماينظر إلى الشخصية كاستجابة ، أي من حيث رد فعلها وتأثيرها في الآخرين ،

---

(١) انظر : Duna Schultz (Theoris of Personality) , P. 8 .

(٢) انظر : سيد غنيم ، سيكولوجية الشخصية ص ٤١ ـ ٥١ .

تُعرَّف الشخصية بأنها « استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية ، وأسلوب توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة » ، فشخصية الإنسان هي وظيفة لاستجاباته للمواقف المختلفة . ومنها ماينظر إلى الشخصية كمكون افتراضي داخلي ، أي أنها تنظيم داخلي يمكّننا من تفسير مظاهر السلوك المختلفة للفرد ، أو هي وحدة داخلية تحدث التآزر والتكامل بين أفعال الفرد ، مثل تعريف أيزنك بأنها « التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه ، والذي يحدد توافقه المميز للبيئة » ويلاحظ أنه هنا جعل الشخصية تنظيماً لأربعة جوانب : الجسم والعقل والإرادة والإنفعال .

وقد أكد بعض النفسيين [1] على أهمية التفريق بين ما أطلق عليه «البورت » التعريف ذا البعد الاجتماعي الخارجي ، والتعريف ذا البعد العضوي الداخلي ، فالتعريف ذو البعد الاجتماعي يتجه للتركيز على القيمة الاجتماعية الدافعة للفرد ، والتى تشكل شخصيته ، ومن خلالها يعرف بعض علماء النفس الشخصية ؛ فالرجع الاجتماعي هو الذي يحدد الشخصية في نظرهم . والتعريف ذو البعد العضوي يتجه إلى التأكيد على المحددات الذاتية ، والسمات المنطلقة من داخل الفرد باعتباره كائناً حياً ، ووفقاً لهذا الاتجاه في التعريف ؛ فإن للشخصية رصيدا داخليا تستمد منه ، وتتأثر به ، مثلما تتأثر بما تستقبله من الخارج ، ولكن الأول يعتبر هو الأساس .

ومن خلال هذا المدخل المختصر عن تعريف الشخصية يتضح مدى الصعوبة التي يعانى منها المتخصصون في علم النفس بعامة وعلماء الشخصية بخاصة ، وهم يعالجون القضايا الجوهرية الجامعة في باب الشخصية مثل : التعريف والأسس والأهداف والمعايير وطرق البحث ، ومدى الحاجة الماسة إلى من يفتى في هذا ، وتكون فتواه جامعة مانعة ، موثوقة المصدر ، صادقة المعيار .

---

(١) انظر Calvin Hall and Cardner Landzy(Theories of Personality) , p 7.

طبيعة الإنسان في المنظور الحديث وأثره في النظريات :

ينطلق أصحاب النظريات في الشخصية في المدارس المختلفة من تصوراتهم عن طبيعة الخلق ، ومن رؤيتهم لطبيعة الإنسان والحياة والكون ، من حيث النشأة والاستمرار والانتهاء ، وتختلف هذه التصورات من عالم لآخر ،ومن مدرسة لأخرى . وهذا الأمر يمثل مجالاً واسعاً للإختلاف بين الرؤى المطروحة في الشخصية ؛ من حيث مكوناتها ونموها وطريقة تعديلها . والتصورات تمثل مرحلة خَطِرة وحساسة ومؤثرة على جميع مايأتى بعدها من مسلمات ، وأبنية وحركة في الشخصية ، وقد تناول بعض الباحثين [1] هذه المرحلة السابقة لبناء النظرية ، وبيّنوا الأسئلة الرئيسة التى تحاول النظريات في الشخصية أن تجيب عليها ، والتي تتأثر بالمفاهيم عن طبيعة الإنسان .

وفيما يأتي عرض لبعض الأسئلة المهمة والمؤثرة على بناء أي نظرية عن الشخصية عند التعامل معها :

١ ـ الاختيار والجبر

هل ندير نشاطنا وأفعالنا بأنفسنا ، ونختار أساليبنا العقلية والسلوكية من بين الخيارات المتاحة؟ وهل نملك الشعور والوعي والتحكم بأنفسنا ؟ هل نحن أحرار لنختار لأنفسنا و نكون المسيطرين ، أم نحن مجبرون على ما نحن فيه وما نفعله ، ومدفوعون إليه بالخبرة الماضية والقوى اللاشعورية ، والعوامل البيولوجية ، والمؤثرات الخارجية التي تطغى على التحكم الذاتي ، وعلى الوعي والإرادة إن كان ثمة وعي وإرادة . وبناء على ذلك تقوم هذه العوامل بتشكيل شخصياتنا ؛ بحيث لانسلك إلا وفق مرادها ، ولا نملك ردّها .

---

(١) انظر مثلاً . Schultz (Thearis of Personality), P31--34

٢ ـ الطبع والتنشئة

ما الأكثر تأثيراً على السلوك ، المحددات الوراثية والقدرات ، أم القوى البيئية التي نعيش في وسطها ؟وهل الذكاء ـ مثلاً ـ نتاج الوارثة ؟ أم أنه إفراز الحوافز التي يزودنا بها البيت والمدرسة ؟ وهكذا الشخصية ، هي نتاج ماذا ؟ والنظريات في الشخصية تختلف فمن مُنطلق من الوارثة إلى مُنطلق من البيئة إلى مجموعة من المنظرين ترى أن الشخصية نتاج الأمرين معاً .

٣ ـ الماضي والحاضر

المسألة الجوهرية الثالثة هي عن أهمية الماضي في مقابل الحاضر ، في التأثير على الشخصية وصياغتها .ما موقع أيام الفرد الماضية ، وخبراته في السنوات الأولى مقابل مايحدث في الحال ؟ فبعض أصحاب النظريات يرون أن سنوات الرضاعة والطفولة تعتبر جوهرية التأثير ؛ فما يحدث لنا إبان تلك الفترات هو الذي يشكل شخصياتنا الحالية ، أما السنوات التالية للطفولة فهي محدودة التأثير إن لم تكن معدومة عند بعض المنظرين للشخصية .

وفي المقابل يرى بعضهم أن الشخصية مستقلة عن التأثر بالماضي ، وقابلة للتأثر بالحاضر ، والأحداث الجارية تعمل على التعديل في الشخصية والتأثير فيها شكلاً وموضوعاً . وهناك فئة ثالثة ترى التوسط بين الرأيين .

٤ـ التفرُّد والعموم

هل الطبيعة الإنسانية ذات صبغة مشتركة ، ويغلب عليها العموم ، أم أن لكل إنسان طبيعته المستقلة ؟ فشخصية الإنسان يمكن أن ينظر إليها على أنها بالغة التفرد، بحيث لاتشبه أفعالها وصفاتها أي شخصية أخرى ، وهذا يجعل المقارنة بين الناس عديمة المعنى ؛ إذ لا التقاء بين الناس أصلاً .

وهناك وجهة أخرى ترى وجود التفرد في الإنسان ، ولكنها لاتغرق فيه ، بل هي تجد خصالاً ومسالك مشتركة بين الأفراد ، وهذا يمثل نوعاً من العمومية في بعض الاتجاهات والمناحي التى تبرز عوامل مشتركة يمكن بها المقارنة .

٥ ـ حفظ التوازن مقابل تحقيق النمو

المنظرون يختلفون في تحديد الدافع الكبير للإنسان في تحقيق أهدافه وغاياته في الحياة . هل المحرك للناس هو خفض التوتر ، والإشباع الجسدى ، والوصول للتوازن العضوي؟ وهل السعادة ترتكز على جعل المعاناة في حدها الأدنى ؟ فئة من علماء نفس الشخصية ترى ذلك .

وهناك فئة أخرى ترى أن الدافع الأساس للإنسان هو حاجته للنمو ، وتحقيق الذات ، وأنه أكبر من الانحصار في الحاجات العضوية ، والتوازنات المادية. ويرون أن الطبيعة الإنسانية طبيعة متطلعة وطموحة تسعى للسمو والانعتاق من أسر المادة .

٦ ـ الخير والشر (التفاؤل والتشاؤم)

هل النفس الإنسانية خيِّرة أم شريرة ؟ متفائلة بطبيعتها أم متشائمة ؟ وهذا جانب يتعلق بالأحكام الخلقية وأصولها في النفس . فبعض المنظرين ينظر للنفس بتفاؤل وأمل وثقة ، وآخرون يرون الإنسان دون ذلك بكثير ، ويتجهون إلى تجريد النفس للشر والشهوة والعدوان ، وقد يربط بعضهم في هذا بين الإنسان والحيوان .

وهناك فئة أخرى وسيطة ، ترى أن النفس البشرية محايدة لاتميل إلى الخير ولاإلى الشر ، بل هي صفحة بيضاء ناصعة ، ولا يقصد بالبياض والنصاعة هنا الخيرية والصفاء ، وإنما المقصود إمكانية الكتابة عليها والتغيير فيها ، ومن ثم تميل إلى أحد الاتجاهين البر أو الإثم .

وبناء على هذه التصورات لطبيعة الإنسان ، واستصحاباً لها ، انطلقت النظريات المختلفة عن الشخصية ، وتعددت المدارس النفسية التي تطرح الموضوع ، فتضع أسسه ومبادئه ومعالجاته . وهناك توجهات أربعة تجمع هذا الشتات في النظر إلى الشخصية في مدارس علم النفس الحديث ، نذكرها فيما يأتي (١):

المجموعة الأولى :

وترى أنه لفهم الإنسان بشمولية لابد من الذهاب إلى عمق الإنسان ، وحياته الغامضة السابقة ، وعقله الباطن ،ولفهم الإنسان لابد من دراسة الرغبات اللاشعورية ، والأفعال فوق الإرادة والتحكم ، ودراسة الحياة العضوية المتعلقة بالجنس والحياة والعدوان ، وانعكاسات ذلك على شخصية الإنسان ، ومن ثم فمعالجة الشخصية وتعديلها يحتاج للرجوع لهذه المصادر الأولية في نظر هذه المجموعة والاهتمام بها فوق كل شيء .

المجموعة الثانية :

وتبنى فهمها للإنسان على النظر المباشر إليه في إطار بيئته وحالته المعاشة ، وترى أنه لابد من القدرة على التنبؤ الدقيق بما يمكن أن يفعله الإنسان أو يقوم به في حالة معينة ، والتركيز ـ عندهم ـ على السلوك المشاهد « الملاحظ » الذي يظهره الشخص ، وليس على خياله أو أحلامه أو رغباته اللاشعورية .

علماء الشخصية هؤلاء يؤكدون أنه لايمكن دراسة الظواهر الداخلية اللاشعورية بأى طريقة ثابتة وموضوعية ومقبولة عملياً ؛ وإنما الذي يمكن دراسته هو السلوك ؛ فهو المتغيِّر المتاح للدراسة العامة ، وهو الذي يلاحظ مباشرة ، ويقاس

---

(١) انظر McAdams (The Person), P. 10 - 21.

وانظر أيضاً Monte (Beneath the Mask), P. 5 - 15 .

حقيقة ، ويصنف بطريقة ثابتة . ويحاول أصحاب هذا الإتجاه معرفة « علاقة البيئة بالفرد في التأثير على شخصيته وسلوكه » فمنهم من يركز على الفرد وموروثاته وسماته مثل « كاتل » و«البورت » ويسمون « علماء السمات » . ومنهم من يركز على الحال والبيئة ويسمون « البيئيون » أو « الاجتماعيون » ومنهم من يجمعون بين الأمرين ؛ فالإنسان وموروثاته وسماته إنما يتحرك ويتأثر من خلال الوسط الذي يعيش فيه ، ويسمون « التفاعليون» إشارة إلى تفاعل السمة مع الوسط في النظر إلى الشخصية .

المجموعة الثالثة

ويقولون إنه من أجل فهم شامل لشخصية الإنسان ، لابد من معرفة قصة الفرد الكاملة ، التي تحدد كيف تمت العلاقات الشخصية المتداخلة البارزة في حياة الفرد ؛ فالتركيز هنا على العواطف والإنسانيات والمشاعر المتداخلة في العلاقات مع من حوله من الناس ، وخصوصاً الأسرة وطريقة تربيتها وتعاملها؛ فلطبيعة العلاقة ونوعها وقدرها أثر حاسم على شخصية الفرد ، ومن علماء الشخصية في هذه المجموعة « إرك إركسون» و « الفرد إدلر» .

المجموعة الرابعة

وهي تركز وتهدف إلى معرفة كيفية فهم الإنسان لذاته ،وشعوره تجاه نفسه وتفاعله مع البيئة التي يعيش فيها . العالم هنا يصب جهده على كيفية جعل الأشياء ذات قيمة ، وجعل الحياة ذات معنى بالنسبة للناس . والمسلّمة المهمة هي أن الناس يتجهون عبر تجربتهم وممارساتهم وخططهم وتنظيماتهم للتمكن من التنبؤ والتحكم والفهم لأحداث الحياة ؛ ولهذا فإن التركيز هنا على العقل والفكر ، والمعرفة والوعى أكثر من العناية باللاشعور ، والعواطف ، والحياة البيولوجية ، والسمات ، والبيئة ، والعلاقات الشخصية ، والأحوال النفسية ؛ فالأمور الأخيرة ليست جوهرية عند

أصحاب هذه المدرسة على أهميتها ، إنما الجوهرى مايعطي للإنسان قيمة ، ولحياته معنى ، ويضع لعقله ووعيه اعتبارا ، ويجعله يحقق ذاته معرفياً واجتماعياً. ومن هؤلاء « جورج كيلى» ، « ماسلو » و « المعرفيون الاجتماعيون » .

* * *

وفي وسط هذه الرؤى المتعددة الكثيرة ، والمتباينة أحياناً ، لابد من رؤية شاملة تتأسس على مبدأ التكامل في الإنسان وفي شخصيته ، بحيث يجد الباحث أن أي جانب من شخصية الإنسان تثبته مدرسة من المدارس ، وتستدل له بموضوعية يأخذ مكانة في بناء الشخصية وفي عناصرها ، وبحيث يكون هذا الجانب المطروح في نظرية من النظريات متجاوباً مع الجوانب الأخرى ، لامناقضاً لها ، ولاشاذاً عن نسقها العام .

والناظر في نظريات الشخصية ، وفي التصورات التى بُنيت عليها يجد فيها الكثير من الحق والواقع ، بل والثابت بحثياً ، لكن كل صاحب نظرية ينطلق من الجانب الذي ثبت عنده ، أو الذي مال إليه ، ويجعله هو المحور والأساس ويستهين بما سواه ، بل قد ينفي أو يلغي الرؤى الأخرى ، وهذه علة العلل في نظريات الشخصية ـ كما رأينا ـ مما يؤكد الحاجة لنظرة شمولية تكاملية للشخصية ، وهذه النظرة لايمكن أن توجد من الإنسان مستقلاً ، لإنه لايمكن أن ينظر في نفسه وفي أقرانه من الناس باستقلالية وشمولية وموضوعية ، ولايملك الوسائل الذاتية التي تمكنه من ذلك ، ويلزم من هذا أن يؤول الإنسان في فهم نفسه وأقرانه إلى مُوجِدِهِ وبارئه ، العليم بخلقه وتكوينه، والمقرر لغايته ومقصد وجوده . وقد بيّن الله سبحانه في وحيه طبيعة الإنسان ، وأصل خلقه ، وعناصر ذلك الخلق ، كما بين غاية إيجاده . وهذا البيان يمثل أساساً رئيساً لمعرفة الشخصية وفهمها ، وفتح مغلقاتها ، كما أنه يلقي الضوء على المشكلات العويصة ، والأخطاء البالغة ، التي وقع فيها المنظرون للشخصية على تفاوتهم في ذلك .

الشخصية في المنظور الإسلامي

مكونات الشخصية ونسقها :

أُسس المنهج الإسلامى تصوره للشخصية منطلقاً من نظرته للإنسان من حيث التكوين والغاية ، وهذه النظرة ذات مصدر ربانى يتمثل في القرآن الذي أنزله الخالق سبحانه على نبيه ﷺ ، وفي السُنة التي هي تفصيل القرآن وتطبيقه ، حيث نجد الآيات التي تُبين طبيعة الإنسان وأصل خلقه ونزعاته وغاياته مبثوثة في آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ .

ومكونات الشخصية وفق هذا المنهج يمكن أن ينظر إليها على مرحلتين ، كلتاهما أساسيتان ، وكل مرحلة لها شقان جوهريان ، المرحلة الأولى وفيها مكونان هما : المكون المادي « العضوي » ، والمكون الروحي « المعنوي » والمرحلة الثانية وفيها مكونان أيضاً ، هما : المكون العبادي « التوحيد » والمكون الخلقي « السلوك » ، قال تعالى : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ (١) .

ففي هذه الآية إشارة إلى المكونين الأولين وهما المادة والروح ، وواضح أن هذين المكونين داخلان في أصل تكوين الإنسان عند خلقه وإنشائه . قال تعالى :

﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما**

---

(١) سورة ص : ٧١ ، ٧٢ .

فعل المبطلون ﴾ (١) .

ففي هذه الآية إشارة إلى المكون العبادي « التوحيد » وهو أحد معاني الفطرة المذكورة في نصوص أخرى . حيث جمع الله جل شأنه كل نسمة كائنة من أبناء آدم ، وذلك في حالة وجودية غيبية ، قبل مجيئهم إلى هذه الحياة الدنيا ، وأشهدهم على أنفسهم بأنه الرب الواحد ، فشهدوا بذلك ، وبمقتضى ذلك صار كل منهم مسلماً موحداً بأصل فطرته .

وفي الحديث عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ ، وأنا أريد ألا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه ، فقال رسول الله ﷺ :

« يا وابصة استفت نفسك ،البر ما اطمأن إليه القلب ،واطمأنت إليه النفس . والإثم ما حاك في القلب ، وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » (٢) .

ففي هذا الحديث إشارة إلى المكون الخلقي « السلوك » حيث جعل الله في النفس ميلاً نحو الأفعال الحسنة ، ومحبة لها ، ونفرة من الأفعال القبيحة واستهجاناً لها . حتى لكأن هناك معرفة كامنة أودعها الله في الإنسان للتمييز بين الخير والشر كما قال تعالى :

﴿ ونفس وماسوّاها * فألهما فجورها وتقواها ﴾ (٣) .

وقد مضى بيان أكثر لهذا المكون ، عند الحديث عن الدافع الخلقي في باب الدوافع .

وهذه المكونات الأربعة بمجموعها تشكل أساس الشخصية الإنسانية ، أي أن

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٢، ١٧٣

(٢) أخرجه أحمد ، أنظر المسند ٤ / ٢٢٨ .

(٣) سورة الشمس :٧ ، ٨.

الإنسان في أصل تكوينه يملك الحاسة العضوية ، والحاسة الروحية ، والحاسة العبادية ، والحاسة الخلقية ، وبين هذه الحواس تلازم وثيق كما أن بين بعضها والبعض الآخر تلازم أوثق كما بين المكون الروحي والمكون العبادي ، فإن التعبّد أو التأله قائم على الاستعداد الروحي لدى الإنسان ، فالإنسان لاينفك عن الإحساس بالضعف والفراغ والقصور ، وضيق الحيلة والعجز بين فينة وأخرى ، هذا الإحساس يشعره بالحاجة إلى قوة تسنده ،وغاية تقنعه ، وعقيدةتملأ قلبه ؛ فإذا وجد ذلك فقد وجد روحه بعد أن أوشك على فقدها ، وسيكون لهذا بيان عند الكلام عن الروح.

وهذه المكونات الأصلية للشخصية تسير في مسار واحد مندمج ومتساوق ليتكون منها مزيجاً متناسقاً ومتكاملاً يشكل شيئاً واحداً لايتجزأ .

وإذا افترضنا أن تكوين الشخصية يمثل شكلاً حلزونيا دائرياً ؛ فإن تلك المكونات الأصلية تبدأ بالجسد فالروح ، فحاسة التعبد ،فحاسة التخلّق ، انظر الشكل (٦) ، إشارة إلى ما بيّنه الله في القرآن من أنه سبحانه خلق الإنسان من طين ، ثم نفخ فيه الروح ، وما بيّنه أيضاً ـ وكأنه في مرحلة أخرى ـ أنه سبحانه أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأخذ إقرارهم بالعبودية له دون سواه ، وكذلك بين أنه سوّى النفس وألهمها التمييز بين التقوى والفجور .

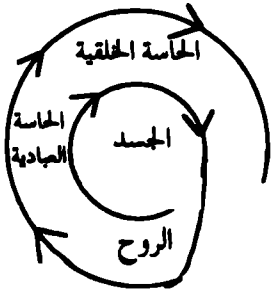

الشكل [٦] يبين التتابع الزمني والموضوعي للمكونات الأصلية للشخصية الإنسانية وفق المنهج النفسي الإسلامي

وتعتمد الشخصية في سلامتها وسوائها على تكامل هذه المكونات واتساقها ، وبروز كل واحد منها ، وقيامه بمهمته بالمقدار المناسب والكافي ، والذي يحدد الكفاية هو « الشرع» أو يمكن أن نسميه « المعيار الشرعى » وهو الذي يساعد في تحديد الكيفيات والكميات التي يتحرك ضمنها كل مكّون ؛ ففي الشريعة الإسلامية المخاطب بها جميع الناس تفصيل وتوجيه لكيفيات إشباع حاجات الجسد من طعام وشراب ولباس ونكاح وغير ذلك ، ولكيفيات الإشباع الروحي والعبادي من إخلاص وصلاة ودعاء وذكر وتلاوة وصيام وحج وغيرذلك ، ولكيفيات إحسان الخلق والترقى في الفضيلة من صدق وبر وتعاون وعدل وإنصاف وإيثار وصبر وغير ذلك ، وهكذا فالشريعة مشتملة على الأحكام والتكاليف والأعمال الملائمة لتلك المكونات، والوافية بمطالبها .

هذا التصور لمكونات الشخصية الإنسانية مواز للتصور العام الذي يقرره المنهج الإسلامى بشأن حركة الكون والإنسان ،وعلاقة كل واحد منهما بالآخر ، فالقرآن يبين أن حركة الكون تسير وفق ناموس محدد لاتحيد عنه ، وأن بيئة الإنسان من حوله محكومة بنظم وقوانين يستطيع الإنسان أن يتعامل معها ، وأن يتنبأ بها في الأعم الأغلب ، ولايحصل الشذوذ عن النظام إلا بالمقدار الذي يبرز هذا النظام ، ويدفع الروتين وينبه الإنسان ، وهذه الحركة المنتظمة للكون وللبيئة حركة لا إرادة للإنسان فيها ، فالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والرياح والأمطار والفصول المتوالية ... إلخ ، ذات حركة منتظمة يعلمها الإنسان ولايمنعها ، ويفهمها ولايحكمها ، ومن جهة أخرى فإن في كيان الإنسان حركة أخرى ، لا إرادية بالنسبة له ، فولادته ، ونَفَسه ، ونبضات قلبه .وحركة معدته ، ومقدار ذكائه ... الخ ، كلها وغيرها لا إرادة للإنسان فيها ، وهي حركة أيضاً محكومة وفق نظام محدد ، ومعدلات ثابتة ، فأنت تجد هيئات الناس وأطوالهم وألوانهم ومستويات

ذكائهم وقدراتهم ، بل وأعمارهم موزعة توزيعاً دقيقاً لا أثر للعفوية فيها ، ولاشأن للإنسان بها ، فهو جانب من شخصية الإنسان محكوم بنظام شامل ومسيطر . كما أن انتظام هذا الجانب من خارج الإنسان وبدون إرادته أمر مقصود ومراد ؛ لئلا يصاب الإنسان بالعطب والهلاك ، أو يصاب جنسه بالفناء والإنقراض من تدخلات الإنسان ، وقد باءت محاولاته للتحكم بشيء من هذه الجوانب بالفشل الذريع . كما أدت بعض المحاولات إلى آثار جانبية سلبية وخطيرة ، ومن ذلك محاولات الإنسان التحكم بالجينات الوراثية ؛ للتأثير على لون المولود أو جنسه أو شكله أو مستوى ذكائه ، ومحاولات الإنسان للتأثير على البيئة وقهرها وتحويرها لأغراض وقتية وشكلية ، مغفلاً الآثار السلبية لذلك على المدى البعيد ، مما أدى إلى آثار خطيرة وبالغة ، أحسها الناس العاديون ، ولمسها العلماء المتخصصون ، وصاروا يدقون ناقوس الخطر لها ، ويحذرون من تلك المصائب والكوارث المتوقعة بسبب من اعتداءات الإنسان على البيئة وعشوائيته في التعامل معها ، والجور الذي يحصل منه عليها كما هو حاصل في شأن طبقة الأوزون ، أو الإشعاع الذري ، أو التلوث ...الخ .

ومن هذا يتبيّن أن المنهج الإسلامي ، يقرر أن ماحول الإنسان من البيئة والكون محكوم بنواميس منتظمة وثابتة ، وأن شقاً من الإنسان محكوم أيضاً بنظام لايحيد عنه ولا إرادة للإنسان فيه . فلم يبق إلا الشق الآخر المشتمل على أنشطة الإنسان المادية والمعنوية ، الظاهرة والباطنة ، وهو جانب إرادي ، للإنسان فيه رأي ومذهب وحرية واختيار ، وهو محل الفتنة ، وموطن الإبتلاء الأكبر للإنسان ـ كما يقرر ذلك منهج الإسلام ـ ؛ حيث يتجه الإنسان من خلال هذا الشق إما إلى النجاح والسعادة ، أو إلى الفشل والشقاوة ، ويرسي شخصيته إما على الثبات والانسجام ، أو يتركها في مهب الريح ؛ حيث التيه والاضطراب . كذلك صحته النفسية

وسواءه مرتبطان بكيفيات التعامل مع هذا الشق الإرادى من شخصية الإنسان.

والمكونات الأصلية الأربعة ـ التي سبق ذكرها ـ تمثل الأساسات الجوهرية للشخصية الإرادية في الإنسان ، وهي بمجموعها تمثل «الفطرة» التي فطر الخالق عليها الإنسان ، وتمثل أرضية لايتأسس عليها إلا ماينا سبها ، ويقايسها ، وينسجم معها ؛ فعمليات الإكتساب والتعلم ، والتعوّد ، والتأثُّر الإرادية التي يقوم بها الفرد تفرز تحصيلاً ما في المجالات المختلفة ؛ فإن تناسب هذا التحصيل مع أرضية الفطرة بمكوناتها الأربعة ، وكان مطابقاً لتطلعاتها واتجاهاتها الأصلية سلمت الشخصية وصحّت واستوت وتكاملت ،وإن لم يتناسب التحصيل مع أرضية الفطرة واتجاهاتها كان نماء الشخصية وبناؤها مختلا بمقدار عدم التناسب ، وبعبارة أخرى فالإنسان إن توافق جانبه الإكتسابي الإرادي مع مكوناته الفطرية صحّت شخصيته وسلمت ، وإن تفارقا فسدت شخصيته واختلّت ، وإن كان التوافق جزئياً كانت السلامة جزئية بمقدار ذلك التوافق وهكذا .

والرؤية الإسلامية التي تقرر وجود المكونين الفطريين اللذين يتأسس عليهما كل من الحاسة العبادية والحاسة الخلقية تتعارض تعارضاً تاماً مع ماتراه مدرسة فرويد من أن جانب الشخصية المتمثل ب «الأنا الأعلى» أمر طارىء على الإنسان وليس له أساس في شخصيته ، وإنما ينشأ من خلال العلاقة الإتصالية التربوية بين الطفل ووالديه نتيجة امتصاص الطفل لمعايير والديه واتجاهاتهم وأحكامهم تجاه كل ماهو صحيح وحسن ومقبول ، أو خطأ وقبيح ومستهجن [1]. وأن الميل الذي يجده الإنسان ـ من داخل نفسه ـ للتعبد والإلتجاء والدعاء ، والميل الذي يحسه الإنسان إلى الخير والبر والمعروف ، ومايتبع ذلك من استعداد للتمييز بالطمأنينة والريبة

(١) انظر رمضان القذافي ، الشخصية ، ص ٤٨.

بين الخير والشر هو أمر فطري وفق رؤية المنهج الإسلامي ، واستعداد موجود في أصل الخلقة والتكوين .

لكنه وفق رؤية « فرويد » وتلاميذه هو حكم خلقي مثالي ينشأ داخل الإنسان استجابة للثواب والعقاب الصادرين عن الوالدين « فالطفل لكي يحصل على ثواب الوالدين ويتجنب عقابهما ، عليه أن يتعلم أن يسلك حسب المعايير والقواعد التي يحددها الوالدان ، فكل مايعاقبه عليه الوالدن ينزع إلى أن يستدخل داخل ضميره ، الذي يمثل أحد شقي نظام الأنا الأعلى . أما كل مايثيبانه عليه ، ينزع إلى أن يستدخل داخل أناه المثلى ، الذي يمثل الشق الآخر من نظام الأنا الأعلى . ويطلق على الميكانزم الذي تتم به عملية الاستدخال هذه ، اسم « الاستدماج » ، فالضمير يعاقب الشخص بأن يجعله يشعر بالإثم ، بينما أناه المثلى تثيبه بأن تجعله يشعر بالفخر بنفسه ، وبتكوين الأنا الأعلى يحل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر عن الوالدين» [1] ومن خلال هذه العملية توجد الرقابة الذاتية بدلاً من رقابة الوالدين أو المجتمع ، وبهذه الرؤية نرى الفرد وكأنه مجبور على أعماله ولو بطريقة غير مباشرة، وأن السلوك الحسن المنضبط شيء غريب عليه ، وغير موافق له في أصل الخلقة والفطرة ، وهذه المحصلة لادليل عليها ، بل الدليل بعكس ذلك ، فالإنسان يميل إلى الخير والمعروف ، ويرتاح لهما ولو لم يفعلهما ، وينفر من الشر والمنكر ويكرههما ولو كان يفعلهما ، مما يدل على أصالة الرؤية الإسلامية في هذا ، وتجاوبها مع الطبع والخلقة .

ومن أجل هذا كان الدين موافقاً لهذه الفطرة وهذا الميول في عقائده وأحكامه ، وسُمي دين « الفطرة » ، فالتوحيد الذي جاء به الأنبياء كلهم ، والعبادة التي أمروا الناس بها توافق فطرة التوجه إلى الله والتذلل له المغروزة في قلب كل

(١) انظر سيد محمد غنيم (سيكولوجية الشخصية) فصل التحليل النفسي والشخصية ، ص ٤٩٧ .

مخلوق ، وكذلك قضايا التشريع مبنية على هذا الأساس الفطري ، فالزواج والعشرة والبر والصلة والاجتماع وتبادل المنافع الحلال ، قائمة على الفطرة ، موافقة لها ، والعكس بالعكس ؛ فالزنا والفواحش والعقوق والقطيعة والفرقة والربا مضادة للفطرة مفارقة لها (١).

ولأن المنهج الإسلامى يبين الشخصية ومكوناتها وطبيعتها وعلاقاتها بما حولها على هذا المنحى المشار إليه من قبل ؛ فإنه يبين أيضاً أن الإنسان بنفسه لايستطيع أن يستقل بوضع النظام أو القانون أو التفصيلات التي ينبغى أن تحكم الجانب الاكتسابي الإرادي لأسباب عديدة منها :

١ ـ أنه ليس لديه معرفة كافية بما حوله من الأجرام والمخلوقات ، ولابما ينبغى أن يكون عليه في سلوكياته تجاه الكون والبيئة من حوله ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً** ﴾ (٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا** ﴾ (٣) .

فتصريف الأكوان والأرزاق بيد الخالق الذي له الخلق والأمر ،وكل شيء عنده بمقدار ، والإنسان عاجز كل العجز علماً وإحاطة وقدرة وتقديرا عن التحكم في ذلك ، ولو فعل لهلك وأهلك .

٢ ـ أنه ليس لديه معرفة كافية بما ينبغي أن يكون عليه في سلوكياته تجاه جانبه

---

(١) لبيان أوفى أنظر سلمان العودة(نداء الفطرة) ص ١١ ،١٢ ومابعدهما فقد تناوله هذا الموضوع ، وأجاد فيه ، وربطه بالواقع السلوكي والاجتماعي المزمن بسبب مخالفة الفطرة .

(٢) سورة فاطر : ٤١ .

(٣) سورة الإسراء : ١٠٠

اللاإرادي فهو قد يضر نفسه من حيث يريد أن ينفعها ، كما هو الحال في المثال الذي أشرنا إليه من التحكم بالجينات الوراثية أو بمعدلات المواليد أو بمعدلات الأعمار ... الخ ؛ فالأمر في هذه الجوانب يجب أن يُبيَّن ويُحْكم من خارج الإنسان لا من الإنسان ؛ لأنه لايستطيع إفادة نفسه في هذا بصورة شاملة موثوقة . قال الله تعالى :﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير** ﴾ (١) .

٣ ـ أن الإنسان وجد ـ من تجربته قديما وحديثاً ـ أن قدرته على فهم المتغيرات الكثيرة ، أو التحكم فيها في جانبه الاكتسابي الإرادي أمر صعب ، وغير ممكن في كثير من الأحيان ، مما يبدى حاجته لنظام شامل يساعده عل فهم المتغيرات ، والتحكم فيها ؛ ليتعامل معها تعاملاً صحيحاً أو يزوده بالخطوات العملية التي يقوم بها للفهم والتحكم ومن ثم تحقيق أغراضه ، وإنجاز أهدافه ،وفي ترك الإنسان دون هدى ونظام أمام أحوال غامضة ، ومتغيرات متداخلة ، وظروف متشابكة ضرر عليه ، يؤدى به إلى القيام بتوقعات خاطئة ، واتخاذ قرارات مهلكة . فكان لابد من نظام ثابت محيط ، ومنهج يساعد الإنسان في اتخاذ القرارت ، ويستنقذه في الملمات ويحميه من المخاطر . قال تعالى : ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون**﴾ (٢) .

وهذا في القتال والجهاد الذي شرعه الله لإعلاء كلمته وإحقاق الحق وإبطال الباطل . وقد يرى فيه الإنسان صعوبة وتعسفا ، فيكرهه ويتجنبه دون حساب

---

(١) سورة الشورى:٤٨، ٤٩.

(٢) سورة البقرة : ٢١٦.

لعواقب الأمور وللآثار البعيدة التي يحدثها الجهاد على مستوى الإنسانية وفي الحياة الاجتماعية .

وفي العلاقة بين الزوجين يقول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا إن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (١) .

وليسدّ المنهج الإسلامي هذا العجز عند الإنسان ، ويجعله في طمأنينة من أمره، ويكسبه الثقة والأمان فيما يتخذه من قرارات ، ويختاره من بدائل ، ولتكتمل شخصيته وتتوازن ـ إن أراد ذلك ـ زوده بالشعائر والشرائع التي تتناسب مع مكوناته الأصلية وفطرته بعناصرها المختلفة ، وجعل هذه الشعائر والشرائع في إطار واسع رحيب ، يلزم الإنسان ـ أن أراد سلامة شخصيته ـ أن يأخذ بالحد الأدنى من فعل للفروض والواجبات وترك للمحظورات والمحرمات . ويختار ـ بعد ذلك ـ مايشاء من فعل المندوبات والمباحات ، وترك المكروهات والمتشابهات ، وهو كلما ضبط مكتسباته السلوكية وفق مراد الشرع ، وتيقظ لها ، كلما كانت شخصيته أكثر سواء وصحة ؛ لأن ذلك يؤدى إلى التطابق والانسجام الأكملين مع المكونات الفطرية للشخصية الإنسانية ،كما برأها الخالق سبحانه .

ونستطيع أن نلخص منظور المنهج الإسلامي للشخصية في الآتي :

أولاً : أن في تكوين شخصية الإنسان جانباً إرادياً يتصرف الإنسان بشأنه ، ويستطيع الإنسان أن يختار من المعلومات والمفاهيم والعقائد والمسالك والمشاعرماييني هذا الجانب ويسدده ويوجهه ، وأن هذا الجانب هو الجانب

(١) سورة النساء : ١٩.

المميز للإنسان ، وبه تظهر الصورة النهائية للشخصية ، جميلة كانت أم قبيحة ، كما أنه هو محل الاختبار والإمتحان في الحياة .

ثانياً : أن لهذا الجانب الإرادي أسساً تكوينية فطرية أصلية هي على التوالي : الجسد والروح والتعبد والتخلق ،وهي بمثابة الأرضية بطابع معين ، وبخصائص معينة ، ولايقوم عليها بناء سليم ، إلا أن يكون متناسباً مع طابعها وخصائصها ، وهذه المكونات كالحواس لكنها لاتوجّه إلى التفصيل بقدر ماتهدى إلى الاتجاه العام في السلوك . وتعتبر المكونات المذكورة شيئاً واحداً ، وإن جاء بعضها قبل بعض في التكوين أو في الأهمية .

ثالثاً : أن التوحيد الذى أرسل الله به أنبياءه ، والشريعة التي أنزلها سبحانه ، وارتضاها لعباده ، يمثلان النظام الذي يساعد الإنسان ، ويمكنه من اختيار معتقداته وأفكاره وأعماله ومسالكه التي تتناسب مع مكوناته الفطرية المذكورة ؛ بل إن هذه الشريعة مفصّلة تمام التفصيل لتتطابق وتتجاوب مع توجهات وتطلعات تلك المكونات الفطرية .

رابعاً : أن هذا النظام الذي يمكّن الإنسان ـ بإرادته ـ من الإنسجام مع فطرته ؛ والاستواء في شخصيته ، ليس وحده ، بل يواكبه نظامان آخران ، أحدهما : يحكم جانبه الإرادي بدقة وكفاءة ، دون عناء أومشقة ، فالإنسان ليس مطالبا بإدارة هذا الشق من شخصيته ، أو اتخاذ القرارات بشأنه . والآخر : يحكم الكون المترامي الأطراف وينظّم البيئة من حول الإنسان ، بحيث تكون مهيئة للإنسان ومذللة ؛ ليعيش بنفسه ويستمر بنوعه .

وهذان النظامان يعنيان إشارة مهمة جداً للإنسان يجدها أمامه في كل حين، ويعيشها في كل لحظة من لحظات حياته المحاطة بهذا النسق المنظم ،

والمحكوم بدقة ، هذه الإشارة هي أن جانبه الإرادي يحتاج إلى نظام يسيّره، وقانون يحكمه ـ مثله مثل الجوانب الأخرى ـ ، وأن فطرته بمكوناتها الأربعة لايمكن أن تبقى بدون نظام وقانون ، كما أنه لايمكن أن تُحكم أو تُسيَّر بنظام لايتفق وتوجهاتها الأصلية .

خامساً : أن السواء الكلي للإنسان ، ومن ثم الشخصية إنما يتم بالتجاوب والانسجام الذي تحدثه هذه المساقات الأربعة في الإنسان وماحوله ، وهي: المساق الشرعي ، والمساق الفطري ، ومساق النظام لشق الإنسان الإرادي، ومساق النظام البيئي والكوني ، حيث يكون التوجه واحداً ، والغاية واحدة ، وقبل ذلك مصدر التلقي واحد . قال الله تعالى :

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (١) .

(١) سورة الأعراف : ٥٤ .

تشكيل الشخصية :

وفي تشكُّل الشخصية يضع المنهج الإسلامي بين يدى الفرد أنواعاً من الأفعال والأنشطة بدرجات متفاوتة العمق والمقدار ومدى الاستمرار ، يمارسها الإنسان ، ومن ثم يمكن للفرد أن يصنف شخصيته من خلال الأصناف أوالأنماط التي حددها المنهج الإسلامي[١]، ويبين بعضها القرآن ، قال تعالى :

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [٢] .

وهذا التشكُّل أمر مقصود في طريقة المنهج الإسلامي في بناء الشخصية ، حيث يرد الحديث عن بناء الشخصية باستخدام الفعل والحركة والنشاط بدلاً من الوصف والنمط ، واستخدام العملية البنائية بدلاً من استخدام الأسماء الجامدة والقوالب المحددة ، قال الله تعالى :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين * ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * ومايلقاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [٣].

وقال تعالى :

﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومارزقناهم ينفقون * والذين إذا

---

(١) انظر نجاتى (الحديث النبوى وعلم النفس) ، ص ٢٦٦ ومابعدها .

(٢) سورة فاطر : ٣٢.

(٣) سورة فصلت : ٣٣ ـ ٣٥ .

أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين ﴾ [١] .

فأنت تلاحظ في مثل هذه الآيات الفعل والحركة المطلوبين من المتعلم الذي يريد أن يغير سلوكه وعاداته ، ومن ثم يغير شخصيته ، فالأفعال مثل (دعا ، عمل صالحاً ، قال ، ادفع بالتى هي أحسن ، صبروا ، يلقاها) في الآيات الأول ، ومثل (آمنوا ، يتوكلون ، يجتنبون ، غضبوا ، يغفرون ، استجابوا ، أقاموا ، ينفقون ، أصابهم ، ينتصرون ، عفا وأصلح) في الآيات الأخر ، تستخدم لتربط المتلقي بأجواء العمل والتحصيل المتوالى والمتنوع اللذين يعدان الشخصية ، وإنما يأتى استخدام القوالب والأسماء والأوصاف للتعبير عن السمة والنمط ، و للإشارة إلى ما استقرت عليه الشخصية ، أو كادت أن تثبت عليه . ولعل السبب الذي يجعل القرآن ـ في الغالب ـ يعبر عن توصيف فئات الناس ومسالكهم بالفعل والحركة أكثر من الاسم والنمط ، هو الإشارة إلى أن الإنسان في حركة مستمرة ، وعمليات دائمة ، وأن بإمكانه أن يزكي نفسه وينمي صفاته ما دام حياً قادرا مفكراً ، فالوصف أو الوسم ليس ضربة لازب لايتغير ولايتبدل ، ولاشارة ثابتة تولد مع الشخص وتلازمه طول حياته أو طول مرحلة من مراحلها ، خلافاً لما يراه « فرويد » من أن سلوك الإنسان وخلقه يتحددان في الفترة الأولى من حياته ، وبالضبط في السنوات الخمس الأولى من عمره ، وأن الرغبات[٢] التى يستشعرها المرء في طفولته المبكرة هي الأساس المقيم للحياة النفسية على مرّ الأيام ، وأن أشكال السلوك اللاحقة تتصل إتصالاً لاشعورياً في صميمها بحياة الإنسان في مرحلة طفولته ، فلو أن فتى في سن العشرين اتخذ مهنة معينة أعجبته ، يكسب منها

---

(١) سورة الشورى : ٣٦ ـ ٤٠.

(٢) انظر إسحاق رمزى ، علم النفس الفردى ، ص ٣٧ .

رزقه لم يكن ذلك نتيجة للعوامل الخارجية التي دفعته إلى ذلك ، بل لأن تلك العوامل ابتعثت الرغبات المخبوئة في ثنايا نفسه منذ طفولته الأولى .

وقد غير المنهج التربوي الإسلامي في صفات وسمات الأفراد تغييراً جذرياً وإن كانوا كباراً ، عبر الحركة والفعل ، فتحول بعضهم من الشدة إلى اللين ، ومن السطحية إلى العمق ، ومن الفردية إلى الجماعية ، ومن الضعف إلى القوة ومن الغضب إلى الحلم ، ومن العجلة إلى التأني ، إضافة إلى أن المنهج الإسلامي في التربية يراعي الاستعدادت الأصلية ، والفروق الفردية .

فعملية البناء والهدم عملية مستمرة ، وفق النظرة الديناميكية في المنهج الإسلامي ، والإنسان ليس مادة مقولبة بشكل واحد ثابت ، ولامَلكا مجبولاً على سلوك العبادة والطاعة ، بل هو معرّض للأحداث والأسباب من داخله ومن خارجه، يتطلع للكمال والطمأنينة بباعث من فطرته الداخلية ، ويسعى للرضاوالسعادة بحافز من غايته البعيدة المتمثلة في عبوديته لخالقه وطلبه لرضاه ، وهو فيما بين ذلك في حالة مراوحة بين الضعف والقوة ، والعزيمة والشهوة ، والطاعة والمعصية ، وباب التوبة والتصحيح والتسديد مفتوح لايغلق أبداً مادام حياً والحياة سائرة ، فهو في حركة وفعل ، ومن خلال تلك الحركة السلوكية الاختيارية الواسعة ، تتوسم الشخصية و وتظهر بطابع يغلب عليها ، أو يشيع فيها ، لكنها لاتبقى موقوفة عليه، بل إن الأمر يعتمد على التوجه الغالب للنشاط السلوكي لدى الفرد . ولايعير المنهج الإسلامي أي اعتبار للتشكيل النمطي للشخصية على أساس من بنية الجسم أو المزاج كما فعل ــ مثلاً (أبقراط) قديما أو (وليم شلدون) و(كرتشمر) حديثاً حيث يقسم الأخير الناس إلى أربعة أنماط جسمية هي :

١ـ النمط «الهزيل» الطويل الرفيع .

٢ ـ النمط «الرياضي» العضلي القوي .

٣ ـ النمط « البديـن » الممتلـىء .

٤ ـ النمط « المختلط » غير المتسق .

ويصـر «كرتشـمر» على أن المزاج ، وحـتى نمط الاضطراب العقلي ، الـذي قد يصاب به الفرد يتوقف على نمط الجسم الذي خلق به الفرد ، فالفصامى أميل ـ مثلاً ـ إلى أن يكون هزيلاً ، بنيما صاحب الاكتئاب أميل إلى أن يكون بدينًا [١].

إن المنهج الإسلامي في توسيم الشخصية أو تصنيفها لايعول كثيراً على جينات الناس الوراثية أو طبـائعهم الفسيـولوجية أو أشكالهم الجـسمية ، بل يتـجه إلى النظر على أساس من التحصيل والسلوك والأعمال ، في ظل المفهـوم الدينامكي للإيمـان (من أنه يتضـمن الأعمال وأنه يزيد وينقص) وفي ظـل مفهوم التـدرج (الإسلام ، الإيمان ، الإحسـان) الذي يترتب على مفـهوم الإيمان . وهو بهذا يجـعل الإنسان في عملية إنجاز متواصل مادام يريد ذلـك ، وفي حالة من التجدد والمراجعة لاتعرف الملل ، قال بعض السلف : من تساوى يومـاه فهو مغبون . وفيـما رواه الترمذي عن الرسول ﷺ إنه سئل : أي الناس خير ؟ قال « **من طال عمره وحسن عمله** » قيل : فأي الناس شـر ؟ قال :« **من طال عمره وساء عمله** » . وعن أبى هريـرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ ، أنه قـال : « **لا يتمنين أحـدكم الموت ، إما محـسناً فلعله يزداد خيـراً وإما مسيئا فلعله يستـعتب** » [٢] بل إن مـجـمل الحيـاة والموت وفق المنهج الإسلامـي إنما يهدف لاختبـار الإنسان وتمحيصـه ، أيعمل أم يكسل ، أيحـسن أم يسيء ، أيشكر أم يكفر ، أيعطى أم يبخل ، أيعتدى أم يغفر .

قال الله تعالى: ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ [٣]

---

(١) انـظر لازاروس (الشخصية) ، ص ١٦٣.

(٢) أخرجه البخارى .

(٣) سورة الملك : ٢ .

وعندما يختار الإنسان الحياة أو الموت فإنه يبنى اختياره على نوع التحصيل واتجاهه خيراً أو شراً ، يقول الرسول ﷺ في دعائه : « **اللهم اجعل الحياة زيادة لى من كل خير ، والموت راحة لى من كل شر** » [١] فالحياة لاقيمة لها إلا بالعمل الصالح ، وبالتحصيل الخيِّر النافع . وبهذا المفهوم وتلك الآلية تنمو الشخصية وتتوسم وتستقر .

ولهذا الطابع في تنميط الشخصية منطلقاته ومبرراته ؛ فالمنهج الإسلامي لايعتبر بنية الجسم وشكله مسؤولية الإنسان ، بل هو من ضمن الجانب اللا إرادي ، الذى لايحاسب عليه الإنسان ولايعتبر معياراً دنيوياً أو أخروياً ، عند وزن الناس أو محاسبتهم ، ومن ثم إثابتهم أو معاقبتهم ، بينما التحصيل السلوكي أمر إرادي في متناول الإنسان ومستطاعه[٢] ، ومن خلاله تترقى الشخصية في النموالخلقي ثم تتوسم بطابع معين يغلب عليها ، وتعرف به . ويمكن أيضاً التنبؤ بما يمكن أن تكون عليه ، وبما تراه في مواجهة الأحداث والأشخاص والمناسبات المختلفة .

أما فيما يتعلق بالطاقة المحركة للشخصية والدوافع الكامنة وراءها ، فقد بيناه في باب الدافعية . ولكننا هنا نستطيع أن نشير إلى أن الشخصية بمجملها تتحرك لتحقق عبوديتها للخالق الذي برأها ، من ثم تحصل على الرضا والسعادة اللذين يطبعانها بالاستواء والاستقرار ، ويمدانها بالحيوية والاستمرار . وإذا كان التحليليون وعلى رأسهم (فرويد) ينظرون إلى حركة الشخصية على أساس من خفض التوتر ، والتأثيريون وعلى رأسهم (روبرت هوايت) ينظرون إليها على أساس من مبدأ التأثيرية أي (الرغبة في التأثير على البيئة) ، والإنسانيون وعلى رأسهم(كارل

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) وعند عدم استطاعة الإنسان وتعذر قيامه بالعمل يسقط عنه ، فلا يحاسب عليه ، ولا يلام على ما يترتب على عدم الاستطاعة من نقص أو قصور في شخصيته .

روجرز) ينظرون إليها على أساس من مبدأ القوة من أجل النمو[١] ؛ فإن المنهج الإسلامي ينظر إلى حركة الشخصية على أساس من غايتها البعيدة في الحياة ، والمتأسسة على تطلعاتها الفطرية الكامنة في النفس ، والمنسجمة مع حركة الكون ، وهي تحقيق العبودية للخالق سبحانه ضمن إطار واسع ، ومفصل ومتدرج ومتنوع من الأنشطة والأعمال ، التي تكون حافزة بذاتها أو بآثارها قريبة كانت أم بعيدة .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

(١) انظر لازاروس ، (الشخصية) ، ص ٩٨ .

الـروح

مدخـل

الروح هي بلا شك أحد مكونات الشخصية الإنسانية الأساسية والمهمة ، ومع وجود بعض الاعترضات على دخول هذا العنصر في الشخصية باعتباره مكوناً أو محدداً أساسياً ،بسبب ـ مما يزعمون ـ عدم إمكانية خضوعه للحواس وأنها أمر افتراضي لا نستطيع التعامل معه والتأكد من وجوده ، إلا أن عدداً كبيراً من الباحثين في الشريعة ، والفلسفة ، والاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الإنسان، في القديم والحديث بحثوا هذا الأمر ودرسوه، وأطالوا فيه ؛نظراً لإحساسهم بأنه شق الشخصية الذي لاينكر ، ونصفها الذي لايغفل، وإن انصرف عنه من انصرف، فهو انصراف عجز أو مكابرة ، وليس له أساس موضوعي جلي ومسلّم .

والمشكلة لا تكمن في بحثه من عدمه ، وإنما في كيفية البحث وما هي مصادره؟ وماالشيء الذي ينبغي أن يبحث بالنسبة للروح ؟ ولعل من أهم المحددات في هذا ، أن بحث هذه المسألة ينبغي أن ينطلق من كلام الخالق سبحانه ومن وحيه المنزل على رسوله ؛ إذ هو المصدر الحاسم في هذا ، يقول شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله : « وليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة لا في ذاتها ولا في صفاتها ، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء » (١) .

والبحث في القضايا الجوهرية عند الإنسان يعد من أصعب المجالات، بخلاف الأمورالفرعية والجزئية ، مما يمكن رؤيته وسبره في شخصية الإنسان . يقول محمد

---

(١) انظر ابن تيمية ، الفتاوى : ٤ /٢٣١.

عثمان نجاتي عن الدراسات والأبحاث حول شخصية الإنسان : «وكثير من هذه الدراسات يتناول مظاهر سطحية وهامشية من السلوك الإنساني الذي يمكن ملاحظته وقياسه وإخضاعه للبحث التجريبي ، وهي تغفل في الأغلب أيضاً دراسة النواحي الهامة الرئيسية والجوهرية من السلوك الإنساني ، تلك النواحى التى تتعلق بالجانب الروحي من الإنسان » [١] ثم يقول :«إن اقتصار علم النفس الحديث على المنحى المادي الموضوعي والالتزام بمناهج البحث الموضوعية في دراسة الإنسان لم يمكننا حتى الآن من فهم الإنسان فهماً سليماً ، ومن الحصول على معرفة دقيقة وصحيحة عن الشخصية ، ولذلك فمن الضرورى أن تكون لنا مناهج أخرى جديدة تمكننا من دراسة النواحي الروحية التي لم يتمكن علماء النفس المحدثون حتى الآن من دراستها دراسة جادة » [٢] وهو يقصد بذلك الرجوع إلى الوحي المنزل من لدن الخالق العليم . قال تعالى :

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [٣]

---

(١) انظر محمد عثمان نجاتى ، الحديث النبوى وعلم انفس ، ص ٢٤٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٣) سورة الملك : ١٤ .

مفهومها وتعريفها :

يذهب ابن القيم رحمه الله إلى أن الروح (جسم مخالف في الماهية لهذا الجسم المحسوس ،وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسرى فيه سريان الماء في الورد) [١] وفيما ورد عن الإمام مالك أنه عرفها : «بصورة نورانية على شاكلة الجسم تماما »[٢] ويعرفها مقدار يالجن بأنها جوهر بسيط لطيف حي بذاته يختلف عن ماهية الجسم لأنها من العالم الإلهي متخلق على صورة الجسم الإنساني ، مرتبط بالجسم كله ارتباطا وثيقا ويسرى فيه سريان النور في الزجاجة ، وهي التي تدير الجسم وتضفى عليه صفاته الذاتية من الإدراك والتعقل والشعور بالتسامى والمسؤولية الوجدانية والإحساسات الأدبية والجمالية » [٣] .

وهناك أقوال أخرى « فمنهم من قال : إنه جزء لا يتجزأ في القلب . أو قال : إنه جسم هوائي في القلب . أو قال : إنه جسم هوائي في الدماغ ، أو قال إنه قوة في الدماغ وهو مبدأ الحس والحركة . أو قال: إنه أجزاء نارية وهي المسماةبالحرارة الغريزية . أو قال : إنه الدم المعتدل ، تقوى الحياة باعتداله وتفني بفنائه . أو قال: إنه جسم بخارى يتكون من لطافة الأخلاط وبخاريتها ... الخ » [٤] .

ورغم وجود هذه التعريفات والمحاولات لتحديد مفهوم الروح إلا أنها تظل غامضة من حيث الماهية ، ومختلف عليها بين الباحثين ويبقى الحديث والتحديد أكثر في صفاتها أو آثارها أو متعلقاتها ، يقول محمد قطب « إنها مجهولة في

---

(١) انظر ابن القيم ، الروح ص ١٧٧ .

(٢) انظر عبد الرحمن حجر ، دور الأسرة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ ، ص ٢٥٥ .

(٣) انظر مقداد يالجن ، فلسفة الحياة الروحية ، ص ٣٧ عن عبد الرحمن حجر ، ص ٢٥٥ .

(٤) انظر العقاد ، الفلسفة القرانية ، ص١٢٣ .

كنهها ، مبهمة غامضة ، محجوبة عن الإدراك ، ولكن نتائجها ليست مجهولة ولامحجوبة عن الإدراك » [١].

ولعل هذا الإبهام والغموض مقصود ومراد من الشارع كما قال تعالى :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [٢] .

يقول القرطبي بعد ذكر عدد من الأقوال عن الروح : والصحيح الإبهام لقوله تعالى : « **قل الروح من أمرربي** ... أى هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى، مبهماً له وتاركاً تفصيله ؛ ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها .. وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له » [٣] .

خلق الروح

والروح لها صفات عديدة منها : أنها مخلوقة محدثة ، ليست من ذات الله كما يزعم بعضهم ممن يحتج بأن الله تعالى أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته استنتاجاً من قوله تعالى « **ونفخت فيه من روحي** » ، وقد ردَّ ابن القيم رحمه على ذلك وقال إن هذه الإضافة من إضافة المخلوق إلى خالقه ، والمملوك لمالكه كالبيت والناقة والرسول والروح ، وليست من إضافة الصفة إلى الموصوف . ولكن في إضافة المخلوق مزية وتشريف وتخصيص يتميز به المضاف عن غيره [٤].

---

(١) انظر محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية جـ١ ص ٤٢ .

(٢) سورة الإسراء : ٨٥.

(٣) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٣٢٤ .

(٤) انظر ابن القيم ، الروح ص ١٥٣.

٥٢٩٦٥١

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا فأجاب بأن « روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وائمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين » (١) .

وبهذا يتبين أن « كلمة الروح مضافة إلى الله عز وجل إضافة ملكية ، وليست للتعبير عن ذات الله وليس المنسوب إلى الإنسان في مثل قوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من ورحي ﴾ سوى النفخة الإلهية الكريمة » (٢) .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

(١) انظر ابن تيميه ، الفتاوى : ٤ / ٢١٦ .

(٢) انظر فاروق الدسوقى ، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، ص ٦٢ .

علاقة الروح بالنفس :

ومن القضايا المهم بيانها علاقة الروح بالنفس ، وهل هما مختلفتان أم مترادفتان. فابن القيم يرى أن النفس هي الروح من حيث الذات ويقول إن « الفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لافرق بالذات » (١) .

ويرى أن النفس في القرآن تطلق على الروح وحدها وتطلق على الذات بجملتها بخلاف الروح فإنها لاتطلق على البدن لامنفرداً ولامع النفس (٢). وهكذا شيخ الإسلام ابن تيمية أشار إلى اشتراك مسمى « الروح والنفس »وأن أدلته كثيرة(٣). وقال عند قوله تعالى : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾ (٤) .

« .. والنفس هنا هي الروح التى تقبض وإنما تتنوع صفاتها ، كما قال النبى (ﷺ) : في الحديث الصحيح ـ لما ناموا عن صلاة الفجر ـ قال : « **إن الله قبض أرواحنا حيث شاء** ـ وفي رواية ـ **قبض أنفسنا حيث شاء** » وقال تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت** ﴾ والمقبوض المتوفى هي الروح » (٥) .

بينما يرى آخرون أن النفس غير الروح وهم بعض أهل الحديث والفقه والتصوف ـ كما ذكر ذلك ابن القيم(٦)ـ وأن النفس هي التى تخرج من النائم وهي التي يعقل بها الأشياء ، فإذا استيقظ رجعت إليه . ويذهب إلى هذا من المحدثين

---

(١) انظر ابن القيم ، الروح ، ص ٢١٥.

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) انظر ابن تيمية ، الفتاوى : ٤ / ٢٢٦ .

(٤) سورة الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) انظر ابن تيمية ، الفتاوى :٤/ ٢٢٥.

(٦) انظر ابن القيم ، الروح ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

فاروق الدسوقي الذي يقرر ويؤكد أن الروح غير النفس ، وأن الثانية هي مصدر حياة الكائن الحي ، وأن سبب موت الإنسان هو خروج النفس من جسده وليس خروج الروح ، واستدل بأكثر من ثمان آيات من القرآن على أن مصدر حياة الإنسان وسبب موته هو النفس ، وبالتالى فهى مصدر النشاط الإنساني الحيوي ، وليس الروح، فالقرآن لم يورد آية واحدة تذكر خروج الروح كسبب للموت. (١)

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

(١) انظر فاروق الدسوقي ، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، ص ٦٣ ـ ٦٥

بعض المستخلصات عن الروح :

١ ـ يكاد أن يجمع الباحثون على أن الروح جزء من شخصية الإنسان ، وعنصر أساس في كينونته وخلقه ، والمرتكز في هذا آيات الكتاب العزيز التي أشارت إلى خلق الإنسان مثل قوله تعالى : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ [١] وهذا في خلق آدم ، وقوله تعالى : ﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه** ﴾[٢] وهذا في كل نسمة من ذرية آدم . وفي حديث الرسول ﷺ : « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ... ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح** »[٣] فهذه النصوص وغيرها كثير، يجعل من الروح مرتكز الإنسان وجوهره ،وتشير إلى دخولها في بنيته وتكوينه في الوجود الغيبي ، عندما أراد الله أن يخلقه ويبتليه .

٢ـ أن بعض العلماء يرى أن الروح هي النفس وكأن اللفظين مترادفان أو أنهما مشتركان ، ومن ثم ماورد في القرآن يشير إلى خروج النفس أو موتها فالمقصود به الروح أيضاً مثل قوله تعالى : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾ [٤] .

ويرى آخرون أن النفس غير الروح ، ومن هؤلاء من يرى أن النفس هي التي تموت وتخرج من البدن وبسبب ذلك يفقد البدن حياته . وقد عبر القرآن كثيراً

---

(١)سورة ص : ٧١ ، ٧٢ .

(٢) سورة السجدة : ٧ ـ ٩ .

(٣) أخرجه البخاري و انظر ابن حجر فتح الباري : ٦/ ٣٥٠ رقم الحديث (٣٢٠٨)

(٤) سورة الفجر : ٢٧.

جداً عن أن النفس هي التي تموت وهي التى تقبض ، وبقبضها يصير الإنسان في عداد الأموات قال تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم** ﴾ (٢) . بل إنه لم ترد آية واحدة في القرآن تذكر خروج الروح كسبب للموت .

٣ ـ أن الذين عرفوا الروح وتناولوا مفهومها وصفاتها وآثارها أبانوا أن الروح شيء غير مادي وأنه نوارني علوي لطيف خفيف نافذ ، وأنه مرتبط بالجسم ارتباطاً وثيقاً ، وأنه جوهر حياة الإنسان وله الإرادة فيها .

كما أن الروح وردت في القرآن بمعان عديدة توحي بالأهمية والعظمة والشرف والخصوصية والتميز والعلو في المكان والمقدار والقوة ، فالوحي سُمي روحاً ، وجبريل وهو أعظم الملائكة كذلك ، والتأييد بالقوة والثبات سمى روحاً ، قال تعالى ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ (٣) وعيسى عليه السلام أطلق عليه « روح » لآية الله فيه وماخصه به .

كل هذا يشير إلى أن الروح في الإنسان شيء معنوي عال ، وأنه خاص بالإنسان دون غيره ، وأنه مرتبط بالعمليات العليا في الإنسان ، وأنه يمثل الشفافية والسمو والطموح والشوق الذي يرقى بالإنسان عن المادة والشهوة واللذة الجسدية، إن الروح هي : « الطاقة التى يتصل بها الإنسان بالمجهول .. بالغيب المحجوب عن الحواس ! ، الاستشفاف عملية من عمليات الروح . والحلم التنبؤي عملية من

---

(١) سورة الزمر : ٤٢.

(٢) سورة الأنعام : ٩٣ .

(٣) سورة المجادلة : ٢٢ .

عمليات الروح . والتخاطر عن بعد (التيليباثي) كحادثة عمر الشهيرة مع سارية، حين ناداه على بعد ألوف الأميال : ياسارية الجبل : الجبل : فسمعه سارية ونجا من الكمين وانتصر .. هذا التخاطر عملية من عمليات الروح .. وهي كلها عمليات جليلة عظيمة باهرة معجزة ... يقف الإنسان حائراً أمامها .. ولكنها مع ذلك عمليات جانبية .. إنما الوظيفة الكبرى للروح ، هي الاتصال بالله » (١) .

فهي إذا كيان آخر وهيئة أخرى لها وجودها ومقامها ووظائفها الأساسية ، ولايمكن أن تكون فقط هي عنصر الحياة في الجسد بالمفهوم « العضوي الطبى » وأنها مصدر الحياة فيه ، وإذا خرجت أو قبضت مات الإنسان . والروح بهذا المفهوم الضيق موجودة في الإنسان والحيوان على حد سواء بل موجودة في الإنسان والكائنات الحية دون الحيوان ، وهي موجودة في الإنسان كبيراً وفي الجنين في أسابيعه الأولى ، وهي إذا كانت مادة حياة الجسد فهي موجودة في الكافر الملحد المعاند وفي المؤمن القانت المخبت .

إن الروح لابد أن تكون غير ذلك أو أنها أوسع من ذلك بكثير. وهذا ماتوحي به معانيها في القرآن والسنة ، وفي دلالاتها ومعانيها في اللغة العربية وفي كلام من كتب من السلف ومن كتب من العلماء بعدهم قدامى ومحدثين .

يقول العقاد بعد تناوله للروح بالمعنى الذي يقصد به قوام الحياة في الشخصية الإنسانية : « ولكن الروح عممت في القرآن الكريم لغير هذا المعنى ، فسمى جبريل بالروح الأمين ..ونسبت إلى الله روح بمعنى الرحمة تارة ، وبمعنى القوة أو الحياة تارة وبمعنى العلم القدسى في غير هذه المواضع ، قال تعالى : ﴿ **رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ (٢) .

---

(١) انظر محمد قطب ـ منهج التربية الإسلامية ، الجزء الأول ، ص ٤٣.

(٢) سورة غافر : ١٥.

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .. ﴾ [١]. وبهذا المعاني كلها ترتفع الروح من الوجود المادي إلى الوجود المنزه عن المادة وخصائصها ، وقد تلحق بالوجود الإلهي الذي لاشبيه له في الموجودات . ولكن الاصطلاح الذي لايتعرض أصحابه للحصر والتحقيق يطلق الروح أحياناً على معنى الحياة في كل ذى حياة فيقولون : (كل ذي روح) ويقصدون به الحيوان ، ويجمعون بين الروح والنفس في معنى واحد»[٢] وكأن العقاد هنا يشير إلى أن هناك فرقاً بين النفس والروح ، وأن الثانية أوسع من أن تكون معنى الحياة فقط إذ في هذا يتساوى الإنسان والحيوان بل والنبات .

٤ ـ بعضهم يري أن الروح درجات ومستويات ، وأنها تتفاوت في تأثيرها ومقدارها من حال إلى حال ، كحال النوم واليقظة ، ومن شخص إلى شخص ، كحال الناس عامة والأنبياء خاصة ، ومن طور إلى طور ، كحال الجنين والطفل والبالغ ، فالغزالي مثلا يرى أن الروح البشرية تنقسم إلى خمس مراتب بشكل تصاعدي هي : ١ ـ مرتبة الروح الحساس وبه يصير الحيوان كائناً حياً ، وهذا الروح موجود عند الصبى الرضيع .

٢ ـ مرتبة الروح الخيالي ، وهذا لايوجد عند الصبى الرضيع في أول نشأته ، ولذلك يولع الرضيع بالشيء ليأخذه فإذا غاب عنه نسيه ولم تنازعه نفسه إليه ، أما عندما يكبر فإنه يطلبه وذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله .

٣ ـ مرتبة الروح العقلي وبه إدراك المعاني خارجة عن الحس ، ولايوجد عند البهائم ولاعند الأطفال .

٤ ـ مرتبة الروح الفكري وبه يحصل علم المعارف العقلية المحض وبه

---

(١) سورة الشورى : ٥٢.

(٢) انظر العقاد ، الفلسفة القرآنية ، ص ١٣١ .

الاستنباطات والربط .

٥ ـ مرتبة الروح القدس النبوي ويختص به الأنبياء وبعض الأولياء ، وبه المعارف الربانية [١] .

وابن القيم يقول بأن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق ، متغايرة الأحكام هي :

الأول : تعلقها به في بطن الأم جنيناً .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به في حال النوم .

الرابع : تعلقها به في حال البرزخ .

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها ، ولانسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ؛ إذ هو تعلق لايقبل البدن معه موتاً ولانوماً ولافساداً [٢] .

ويلاحظ على ما أشار إليه الغزالي من مراتب أنها مراتب عقلية فهناك تداخل بين العمليات العقلية والعمليات الروحية ، كما إن هناك تدرجاً تكوينيا معتبراً ، وهومايتناوله علماء نفس النمو عندما يتحدثون عن تفاوت قدرات الفرد العقلية والمعرفية في مراحل نموه المتخلفة ، وأن ذلك يفرز تفاوتاً في المكتسبات السلوكية والخلقية . وأما ابن القيم فيرمى من التقسيم الذي بينه إلى القول بأن الروح التي هي قوام حياة الجسم تتفاوت نوعاً وكما من حال إلى حال ، وهذا المنحى واضح ، فحياة النائم ليست كحياة اليقظان ، وحياة الجنين في أسابيعه الأولى ليست كحياة البالغ الراشد ، وحياة الإنسان على وجه الأرض ليست كحياته في القبر وهكذا .

---

(١) انظر عيسى عبده واسماعيل يحى ، حقيقة الإنسان ، الكتاب الثاني ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) انظر ابن القيم ، الروح ، ص ٤٤ .

وهذا المنحى من البيان ـ لاشك ـ يحل إشكالا كبيراً يتعلق بالحياة الروحية ومجالاتها وأنواعها . وأنها قابلة للنماء والغذاء والبناء ، إلا أنه يضل التساؤل المتعلق بأن الروح هي مادة الحياة في الجسم من الناحية العضوية قائماً ، وأن هذا البيان قد لايكفي في إزالة الإشكال . فالحياة في المادة أو في الجسم لاتتفاوت ذلك التفاوت الكبير إلا إذا ربطت بخصائص المادة أو الجسم ؛ فيكون التفاوت باعتبارتلك الخصائص ، فالإنسان له خصائصه والحيوان كذلك وهكذا الجنين مقارناً بالكبير .

وعليه فإن الدمج بين ماأشار إليه الغزالى وابن القيم يسهم في حل الإشكال ويفتح باباً لتجلية مدى الحياة الروحية ونوعها ومجالاتها.

٤ ـ ويذهب فاروق الدسوقى[١] مذهباً آخر في تفسير الروح ، فهو يرى أنها الأمانة المقصودة في قوله الله تعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾[٢] . وأنها بذلك تكون وديعة مستردة ، وهو يفسر الأمانة أو الروح بالصفات الإنسانية العليا ، التي هي مناط كرامته وعلوه ، وهي روحه التي منحها الله إياه ، ويمكن أن تضيع منه .

ويبنى رأيه على مسلمات منها :

أ ـ أن الروح ليست هي مصدر حياة الإنسان ، وإنما النفس مصدر الحياة ، ويستدل على ذلك بأدلة عديدة ، وهو رأى سبقه إليه آخرون ـ كما أشرنا إلى ذلك قبلاً ـ وبهذه المسلمة تكون الروح في الإنسان شيئاً آخر غير مادة الحياة ، ونفخ الروح لايعطي الحياة وإنما يمنح الخصوصية الإنسانية .

ب ـ أن الإنسانية تختلف عن البشرية في المصطلح القرآني ؛ فالبشرية تعنى

---

(١) انظر فاروق الدسوقى ، مفاهيم قرانية حول حقية الإنسان .

(٢) سورة الأحزاب : ٧٢.

الخصائص الحيوية عند الإنسان وأحواله باعتباره كائناً حياً ، تشاركه في الخصائص الحيوانات الأخرى . ومن هذه الخصائص التكوين الجسدي ،ووظائف الأعضاء ، والغرائز كالأكل والنوم والجنس ، واستدل بآيات كثيرة يرد فيها كلمة بشر ، ويكون موضوعها عن الحالة البيولوجية مثل قوله تعالى : ﴿ **وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ (١) عن خاصية الموت . وقوله تعالى : ﴿ **ماهذا إلابشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه** ﴾ (٢) في خاصية الأكل ، وبالنسبة للغريزة الجنسية واعتبارها من الخصائص البشرية ، قال تعالى ﴿ **قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسنى بشر** ﴾ (٣) .

وهكذا لانكاد نجد آية تستخدم كلمة بشر إلا ويكون موضوع الآية الرئيس هو حالة من حالات بنى آدم الحيوية .

أما الإنسانية فتعني الخصائص العليا في المصطلح القرآني ، وآيات القرآن تستخدم كلمة إنسان ويكون موضوع الآية الرئيس خاصية من خصائص الإنسان التي ينفرد بها عن الحيوان مثل قوله تعالى :﴿ **خلق الإنسان * علمه البيان** ﴾ (٤) والبيان خاصية في الإنسان ، وقوله تعالى : ﴿ **علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ (٥) وتعلم الأسماء خاصية الإنسان ، وقوله تعالى ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ (٦) إشارة إلى المسؤولية وهي خاصية الإنسان . وهكذا .. مما يثبت أن الإنسانية تختلف عن البشرية، وإن كانت الإنسانية والبشرية تجتمعان فى كائن واحد ، وذات

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٤.

(٢) سورة المؤمنون : ٣٣ .

(٣) سورة مريم : ٢٠ .

(٤) سورة الرحمن : ٣ .

(٥) سورة العلق : ٥ .

(٦) سورة الإسراء : ١٣ .

واحدة، هي الذات الآدمية ، ولكن البشرية هي أحوال آدمية تتناظر مع الحيوانية ، بينما الإنسانية هي حالات سامية لبني آدم ، أو هي خصائص ترتفع بابن آدم إلى مستوى وجودي أرفع وأكرم من مستوى الحيوان ، فالمسؤولية ، والعلم ، والسيادة ، والبيان ، والحرية وغير ذلك كلها خصائص إنسانية وليست خصائص بشرية .

جـ ـ أن التسوية في مثل قوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ تعنى في اللغة تمام صنع الشيء أو تمام فعل الشيء ، ومعنى الآية فإذا سويته أى أتممت خلقه بشرا سوياً كامل الحياة فيه قلب ينبض ورئة تتنفس وعين ترى وأذن تسمع ، أي آدم البشر، وليست التسوية لآدم هنا بمعنى أنه أصبح تمثالاً من طين لاحياة ولاحركة فيه .

وانطلاقاً من هذه المسلمات يرى فاروق الدسوقى أن آدم كان حياً بعد المرحلة الأولى وهي مرحلة التسوية ، و أن النفخة الإلهية الكريمة ـ وهي المرحلة الثانية ـ هي التي رفع الله عز وجل بها آدم من مستوى البشرية ، الذي كان فيه مجرد كائن حي إلى مستوى الإنسانية الذي هو أحسن تقويم ، فتكون النفخة الإلهية الكريمة أو الروح هي جوهر وسر الإنسانية ، وحيث أن آدم تلقاها وهو حي فإنه يمكن أن يضيعها وهو حي . وهو عندما يضيع روحه لايصبح إنسانًا ، بل يصبح بشراً فقط ـ أى في مستوى الحيوان ـ ولذلك وصف الله الكفار الذي ضيعوا إنسانيتهم ـ بالمعنى المشار إليه ـ بالأنعام قال تعالى :

﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (١)

قال تعالى : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٩ .

(٢) سورة محمد : ١٢.

وهذا مايفسر قوله الله تعالى :

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [1] فعندما يفقد الإنسان جوهر الإنسانية فإنه يرتد إلى أسفل سافلين ، وهذا يدل على أن ابن آدم لم يبدأ حياته كإنسان ، بل كان كائناً حياً فقط ، ثم رفعه الله إلى أحسن تقويم ، فإذا كفر أو أشرك ضاع منه سرّ التقويم الأحسن ، فارتد مرة ثانية أسفل سافلين ، ولولم يكن الأمر كذلك لما قال « ثم رددناه » ولكان استخدام لفظ ثم حططناه أو سفلناه ، لأن رددناه يعنى أعدناه إلى ماكان عليه من درجة وجودية هابطة أحط من الدرجة التى رفعناه إليها وهي أحسن تقويم .

هكذا يرى فاروق الدسوقى ـ بعد استقصاء ـ معنى الروح وأنها سر الإنسانية، والأمانة التي حملها الإنسان والتي أعطاها الله لخلقه في المرحلة الثانية ـ وهم أحياء ـ فإن حافظوا عليها كانوا في « درجة أحسن تقويم » وهم المؤمنون ، وإن ضيعوها رجعوا للمرحلة الأولى أسفل سافلين وهم الكافرون . وهذا الرأى ـ لاريب ـ يحتاج لدراسة أوفى وأكمل تستجمع النصوص الواردة من القرآن والسنة، وتقارن بينها ، وهو رأى يجيب عن إشكالات عديدة ـ أثرناها سابقاً ـ .

وقد أشرنا عند الحديث عن بناء الشخصية ومكوناتها إلى أن المكون الأول للشخصية مكون جسدي حيوي ، ثم يأتى بعده المكون الروحي ، ويرتكز على هذا الأخير المكونان العبادي والخلقي . والجانب الروحي المميز للإنسان كما يشير إليه الباحثون ومنهم فاروق الدسوقي هو الذي ترتكز عليه الدوافع المعنوية والأخروية ، وقد سبق بيانها في باب الدوافع . وينسجم هذا الرأي مع القول بأن الإنسان على

---

(٣) سورة التين : ٤ ـ ٦ .

الفطرة منذ خلقه ومنذ ولادته ، أى أن الإنسان في الأصل موحِد مسلم خُلق على الفطرة ، وولد عليها ، لكنه قد ينتكس بعد ذلك بطمس فطرته والقضاء على خيريته وبالإعوجاج عن طريق الحق وأهله .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

السواء والانحراف وسمات الشخصية

معايير السواء عند النفسيين :

السواء والإنحراف حالتان نصف بهما الإنسان فنقول إنسان سوي و إنسان منحرف أو شاذ فماذا نعنى بالسواء والإنحراف ؟ وماالمعايير لتحديد ذلك ؟ ومن ثم ماهي سمات الشخصيه السوية والمنحرفة ؟

يمكن أن نلخص معايير السواء والإنحراف كما يراها النفسيون والاجتماعيون فيما يأتى :

١ ـ معيار النظرية القيمية : حيث يعني السواء والانحراف مدى اقتراب الفرد أو ابتعاده عن المثل الأعلى وعن الكمال ،فالشخص الكامل في كل شيء هو السوي، والشخص الذي ينقص عن المثل الأعلى هو الشاذ ، ثم يتفاوت الشذوذ مقدارا ونوعاً ، كل بحسب تمثله للمبادىء النموذجية ، وبحسب احتذائه للمثل الأعلى الذي يبرز الصورة النموذجية.

٢ ـ معيار النظرية الطبية : ويرى أن الشذوذ حالة مرضية عند الفرد تمثل خطراً على الإنسان نفسه أو على المجتمع ، ويجب التدخل لحماية الفرد ، أو حماية المجتمع منه ، وطبقاً لهذه النظرية يكون الشواذ أقلية قليلة ؛ إذ أنها لاتعير بالاً إلا للشذوذ البارز الصارخ، والمرتبط ـ غالباً ـ بالخلل النفسي العضوي ، وبالإضطرابات الظاهرة على السلوك ، مما يلحظ الناس شذوذ أصحابها ، وخروجهم عن النسق الأدبي . أما الأعم الأغلب من الناس فهم أسوياء في النظرة الطبية .

٣ ـ معيار النظرية الإحصائية الثقافية : ومعيار السواء والانحراف هنا هو مدى البعد أو القرب عن الشائع في ثقافة من الثقافات ، ويمثل الأسوياء في هذا المعيار الأكثرية التي تقع في المتوسط وقربه والتى تمثل الشائع في المجتمع والثقافة . بينما

يمثل الشواذ الأقلية التي تنحرف بمدى واسع عن المتوسط أو الشائع في الثقافة .

ووفق هذه النظريـة تصبـح الأقليـة التى تمثل المـثل الأعلى في النظرية القيـميـة شاذة ، وتصبح الأكثرية التي تعد شاذة هناك سوية هنا .

ووفق هذه النظرية يمكن أن يوجد أنواع من السـلوك تعدُّ شاذة في ثقافـة معينة إلا أنها تعـتبر سوية في ثقـافة أخرى والعكس صحـيح . فالمعيار هنا مـرتبط بالعرف السائد ، والميراث الشائع ، كـما قال تعالى : ﴿ **قالوا إنا وجـدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مـهـتـدون * وكـذلك مـاأرسلنا من قـبلك في قـرية من نذير إلا قـال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ (١) .

فالشرك بالله وعبادة غيره ، عند هؤلاء الأقوام سلوك صحيح محتذى ، بل هو عين الهداية مـادام شائعاً مـوروثاً ، ولو كان أكبـر الذنوب وأشنعها في مـيزان النقل والعقل . ويقول الشاعر وقد أعمى عقله وحكمته ، واحتكم إلى عرف قبيلته :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ومما نبـه إليه التنزيل الحكيم ، والقـرآن العظيم ، أن الكثرة لـيست دليل الصـحة والسـلامـة ، ولا النجـاة والسعـادة ، وأنه لاينبـغى التـعـويل عليـهـا عند النظر ، ولا الاغترار بها ، قال الله تعالى : ﴿ **وما أكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين** ﴾(٢).

قال تعالى : ﴿وإن تطع أكثـر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتـبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الزخرف: ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة يوسف : ١٠٣ .

(٣) سورة الأنعام : ١١٦.

معايير السواء في المنهج الإسلامي

يتأثر تحديد سمات الشخصية السوية في المنهج الإسلامي بخصائص التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ، ومن أهم هذه الخصائص : أنه رباني المصدر ، وأنه شامل النظرة ، وأنه إيجابي المعاملة . ومفهوم السواء في المنهج الإسلامى مرتبط أيما ارتباط بالكيفية التي ينظر بها إلى الإنسان من حيث طبعه ومنهجه وغاياته.

ومن ثم فإن معايير السواء والانحرف تختلف ـ قليلاً أو كثيراً ـ عن المعايير المستعملة في المناهج الأخرى ، ومن أهم المعايير المعتبرة لمعرفة السواء والإنحراف في المنهج الإسلامي ، وفق التصور الذى تم بيانه عن الشخصية ـ فيما سبق ـ مايأتى :

ـ مدى انسجام السلوك مع الطبع الإنساني ومع الفطرة التي فطر الله النفس عليها .

ـ مدى انسجام السلوك مع الشرع الإلهي .

ـ مدى انسجام السلوك مع الغاية النهائية للإنسان [١].

أولاً : مدى انسجام السلوك مع الطبع والفطرة :

فالإنسان مفطور مطبوع على أشياء كثيرة ، خلق بها وبنى عليها ؛ فهي من جبلته ، مألوفة له ، محبوبة عنده ، نابعة من كيانه . وكلما وافق الإنسان فطرته وطبعه كان مستقراً مطمئنًا ، وكلما صادمها أو خرج عليها صار مضطربًا متردداً .

والخروج عن الأشياء المطبوع عليها الإنسان ـ لاشك ـ هو عين الشذوذ .

---

(١) ومن الملاحظ أن هذه المعايير كلها تعود إلى مصدرواحد ، وهو الخالق سبحانه فهو الذي خلق الإنسان بهذا الطبع، وهو الذي أنزل الشرع الذي يجب أن يحكم سلوك الإنسان . وهو الذي حدد غايته النهائية .

فالإنسان مفطور على حب الحياة ، والتعلق بها ، وهذا ظاهر على سلوك الإنسان منذ طفولته ، فهو يخاف من الهلاك ويتشبث بالحياة . كما أن التفريط بالنفس ، والأداء بها إلى التهلكة ، وظاهرة الانتحار تعدّ سلوكات شاذة تدل على انحراف من يفعلها وخروجه على الطبع والفطرة .

والمرأة تميل إلى الرجل بطبعها، وكذلك الرجل يميل إلى المرأة ، وإذا حدث ميل الرجل للرجل ، أوالمرأة للمرأة فهو شذوذ ؛ ولهذا نُهي عن تشبه الرجال بالنساء أو العكس ؛ لخروجه عن الطبع ، ومن الفطرة الميل للستر والتستر ، والنفور من العري والتعري ، فالإنسان يخجل أيما خجل من إخراج سوأتيه ، مما يدل على أساسه الفطرى ، وعندما يتعرى الإنسان ، أو يتخذ للعري نوادي ومنابر لاسيما المرأة ، فقد وقع في الشذوذ والإنحراف .

والإنسان يحب الاجتماع بطبعه وجبلته ، ويكره العزلة ، ويسعى ليكون محبوباً مقرباً ، وعندما تفرض عليه العزلة أو ينبذه المجتمع فإنه يشعر بالغربة والوحشة وقد يمرض بسبب ذلك .

وهكذا كل ما هو من الفطرة والطبع فهو مقبول مرحَّبٌ به في المنهج الإسلامي ؛ لأنه أحد معاييره المهمة التي يقايس بها الشخصية سواءً وشذوذا ، ولأن الشرع - كما سيأتى - يوافق الفطرة ولايناقضها.

مكتبة المهتدين لاستلاب المقتنيات الأديان

ثانياً : مدى انسجام السلوك مع الشرع :

فالشرع الذي ارتضاه الله لعباده فيه صلاحهم وسلامتهم ، وفيه سواءهم واستقامتهم ، ولهذا سمى الشرع صراطاً مستقيماً ، قال تعالى :

﴿ وأن هذا صراطيَ مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (١).

والشرع دائماً موافق للفطرة والطبع ، ولايمكن أن يخالفهما وإن ظهر للناس ذلك أحيانًا بسبب ألفتهم لأشياء وتعودهم عليها . والشرع الذي قام على التوحيد ، وفصّله الكتاب والسنة هو عين الفطرة ، وبهذا يتطابق المعياران الفطرة والشرع ؛ فيصدِّق بعضها بعضاً ؛ مما يزيد الإنسان نوراً وفرقانا .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **ليله أسرى بي أتيت بإناءين، أحدهما لبن ، والآخر فيه خمر ، فقيل لي : خذ أيهما شئت . فأخذت اللبن ، فشربته ، فقيل لي : هديت إلى الفطرة ـ أو أصبت الفطرة ـ أمَّا إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك** » (٢) .

فقد عبر عن موافقته للفطرة بشرب اللبن « فهو عبارة عن الإشباع الصحيح ، والمنهج المنسجم مع الفطرة ، وفي اللبن من الغذاء والصحة واللذة والغناء عن غيره مافيه ، حتى قال ﷺ في حديث ابن عباس : (**إنه ليس شيء يجزىء مكان الطعام والشراب غير اللبن**) ... وهناك وسائل معارضة للفطرة ، مخالفة لها ، ويمثلها الخمر في الحديث، فهو رمز عن الإشباع المنحرف ، وسلوك الطريق المصادمة للفطرة ، وفي الخمر من الخبث والطيش والرجسية مافيها ؛ فهي تغتال العقول والأموال ، والأديان والأبدان » (٣) .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٣.

(٢) أخرجه البخارى ، انظر ابن حجر ، فتح الباري : ٦/ ٥٤٩ رقم الحديث (٣٤٣٧) .

(٣) انظر سلمان العودة ، نداء الفطرة ، ص ٦ ، ٧ .

وبمعيار الشرع يحصل الإنسان على قانون مفصل لكيفية السير في حياته ؛ فلا يحار ، ولاتلتبس عليه الأمور فيما يأتى أو يدع ، وبالشرع يتعرف الإنسان على مدى بعده أو قربه من السواء ، أى أنه يستطيع أن يقوِّم نفسه ومجتمعه ، ثم يعدّل في ضوء ذلك ليصل إلى درجة عالية من الصحة النفسية والنضج والاستواء في شخصيته .

ولو استعرضنا الشعائر والشرائع التي خوطب بها الإنسان في الشرع الإلهى لرأينا مدى الانضباط والصحة والاستقرار الذي يحصل عليه الإنسان بارتباطه بالشرع ، فالصلاة ـ مثلا ـ ومتعلقاتها من استعداد وطهارة ونية تعطى الإنسان من الحيوية والنشاط والطمأنينة والسمو مالا غنى للإنسان عنه لو تركها ، وهكذا الزكاة والصوم والحج والتلاوة والذكر ، وهكذا البر والصلة والعشرة الزوجية والصدق والبذل والإيثار ، وهكذا التقيُّد باجتناب المحظورات من تحريم الخمر والزنا والسرقة والغش والزور والكذب .. الخ ، وغيرهذا كثير جداً مما جاء به الشرع لينمى الشخصية ويزكيها ويحميها من الانحراف والضياع .

ثالثاً : مدى انسجام السلوك مع الغاية النهائية :

ليكون السلوك الإنساني في غاية سوائه لابد أن يكون منسجماً مع غايته النهائية ـ التي يلزم أن يحددها له خالقه ـ وهي العبودية، قال تعالى :

﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (١) .

فالغاية من خلق الإنسان هي عبادة الخالق سبحانه بتوحيده والخضوع له وطاعته ،ويؤدى هذا لنيل الإنسان رضا الله وجنته ، والنجاة من غضبه وعذابه ، وهذه غاية الغايات ومنتهى الإرادات .

والشخصية التي تعد تراكماً للسلوكيات التى يمارسها الإنسان تتأثر بذلك ؛ فإذا اقتربت من غايتها النهائية ، ووجهت حركتها ونشاطها لخدمة تلك الغاية ، أو بما لايناقض تلك الغاية ؛ فإنها تستقر وتستوى ، بل إنها تنسجم وتتوحد بدلاً من أن تتشتت ـ كما أشرنا إلى ذلك في موضع آخر .

فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« من كانت الدنيا همّه ، فرق الله عليه أمره ، و جعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة »** (٢) .

ولاشك أن هذا المعيار يعد من أدق المعايير السلوكية ، ومن أفضل المحكات في بناء الشخصية ، وتقويمها ، وقياس سوائها وشذوذها ، فوفق المنهج الإسلامي ، لا تُسوَّى شخصية المعاند المفرط الطاغي بشخصية المطيع المنقاد المتواضع ، ولا شخصية التائه المسوِّف العربيد بشخصية العارف الحازم الملتزم .

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه ، وصححه الألباني ، انظر الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه : ٢/ ٣٩٣.

سمات الشخصية الإسلامية :

وانطلاقاً من هذه المعايير الثلاثة يمكن أن نستخلص بعض سمات الشخصية السوية التى يُعنى بها المنهج التربوي النفسي الإسلامي وهى :

١ـ التوازن في تلبية المطالب بين الجسد والروح أو (الجسمروحية) وهي تعنى أن الإنسان السوى هو الذي يلبى نداءات الروح والجسد على حد سواء . وأن الشذوذ والانحراف يمكن أن يوجدا عند إشباع الروح على حساب الجسد أو العكس ؛ حيث يُعتنى بأحد المكونين الإنسانيين دون الآخر ، قال تعالى :

﴿ إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (١) .

ويجري على هذا المنوال التوازن بين العباديات والماديات في حياة الفرد، وبين الآخرة والدنيا قال تعالى :

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (٢) .

٢ ـ الفطرية ، وتعني إنسجام السلوك مع السنن الفطرية التى فطر الله الناس عليها؛ فالسلوك كلما تطابق مع الفطرة أو اقترب منها كان سوياً وكلما ابتعد عنها كان شاذاً ، ومن ذلك إيمان الإنسان بوحدانية الله ، وهو أمر فطرى ؛ ولذلك فهو السواء ، والشرك هو الشذوذ ، قال تعالى :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله﴾ (٣) .

ويجرى على المنوال جميع أنواع السلوك من حيث الفطرية والتكلُّف .

٣ ـ الوسطية ، وهي خيرية السلوك وفضيلته ، أو هي توازن في أداء السلوك

---

(١) سورة ص : ٧١ .

(٢) سورة القصص : ٧٧ .

(٣) سورة الروم : ٣٠ .

ذاته بين الإفراط والتفريط ، فالإنفاق يكون بين الإسراف والتقتير ، والعلاقة بالله تكون بين الخوف والرجاء . والاتجاه إلى أحد الطرفين يعد شذوذاً ، قال تعالى :

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ (١) .

٤ ـ الاجتماعية ، وهي وجود الإنسان في وسط اجتماعي ، وتجاوبه السلوكي مع هذا الوسط ، وقدرته على إقامة العلاقة الإنسانية مع الآخرين. ولهذه السمة ارتباط وثيق بالسمة الثانية فالإنسان إجتماعي بفطرته . والاتجاه إلى الفردية أو إلى العزلة بدون سبب ملجيء يُعد شذوذاً .

٥ ـ المصداقية ، وهي الصدق مع الذات ومع الناس ، وتطابق ظاهر الإنسان مع باطنه. وكلما اختلف ظاهر الإنسان عن باطنه كلما كان شاذاً وازدوجت شخصيته ، وهو النفاق وقد عدّه القرآن مرضاً قال تعالى :

﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وماهم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون *في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ (٢) .

٦ ـ الإنتاجية ، وهي اتجاه الإنسان إلى العمل وتحمل المسؤولية بحدود قدراته . فالعمل أو الإنجاز يعدّ ركناً مهماً في سواء الإنسان وصحته النفسية ، بينما تؤدى البطالة والسلبية إلى الإنحراف والشذوذ؛ ولهذا يقرن القرآن دائماً بين الإيمان والعمل الصالح حيث لا إكتمال وسواء للشخصية إلابهما ، فالإيمان بدون عمل يمثل السلبية وخداع النفس والكذب عليها وعلى الآخرين ، والعمل بدون إيمان يمثل الخواء والحمق والجهل .

---

(١) سورة الفرقان : ٦٧.

(٢) سورة البقرة : ٨ ـ ١٠ .

الميزان النفسى والمنظور الإسلامي :

وإذا استعرضنا المحكات التى على أساس منها يقيم علماء النفس النظريات المختلفة في الشخصية ويعرفون بها قيمة وأهمية أى منها ، وجدنا أن المنهج الإسلامي الذي يطرح المنظور الخاص به في الشخصية يحوز على الشرط المطلوب، ويتوافق مع المحكات المعتمدة عند النظر المنصف .

يرى (روبرت ليبرت) و (متشل سبيقلر) أن المحكات المهمة لنظريات الشخصية هي سبعة [١] ، وهي المحكات التى يشير إليها كثير من الباحثين في علم نفس الشخصية ، وقد ينقصون منها أو يزيدون عليها مع الاتفاق على الجوهرى منها . كما فعل جابر عبد الحميد جابر ، حيث لم يذكرها كلها وأضاف إليها [٢].

هذه المحكات هي كالآتي :

١ ـ الصدق الواقعي بأن تكون مدعمة بالواقع ، بحيث يجد الباحث إمكانية في جمع المعلومات عنها من خلال الملاحظة والتجربة ومجريات الحياة ، ويرى مصداقيتها في سلوك الناس ونشاطهم . وهذا الأمر جلى وملاحظ في الرؤية الإسلامية للشخصية بمكوناتها وبنائها ؛ فشواهد الروح وآثارها وشواهد التعبد والفطرة المستقيمة ملحوظة ومنتشرة ، والأبحاث فيه متعددة ومتجددة .

٢ ـ البساطة وعدم التعقيد ، بحيث لاتكثر مسلماتها ، وتتداخل ، وتتزاحم ، وتحتاج إلى شروحات وإحالات تفريعية ، يصعب معها فهم النظرية والتعامل بها ، ومن أبرز النظريات المعقدة والمتشابكة ، النظرية التحليلية في الشخصية ،ويعد هذا من عيوبها الهامة . وفي الرؤية الإسلامية أسس محددة معدودة ـ كما رأينا ـ في مكونات الشخصية الأصلية ، وديناميكية مبسطة لبناء الشخصية ونموها من خلال التحصيل الإيماني المبني على الجانب الإرادي في الشخصية عبر البرنامج الإسلامي الواسع .

---

(١) انظر Liebert and Spiegler, Personality Strtagies amd Issues P .P 9,10.

(٢) انظر جابر عبد الحميد جابر ، نظريات الشخصية، ص ١٦ ـ ١٨ .

٣ ـ الشمولية ، بحيث تكون قادرة على التعامل مع أكبر قدر من الظواهر ، ولاتكون محصورة ومقيدة ؛ فلا يمكن التفسير بها والانطلاق منها في معظم الأحيان .

وهذه الخاصية من ألزم الخصائص بالرؤية الإسلامية في الشخصية ، لأن الأساس الذي قامت عليه أساس شامل ، لايستثنى منه شخص أو بيئة أوزمن بل هو أساس الشخصية الإنسانية بصرف النظر عن مكانها أو زمانها أو ظروفها .

٤ ـ التلاؤم الداخلي ، وهو التماسك في أفكار النظرية الداخلية ، والإنسجام بين مسلماتها الأساسية ، بحيث ينظر إليها كبناء واحد لاتفكك فيه أو تنافر .

والشخصية في المنهج الإسلامى متأسسة على المادة والروح ، وهما متلازمان في أصل الخلقة وينبغى أن يستمران كذلك فيما بعد ، كما أن العبودية والحاسة الخلقيةمرتبطان ببعضهما في أصل الشخصية ، وفي بنائها ، ومن أهم أسباب ذلك كونهما ينبعثان من الأساس الروحى للشخصية . وهذا يُظْهر مدى التماسك بين المسلمات الداخلية في الرؤية الإسلامية مما ينعكس على توحد الشخصية وتجمعها ، وتوجهها الواحد في المستقبل ، إذا تمت مراعاة هذه المكونات وفق المنهج الإسلامي .

٥ ـ القابلية للإختبار والفحص ، وهو مدى القدرة على تأييد النظرية بالأبحاث والدراسات ، ويتحقق هذا إذا كانت أفكار النظرية ومفاهيمها واضحة التعريف ومحددة بحيث يمكن بناء الفروض على أساس منها بدقة .

ورغم أن الرؤية الإسلامية لاتحتاج للإختبار ؛إذ أنها مرتكزة ونابعة من المصادر الشرعية الربانية ، التى لايتطرق إليها الشك ، إلا أنه من الممكن إجراء البحوث والدراسات التى تثبت صدقها وفائدتها وآثارها .

٦- مدى الانتفاع بها (Usefulness) ويعود هذا إلى كونها مهيئة للتطبيق والممارسة ، فالنظريات التي تعيش هي التي تظهر فائدتها العملية ، وتمكّن من ممارسة المبادىء والقواعد القائمة عليها . أما التى تحلق في الخيال ، وتتجه إلى المثالية والتجريد البالغ ؛ فإنها لاتستمر ، ويتم التخلي عنها ، وهجرها مع الزمن ـ من قبل المتخصصين والممارسين والمستفيدين .

وقد بينا فيما سبق أن المنهج الإسلامى منهج عملي تطبيقي ، بل إن بعض المبادىء والأطر النظرية إنما تستقى من خلال التطبيقات والتوجيهات السلوكية والتربوية الموجّهة للإنسان في القرآن والسنة والسيرة مما يدل على أن نظرة الإسلام للشخصية نظرة تربوية عملية ، لانظرة إقناعية تأصيلية فقط ، وقد انعكس هذا على البرامج والأنشطة والأعمال التى يتم بها توجيه الشخصية ، واستكمال بنائها ، ووضعها في خطها المطّرد مع مكوناتها الأصلية ، وانعكس هذا على سلامتها وسواءها ، وتكاملها ، وصحتها النفسية .

٧ ـ القبول (Acceptability) بأن تُعرف النظرية وتستقبل ، وأن يكون لها حد من القبول لدى العلماء والمتخصصين ؛ ليمكن إجراء البحوث والتجارب لاختبارها وتطبيقها ، فالنظرية المنزوية أو التى يفرض عليها الإنزواء تبقى محدودة ، ولاتتاح لها الفرصة للتعميم والتطور .

وهذا المحك محك نسبي ، ويعتمد على توجُّهات الباحثين وعلى منطلقاتهم وأيديولوجياتهم وبيئاتهم ، فقد يقبلون على نظريات ويهملون أخرى ، ويعتمد أيضاً على القوى الموجودة في تصنيف الاتجاهات في هذا المجال .

ولاشك أن الطرح للرؤية الإسلامية في هذا المجال ، يحتاج إلى حركة وديناميكية ، تنضج من خلاله الرؤية أكثر وتنتشر ، ويتم تطبيقها وتجريبها ،

وتسديدها من خلال كثرة الدراسات والدراسين لها .

من خلال هذا الاستعراض يتضح أن الرؤية الإسلامية للشخصية تملك مميزات مهمة ، وأنها تكاد أن تلبي كافة المطالب العلمية والبحثية التى تؤدي إلى صورة متكاملة ومتماسكة للشخصية . كما أنها تملك أكثر من ذلك وأهم من ذلك ، وهو مايعود إلى مصدريتها الربانية ، الذي يكسبها الثقة والصدق والشمول .

وتذكيراً بما أشرنا إليه سابقاً من أن هذه المحكات التى توزن بها نظريات الشخصية ليست نهائية ولاوحيدة ، فإنه من المؤكد أن المحكات التى تتعلق بالتعامل مع قضايا الإنسان الأساسية ، مثل أصل الإنسان وغايته ونهايته ونحوها لم يعن بها، ولن تأخذ مكانها المناسب رغم أهميتها . ولعل أهم أسباب أهمال علماء الشخصية لها ، كونها ـ كما يدَّعون ـ أمور فلسفية تجريدية لاتخضع للمنهج العلمى ، ولايحبذ النفسيون المحدثون الخوض فيها .

تم بحمد الله

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

المصادر والمراجع

مكتبة المهتدين إسلام سبيل المقارنة الأديان

المراجع العربية

ـ **أبو داود (سليمان بن الأشعث) .**

سنن أبي داود ، بيروت : دار الحديث ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨ هـ .

ـ **الأسروشني (محمد بن محمود بن الحسين) .**

جامع أحكام الصغار (جزءان) ، القاهرة : دار الفضيلة .

ـ **إسماعيل (محمد عماد الدين)**

الطفل من الحمل إلى الرشد (جزءان) ، الكويت ، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

ـ **الألباني (محمد ناصر) .**

صحيح الجامع الصغير ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م .

ـ **الألباني (محمد ناصر) .**

صحيح سنن ابن ماجه ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

ـ **أنستازي وآخرون .**

ميادين علم النفس (جزءان) ترجمة أحمد زكي صالح وآخرون ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ م .

ـ **الباني (عبد الرحمن) .**

مدخل إلى التربية الإسلامية ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ .

ـ **بدري (مالك) .**

أسس الصحة النفسية للطفل المسلم « دراسة في أسلمة علم النفس » مذكرات غير مطبوعة .

ـ **بدري (مالك) .**

التفكُّر من المشاهدة إلى الشهود (دراسة نفسية إسلامية) ، فيرجينيا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

ـ **بدوي (أحمد زكي) .**

معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٢ م .

ـ **بركات (محمد خليفة) .**

علم النفس التعليمي ، الكويت : دار القلم ، ١٩٧٤ م .

ـ **بلوم (بنجامين) وآخرون .**

نظام تصنيف الأهداف التربوية (المجال المعرفي) ، ترجمة محمد محمود الخوالدة وصادق إبراهيم عودة ، جدة : دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م .

ـ **بلوم (بنجامين) وآخرون .**

نظام تصنيف الأهداف التربوية (المجال الوجداني) ، ترجمة محمد محمود الخوالدة وصادق إبراهيم عودة ، جدة : دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .

ـ **بيل (آي) .**

الأسس النفسية في التربية ، ترجمة صبحي عبد اللطيف المعلوف ، عالم المعرفة ومكتب التحرير ، ١٩٨٢ م .

ـ **التبريزي (محمد بن عبد الله) .**

مشكاة المصابيح ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

ـ توق (محيي الدين) وعدس (عبد الرحمن) .

أساسيات علم النفس ، نيويورك : جون وايلي ، ١٩٨٤ م .

ـ ابن تيمية (أحمد) .

الإيمان ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ .

ـ ابن تيمية (أحمد) .

مجموع الفتاوى ، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

ـ جابر (جابر عبد الحميد) .

نظريات الشخصية ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ـ ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي) .

زاد المسير في علم التفسير ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ـ الحاكم (أبو عبد الله) .

المستدرك ، بيروت : دار الكتاب العربي (بدون تاريخ) .

ـ الحجاجي (حسن علي حسن) .

آراء ابن القيم التربوية ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية قسم التربية ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

ـ ابن حجر (أحمد بن علي) .

فتح الباري ، القاهرة : دار الريّان للتراث ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .

ـ **حجر (عبد الرحمن بن عبد الخالق) .**

دور الأسرة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التربية ، ١٤١١ هـ .

ـ **حسين (محيي الدين أحمد) .**

دراسات في الدافعية والدوافع ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨ م .

ـ **حنبل (الإمام أحمد) .**

المسند ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥ هـ .

ـ **خليل (رسمية علي) .**

الإرشاد النفسي في مرحلة الحضانة ، القاهرة : دار غريب للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ـ **خياط (فوزية رضا أمين) .**

الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكة المكرمة : مكتبة المنارة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

ـ **الدسوقي (فاروق) .**

مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ـ **راجح (أحمد عزت) .**

أصول علم النفس ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الحادية عشرة ،

١٩٧٩م.

ـ **ابن رجب (أبو الفرج عبد الرحمن) .**

جامع العلوم والحكم ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٨٢ هـ .

ـ **رمزي (إسحق) .**

علم النفس الفردي ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) .

ـ **ريّان (فكري حسن) .**

التدريس ، القاهرة : عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤ م .

ـ **زهران (حامد عبد السلام) .**

علم نفس النمو « الطفولة والمراهقة » ، القاهرة : عالم الكتب ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٢ م .

ـ **سارنوف (أ) وآخرون .**

التعلّم ، ترجمة محمد عماد الدين إسماعيل ، بيروت : دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ـ **السعدي (عبد الرحمن بن ناصر) .**

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، القاهرة : مطابع الدحوي ، ١٩٧٧ م .

ـ **السعيد (عبد العزيز بن فهد) .**

أحكام الصبي المميز في الشريعة الإسلامية ، (دراسة مقارنة) رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المعهد العالي للقضاء ، ١٤٠٧ هـ .

ـ **السفاريني (محمد بن أحمد) .**

لوامع الأنوار البهية ، دمشق : مؤسسة الخافقين ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م .

ـ **السلمان (عبد العزيز بن محمد) .**

مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ، الرياض : مطابع المدينة ، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ .

ـ **سويد (محمد نور) .**

منهج التربية النبوية للطفل ، الكويت : مكتبة المنار الإسلامية ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ـ **الشاطبي (أبو إسحق إبراهيم بن موسى) .**

الموافقات في أصول الشريعة ، بيروت : دار المعرفة ،

ـ **الشماع (صالح) .**

ارتقاء اللغة عند الطفل ، القاهرة : دار المعارف ١٩٦٢ م .

ـ **الشميمري (فهد بن عبد الرحمن) .**

مجالس عشر ذي الحجة ، الرياض : دار المجد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ .

ـ **الشَّوكاني (محمد بن علي) .**

تحفة الذاكرين ، بيروت : دارالقلم ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م .

ـ **الشَّوكاني (محمد بن علي) .**

فتح القدير ، القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة

الثانية ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

ـ عبد الوهاب (محمد بن عبد الرحمن) .

أهداف التربية الإسلامية للمرحلة الابتدائية ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التربية ، ١٤١٣ هـ .

ـ عبد الوهاب (علي محمد) .

مقدمة في الإدارة ، الرياض : معهد الإدارة العامة ، ١٤٠٣ هـ .

ـ عبده (عيسى) ويحيى (أحمد إسماعيل) .

حقيقة الإنسان ، الكتاب الثاني ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ م .

ـ ابن عثيمين (محمد بن صالح) .

مجالس شهر رمضان ، الرياض : الفرقان ، ١٤١٠ هـ .

ـ علوان (عبد الله ناصح) .

تربية الأولاد في الإسلام ، بيروت : دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ـ العقاد (عباس محمود) .

الفلسفة القرآنية ، بيروت : دار الكتاب العربي الكتاب العربي ، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م .

ـ العودة (سلمان بن فهد) .

نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة ، الرياض : دار الراية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ م .

ـ عودة (محمد) وعيسى (محمد رفقي) .

الطفولة والصبا (رؤية إسلامية في النمو الإنساني) ، الكويت : دار القلم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ـ عيسى (محمد رفقي) .

الدافعية (دراسة نقدية مع نموذج مقترح) ، الكويت : دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

ـ الغزالي (محمد) .

فقه السيرة ، القاهرة : دارالكتب الحديثة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

ـ غنيم (سيد محمد) .

سيكولوجية الشخصية ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ م .

ـ الفيروزبادي (محمد بن يعقوب) .

القاموس المحيط ، القاهرة : مؤسسة الحلبي (بدون تاريخ) .

ـ القاضي (يوسف مصطفى) وياالجن (مقداد) .

علم النفس التربوي في الإسلام ، الرياض : دار المريخ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

ـ ابن قدامة (عبد الله بن أحمد) .

المغني لابن قدامة ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، (بدون تاريخ) .

ـ القذافي (رمضان محمد) .

الشخصية ؛ نظرياتها ـ اختباراتها ـ وأساليب قياسها ، بنغازي : دار الكتب

الوطنية ، ١٩٩٣ م .

ـ **القرطبي (محمد بن أحمد) .**

الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧ م .

ـ **قطب (سيد) .**

معالم في الطريق (الناشر بدون) ، الطبعة الثالثة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

ـ **قطب (سيد) .**

في ظلال القرآن ، بيروت : دار إحياء التراث ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧ م .

ـ **قطب (محمد) .**

دراسات في النفس الإنسانية ، ١٩٦٧ م ، (الناشر غير موجود) .

ـ **قطب (محمد) .**

منهج التربية الإسلامية ، (الناشر بدون) ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧ .

ـ **قطب (محمد) .**

منهج التربية الإسلامية (الجزء الثاني) ، بيروت : دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ـ **ابن القيم (محمد بن أبي بكر) .**

زاد المعاد ، القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م .

ـ ابن القيم (محمد بن أبي بكر) .

الروح ، القاهرة : شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ) .

ـ ابن القيم (محمد أبي بكر) .

روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، بيروت : دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ـ ابن كثير (إسماعيل) .

تفسير القرآن العظيم ، بيروت : دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥ هـ .

ـ لازاروس (ريتشارد) .

الشخصية ، ترجمة سيد محمد غنيم ، بيروت : دار الشروق ، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ـ ابن ماجه (محمد بن يزيد) .

سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض : شركة الطباعة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ـ المباركفوري (محمد بن عبد الرحمن) .

تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ .

ـ المحيميد (عبد العزيز بن عبد الرحمن) .

الحوافز في التربية الإسلامية ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التربية، ١٤١٢ هـ .

ـ موسى (عبد الله عبد الحي) .

المدخل إلى علم النفس ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٢ هـ .

ـ **نجاتي (محمد عثمان) .**

الحديث النبوي وعلم النفس ، بيروت : دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

ـ **نجاتي (محمد عثمان) .**

علم النفس في حياتنا اليومية ، الكويت : دار القلم ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

ـ **نجاتي (محمد عثمان نجاتي) .**

القرآن وعلم النفس ، بيروت : دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

ـ **نشواتي (عبد المجيد) .**

علم النفس التربوي ، عمان : دار الفرقان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ـ **النغيمشي (عبد العزيز بن محمد) .**

المراهقون ، الرياض : دار المسلم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ .

ـ **النووي (يحيى بن شرف) .**

رياض الصالحين ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ـ **هارون (عبد السلام) .**

تهذيب سيرة ابن هشام ، القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

ـ **الهاشمي (عبد الحميد محمد) .**

علم النفس التكويني ، أسسه وتطبيقه ، جدة : دار المجمّع العلمي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٨٩ م .

ـ **ابن هشام (عبد الملك بن هشام) .**

السيرة النبوية ، القاهرة : مطبعة مصطفى الباي الحلبي ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م .

ـ **وزارة المعارف / المملكة العربية السعودية .**

منهج المرحلة الثانوية العامة ، الرياض ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

ـ **ياجن (مقداد) .**

أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، الرياض : مطابع القصيم ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

المراجع الأجنبية

- **Barrett , D. M.**

Student - Teacher Personal , Interaction In Public High School . New Haven: Yale University, 1976. Unpublished Doctoral Dissertiom.

- **Flavell , J .**

The Developmental Psychology of Jean Piaget . Newyork : Litton Educational Publishing , 1963 .

- **Goble . F .**

The Third Force : The Psychology of Abraham Maslow . Nework : Thomas Jefferson Research center , 1970 .

- **Hall , c. , and Lindzey , G .**

Theories of Personality . Newyork : John Wiley and Sons , Inc. 1978 .

- **Liebert , R . , and Spiegler , M .**

Personality : Strategies and Issues . Belmont , California : Wadsworth , Inc , 1990 .

- **Mager , R .**

Goal Analysis , Belmont , Calefornia : Fearon Pitman Publishers , 1972 .

- **Mc Adams , D ,**

The Person , New York : Harcourt Brace Jovanorich , Inc , 1989 .

- **Mont, C .**

Beneath the Mask . New York : Holt , Rinehart and winston , 1977.

- **Papalia , D .**

A Child's World , New York : Mc Graw - Hill Company , 1975 .

- **Schultz , D .**

Theoies of Personality. Belmont, California : Wadsworth , Inc, 1990 .

- **Snow , S .**

" Correlate of Faculty - Student Interaction. " Sociology of

Education , 46 : 489 - 498 (1973) .

- **Willson , R . , Wood , L., and Goff , J .**

" Social - Psychological Accessibility and Faculty - Student Interaction Beyond the Classrom " . Sociology of Education , 47 : 74 - 92 (1974) .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

الفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الأهداف العامة لدراسة علم السلوك في الإسلام	١١
الأهداف التربوية	١٥
التمييز بين الأهداف التربوية والأهداف التعليمية	١٥
تصنيف الأهداف التربوية التعليمية	١٨
صياغة الأهداف السلوكية	٢٤
مكونات الأهداف السلوكية	٢٥
تصنيف الأهداف التربوية	٢٩
أولاً : المجال المعرفي	٢٩
١ ـ المعرفة	٣٠
٢ ـ الاستيعاب	٣٢
٣ ـ التطبيق	٣٤
٤ ـ التحليل	٣٧
٥ ـ التركيب	٣٧
٦ ـ التقويم	٣٧
ثانياً : المجال الخلقي	٤٥
١ ـ التعرف	٤٥
٢ ـ الممارسة	٤٦

الموضوع	الصفحة
ـ المستوى الانقيادي	٤٧
ـ المستوى الاقتناعي	٤٩
ـ المستوى الرقابي	٥٢
المستويات الثلاثة ودوائر الإسلام	٥٥
المقارنة بين تصنيف (كراثواهل) للمستويات الخلقية والمنهج الإسلامي	٥٨
١ ـ الاستقبال	٥٨
٢ ـ الاستجابة	٥٩
٣ ـ التقييم	٦٠
٤ ـ التنظيم	٦٠
٥ ـ التمييز	٦١
الباب الثاني : الدوافع	٦٥
تعريف الدافع والحافز	٦٧
التصنيف الثلاثي للدافعية (إسلامي)	٧١
التصنيف الإنساني	٧٥
مستويات الدافعية وخصائصها	٧٧
أولا : الدوافع العضوية	٧٧
ثانياً : الدوافع الدنيوية	٧٨
ثالثاً : الدوافع الأخروية	٧٩
الحفز في الدائرة العضوية	٨٣
١ ـ تلافي المربي حرمان المتعلم من حاجاته العضوية	٨٣
أمثلة تطبيقية	٨٦

الموضوع	الصفحة
٢ ـ السعي في إشباع الدوافع العضوية باعتدال	٨٨
أمثلة تطبيقية	٩٢
٣ ـ استخدام المربي للدوافع العضوية لحوافز خارجية	٩٤
٤ ـ أن استخدام المربي تأجيل إشباع الحاجات العضوية لأغراض تربوية	٩٨
الحفز في الدائرة الدنيوية	١٠٢
ـ الحوافز المادية	١٠٤
ـ الحوافز النفسية	١٠٩
١ ـ حفزه بالثناء عليه	١٠٩
٢ ـ حفزه بتوفير الأمن والحماية له	١١٢
٣ ـ حفزه بدافع الانتماء	١١٤
ـ الحوافز العقلية	١١٧
١ ـ حفزه بما يقوم به من إنجاز وما يناله من نجاح	١١٧
٢ ـ حفزه بالاستطلاع والإكتشاف	١٢١
٣ ـ حفزه بالتحدّي والمحاجّة	١٢٥
ـ الحوافز الغيبيّة	١٣١
ـ الحفز في الدائرة الأخروية	١٣٥
مرتكزات الحفز الأخروي	١٣٧
١ ـ الدافع الفطري	١٣٧
توجيهات في الحفز بالفطرة	١٤٠
٢ ـ الدافع الخلقي	١٤١

الموضوع	الصفحة
توجهيات تربوية	١٤٣
٣ ـ الدافع الأمني	١٤٤
٤ ـ التطلع للعدل	١٤٦
توجيهات تربوية	١٤٨
٥ ـ التطلع للإشباع الشامل للغرائز	١٤٩
موضوعات الحفز الأخروي	١٥٣
١ ـ ابتغاء رضوان الله	١٥٣
٢ ـ البصيرة بحقيقة الدنيا	١٥٤
٣ ـ بيان حقيقة الموت	١٥٧
٤ ـ بيان أحداث القيامة	١٥٨
٥ ـ بيان أحداث الحساب والجزاء	١٥٩
٦ ـ بيان نعيم الجنة	١٦١
٧ ـ بيان عذاب النار	١٦٤
أساليب الحفز الأخروي	١٦٧
الباب الثالث : النمو	١٧٩
مدخل	١٨١
النمو النفسي	١٨٣
١ ـ مرحلة الرضاعة	١٨٣
الضعف الجسمي والعضوي	١٨٦
الضعف النفسي الاجتماعي	١٨٨
الضعف اللغوي	١٩٠

الموضوع	الصفحة
٢ ـ مرحلة الحضانة	١٩٣
٣ ـ مرحلة التمييز	٢٠١
أ ـ العامل الذاتي	٢٠٩
١ ـ القدرة على التمييز	٢٠٩
٢ ـ القدرة على الحفظ والاستظهار	٢١٢
٣ ـ القدرة على التقليد	٢١٥
٤ ـ القدرة الحركية	٢١٧
ب ـ العامل البيئي	٢١٩
١ ـ مبدأ التطابق بين القول والفعل	٢٢٠
٢ ـ مبدأ عرض النموذج	٢٢٢
٣ ـ مبدأ التكرار	٢٢٥
جـ ـ العامل الغائي	٢٢٧
النمو الخلقي	٢٣١
١ ـ المرحلة الظاهرية الانقيادية	٢٣١
٢ ـ المرحلة الاقتناعية الانقيادية	٢٣٤
٣ ـ مرحلة الرقابة الذاتية	٢٣٨
تقويم ومقارنه	٢٤٢
نظرة بياجيه	٢٤٣
نظرة كولبرج	٢٤٤
التشابه والاختلاف مع المنهج الإسلامي	٢٤٧
الباب الرابع : التفاعل التربوي	٢٥١

الموضوع	الصفحة
مدخل	٢٥٣
بعض نظريات تفسير حدوث التفاعل	٢٥٥
قاعدة التبادل في العلاقات	٢٥٥
قاعدة الحقوق والواجبات	٢٦٠
قاعدة رأي المربي في المتربي له أثر على شخصيته	٢٦٢
أساليب وأنواع التفاعل	٢٦٥
أولاً : مجال المشاعر والمفاهيم	٢٦٥
ثانياً : مجال العمل والسلوك	٢٦٩
خصائص المربي الفعال	٢٧٩
١ ـ الخصائص المعرفية	٢٨١
الخلفية المهنية	٢٨١
اتساع الثقافة وتنوعها	٢٨٥
المعرفة الواسعة بالطرق المقابل	٢٨٦
٢ ـ الخصائص الأسلوبية	٢٨٩
الأساليب غير المباشرة	٢٨٩
المداخل والأساليب التمهيدية	٢٩٠
٣ ـ الخصائص الوجدانية	٢٩٣
العدل	٢٩٣
الأمانة	٢٩٤
الجود	٢٩٦
الرحمة	٢٩٩

الموضوع الصفحة

٤ ـ الخصائص الاتصالية ٣٠٣
المرونة ٣٠٣
التوازن الاتصالي ٣٠٤
القرب ٣٠٧
الباب الخامس : الشخصية ٣٠٩
تعريفها وطبيعتها ٣١٣
أسئلة مهمة ٣١٥
توجُّهات في النظر إلى الشخصية ٣١٨
الشخصية في المنظور الإسلامي ٣٢١
مكوناتها ونسقها ٣٢١
تلخيص منظور المنهج الإسلامي ٣٣٠
تشكيل الشخصية ٣٣٣
الروح ٣٣٩
مدخل ٣٣٩
مفهومها ٣٤١
خلق الروح وتعريفها ٣٤٢
علاقة الروح بالنفس ٣٤٤
مستخلصات عن الروح ٣٤٦
السواء والانحراف وسمات الشخصية ٣٥٧
سمات الشخصية الإسلامية ٣٩٤

فهرس عـام

مقدمة ٥

الباب الأول : الأهداف التربوية ٩

الباب الثاني : الدوافع ٦٥

الباب الثالث : النمو ١٧٩

الباب الرابع : التفاعل التربوي ٢٥١

الباب الخامس : الشخصية ٣١١

المصادر والمراجع ٣٧١